

الطبعة الثانية

فالكتاب العظيم

عمر بن الخطاب

دار الرسالة

فِي السِّيَّارَةِ الشَّرْعِيَّةِ

١٨٧٩

طباعة دار الكتب

الدكتور

عبد الله التقيسي

دار الرّعْـة

١٨

حقوق الطبع محفوظة للناشر
الطبعة الأولى

١٤٠٥ هـ

١٩٨٤ م

دار الدعوة - الكويت



حقوق الطبع محفوظة للناشر
الطبعة الأولى

١٤٠٥ هـ

١٩٨٤ م

دار الدعوة - الكويت



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

• في شتاء ١٩٦٢ كان مؤلف هذا الكتاب — الاخ د. عبد الله فهد النفيسي — يُعد نفسه لدراسة الطب في مدينة تقع شمال الجزء البريطاني وهي مانشستر. كان يدرس هناك علوم الأحياء والكيمياء والرياضيات المختحة ويطبع لكي يصير طبيبا. وفي يوم من الأيام كان يتتجول في شارع من شوارع مانشستر وتوقف عند دكانة تبيع الكتب المستعملة الرخيصة وأخذ يتحقق في أغلفة الكتب المعروضة في نافذة العرض وكان رذاذ المطر منعشًا ولذينا. شد انتباهه عنوان غريب لكتيب صغير الحجم: «لماذا أنا لست مسيحي؟» للفيلسوف برتراند رسول «WHY I AM NOT A CHRISTIAN» BY BERTRAND RUSSELL

دلف صاحبنا بغزيرة انقياديه من باب المكتبة المردحه بالطلبه الأفارقه والآسيوين وأخذ يتتصفح الكتيب. أتعجب به، رغب في اقتتاله، فقد السيدة صاحبة المكتبة بشمنه وقبل راجعا إلى غرفته في ذلك المنزل الرمادي الواقع في شارع «وارويك» في حي «اولد ترافورد» *Old Trafford* التهم الكتيب التهاماً، قرأه أكثر من مرّة، أثار في نفسه كثيراً من الأسئلة القلقه. وأخذ صاحبنا يسأل نفسه: إذا كان «رسـل»

يعرف الأسباب التي تجعله يكفر بالمسيحية، فهل أنا أعرف الأسباب التي جعلتني مسلماً؟ لماذا أنا مسلم؟

دفعه ذلك القلق إلى الاستفسار عن جامع مانشستر أو المصلى الذي يؤدي فيه المسلمين في المدينة صلواتهم. أعاذه بعض الطلبة العراقيين للوصول إلى هناك.

دخل المصلى دون وضوء، جلس القرفصاء، وأسند ظهره للجدار البارد، وأخذ يتأمل بالمصلين: شباب في عمر الزهور، عليهم ثياب رثة، وتعب الغربة، لكن في أعينهم ما لا يراه في أعين الناس خارج المصلى: اليقين. بعضهم يتحلق حول شاب تونسي أو مغربي — لا يذكر — ويتعلمون كيف يجيدون قراءة وتلاوة القرآن. أيضاً بغزارة انقيادية انضم إلى الحلقة وناوله أحدهم مصحفاً. طلب منه نقيب الحلقة أن يقرأ: «ألم نشرح لك صدرك؟» وإذا بها تفتح كل المغاليق.

● تعلق قلب صاحبنا بذلك المصلى وجدرانه الباردة وسجاده العتيق والشباب ذوي الملابس الرثة والسمحة الشرقية. كان يشعر بدفء المصحف في برد تلك المدينة القارص. ذات يوم قرر أن يترك مشروعه في دراسة الطب ويعود للكويت ليدرس الإسلام والعلوم الشرعية. جمع ملابسه وأشياءه وكتبه وضعتها في الحقيبة واستقل القطار إلى لندن وذهب إلى مكتب الملحق الثقافي آنذاك في «بيكر ستريت» وطلب منه أن يزوره بذكرة طائرة للعودة إلى الكويت. حاول الملحق الثقافي أن يثنيه عن قراره في العودة، لكن صاحبنا قد

قرر نهائياً أمره. استقل الطائرة — بعد أيام — قافلاً إلى الكويت. هناك أفادته وزارة التربية بأنه قد تم فصله منبعثة نظراً لتركه مقر البعثة وبنية تغيير التخصص تغييراً أساسياً (من الطب إلى العلوم الشرعية). قدم أوراقه للأزهر فلم يقبله الأزهر. ذهب إلى دمشق وقدم أوراقه لكلية الشريعة فلم تقبله كلية الشريعة. قالوا له أنه من الأفضل الانضمام إلى المعهد الديني للتزود بأساسيات العلوم الشرعية والتي يفتقر إليها، زوده بالكتب واصطدم بمجدار الرسميات والمناهج والأدلة الروتينية فقد اهتمامه بالمؤسسات الدينية القائمة وانكب على القراءة الإسلامية الحرة. نصحه بعض الأصدقاء بدراسة السياسة وخدمة الإسلام من خلال ذلك.

انضم إلى الجامعة الأمريكية في بيروت لهذا الغرض ١٩٦٣—١٩٦٧. ونشط هناك إسلامياً فكتب في الجرائد والمحلات الإسلامية، منها «الشهاب» في بيروت، و«حضارة الإسلام» في دمشق، و«المسلمون» التي كان يصدرها المركز الإسلامي في حنيف. وأصدر هو نفسه نشرة طلابية إسلامية شعارها «الإسلام عقيدة ومنهج حياة» اسمها «البلاغ». وحصل على بكالوريوس العلوم السياسية في عام ١٩٦٧ ومنها ذهب إلى إنجلترا للدراسات العليا في جامعة كمبرidge وحصل على الدكتوراه عام ١٩٧٢. وكان خلال إقامته في إنجلترا على صلة وثيقة بالجمعيات الطلابية الإسلامية ومجلة «الغرباء» وكان يكتب المقالات الإسلامية باسم مستعار اختاره «فتى الخليج».

• فمجموعه هذه المقالات حول السياسة الشرعية والتي نشرها صاحبنا في مجلة «المجمع» الاسلامية الأسبوعية التي تصدر في الكويت هي جزء من مسيرة بدأها عام ١٩٦٢ في برد مانشستر القارص يوم كان طالباً يحمل مشروعه للدراسة الطب. «يهدي الله لنوره من يشاء» النور / ٣٥ .

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ ينْفَعَ بِهَا صَاحِبُهَا عَنْدَ لَقَاءِ اللَّهِ، وَيَنْفَعَ بِهَا الْفَارِئُ وَعَمُومُ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

الناشر

أسئللة جوهرية حول الدعوة الإسلامية

الدعوة لإقامة الدعوة الإسلامية :

من برامج نتاج المطابع الإسلامية من كتب ودراسات ومحاجات وجرائد يلاحظ دعوة مكرورة لإقامة الدولة الإسلامية التي تلتزم بمنهج الإسلام. وتكرار هذه الدعوة إن دلّ على شيء فإما يدل على فقاعة تامة بعدم وجود هذه الدولة على صعيد الواقع الذي يعيشه العالم الإسلامي. هنا من جهة. ومن جهة أخرى، لا تجد — بالرغم من تكرار الدعوة هذه والوعي لضرورتها — وعياً بتفاصيل مضمونها السياسي. بعبارة أوضح ثمة وعي بضرورة قيام الدولة الإسلامية المشودة مع غياب الوعي لتركيب تلك الدولة وأهدافها السياسية ومسوغاتها الشرعية والعقائدية وقدراتها الحركية والتنظيمية والتعبوية لمواجهة التحديات السياسية في هذا العصر. وتأتي هذه الصفحة — أخي القارئ — لتسد أو لتحاول أن تسد هذه الثغرة في الوعي الإسلامي. وظيفة هذه الصفحة إذن هي طرح التصور السياسي الشرعي للدولة الإسلامية التي ينفي ولل溉ان الإسلامي السياسي الذي تنشد إقامته فوق الأرض مزوداً بكلفة الوسائل المادية والتنفيذية التي لدول هذا العصر.

طبيعة السلطة السياسية التي نادى بها الإسلام:

نحن ننادي حقاً بضرورة قيام الدولة الإسلامية، لكن أي نوع من الدول هي الدولة الإسلامية؟ هل يرأسها ملك أم خليفة؟ هل هي دولة طبقة معينة من الناس أم دولة منهج وعقيدة تتجاوز الطبقات والعادلات؟ وكيف تصرف الأموال العامة في الدولة الإسلامية؟ وما موقف القرآن والسنة من هذا الأمر؟ والحاكمية فيها لمن؟ وما هي مرتکباتها؟ وهل الدولة الإسلامية — في المصلحة النهائية — تحقق مصلحة فردية أو طبقية أم مصلحة جماعية؟ فإذا تعارضت المصالح الخاصة مع المصالح العامة في الدولة الإسلامية، فما هي أولى بالإهانة شرعاً؟ وما مراجعتنا في كل ذلك، وما مدى التزام الدولة بأرزاق الناس؟ وما مدى التزامها بتوفير الحاجات الضرورية للمواطن من طعام وملبس ومسكن وضمان اجتماعي؟ وما موقفها من احتكار الأقوات وحرمة التجارة وتسخير البضائع؟ وهل الحدود والعقوبات المتصوّص عليها شرعاً مطلوب تطبيقها مهما كانت الظروف المحيطة بالمجتمع أم أن تطبيقها مرهون بتوفير بيئة اجتماعية واقتصادية وسياسية معينة نادى بها الإسلام؟ وما هي الأهداف العامة للشريعة الإسلامية في الحكم والمجتمع؟ وهل لرئيس الدولة مخصصات؟ وهل هذه المخصصات لشخص الخليفة أم لعشيرة الخليفة أيضاً؟ ومن يحدد هذه المخصصات؟ كل هذه الأسئلة وغيرها لا بد من التعرض لها وذلك للتعرف على طبيعة السلطة السياسية التي نادى الإسلام وننادي اليوم بضرورة قيامها.

هل يوجب الإسلام قيام سلطة سياسية خاصة به؟

وجوب قيام سلطة سياسية خاصة بالإسلام:

هل يوجب الإسلام قيام سلطة سياسية خاصة به، تلتزم به
سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً؟

نعم يوجب الإسلام قيام سلطة سياسية خاصة به، تلتزم به
سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً ودلاّلتنا على ذلك تأتي من
خلال استقراء النصوص الإسلامية وعلى ثلاثة مستويات:

الأدلة على ذلك:

- ١ — ما ورد في القرآن حول وجوب قيام سلطة سياسية إسلامية.
- ٢ — ما أفرته السنة النبوية الشريفة في هذا المضمار وسيرة المصطفى عليه السلام في مجال تنظيم الدولة والجماعة.
- ٣ — ما ذكرته المصادر الإسلامية المعتمدة لتراثنا الإسلامي.

المستوى الأول من الأدلة (القرآن الكريم):

وسوف نتناول بالمعالجة المختصرة المستوى الأول — أي — ما
ورد في القرآن حول وجوب قيام سلطة سياسية إسلامية ونرجو بحث

المستويات الأخرى إلى ما بعد بإذن الله .

نقول وبالله التوفيق : إن القرآن يقرر أن الله هو : خالق الملك ،
المهيمن ، الواحد ، الظاهر ، الخالق ، الكبير ، السلام ، المؤمن ، العزيز ،
الجبار . وحيث أن القرآن يؤكد في العديد من آياته ملکية الله لهذا
الكون : « لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُما وَمَا تَحْتَ
الْأَرْضِ »^(١) ، « أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ »^(٢) ،
« هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا »^(٣) ، « أَفَرَأَيْتَمْ مَا تَمْنَوْنَ
أَنْتُمْ تَخْلُقُونَ أَمْ نَحْنُ نَخْلُقُ الْخَالقُونَ »^(٤) ، « نَحْنُ قَدْرُنَا بِيَنْكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نُحْنُ
بِمُسْبُوقِينَ »^(٥) على أَنْ بَدَّلْ أَمْثَالَكُمْ وَنَشَّكُمْ ثُمَّ مَا لَا تَعْلَمُونَ « وَلَقَدْ
عَلِمْتُ النَّشَأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ »^(٦) ، « أَفَرَأَيْتَمْ مَا تَحْرِثُونَ »^(٧) ، « أَنْتُمْ تَرْزَعُونَ أَمْ
نَحْنُ الْزَّارِعُونَ »^(٨) ، « لَوْ نَشَاءُ بِجَعْلِنَا حَطَّامًا فَظَلَّمَ تَفْكُهُونَ »^(٩) ، إِنَّا
لِمُعَرِّمِينَ « بَلْ نَحْنُ مُحَرَّمُونَ »^(١٠) ، « أَفَرَأَيْتَمِ الْمَاءَ الَّذِي تَشَرِّبُونَ »^(١١) ، « أَنْتُمْ أَنْتَهُو
مِنَ الْمَرْنَ أَمْ نَحْنُ الْمَنْزَلُونَ »^(١٢) ، « لَوْ نَشَاءُ جَعْلِنَا أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشَكَّرُونَ »^(١٣) ،
« أَفَرَأَيْتَمِ النَّارَ الَّتِي تَوَرُّونَ »^(١٤) ، « أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ
الْمَنْشِعُونَ »^(١٥) .

(١) سورة طه الآية ٦ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٠٧ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٩ .

(٤) سورة الواقعة الآية ٥٨-٧٢ .

الحاكمية في الكون الله:

لذلك يمضي السياق القرآني ليؤكد أن الحكمية في هذا الكون هي الله وهذا واضح من خلال العديد من الآيات مثل: «إن الحكم إلا لله»^(٥)، «الله الأمر من قبل ومن بعد»^(٦)، «والله يحكم لا معقب لحكمه»^(٧)، «أليس الله بأحلكم الحاكمين»^(٨).

القرآن المصدر الرئيسي للتشريع

وتجسد هذه الحكمية في تطبيق ما في القرآن من أحكام واعتباره لا مصدرا من مصادر التشريع بل المصدر الرئيسي للتشريع: «اتبعوا ما أنزلنا إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء»^(٩)، «ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواه الذين لا يعلمون»^(١٠)، «تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن ي تعد حدود الله فأولئك هم الظالمون»^(١١).
حكم من لم يحكم بما أنزل الله:

(٥) سورة الأنعام الآية ٥٧.

(٦) سورة الروم الآية ٤.

(٧) سورة الرعد الآية ٤١.

(٨) سورة التين الآية ٨.

(٩) سورة الأعراف الآية ٣.

(١٠) سورة الحجية الآية ١٨.

(١١) سورة البقرة الآية ٢٢٩.

بعد كل هذا ينفي القرآن صفة الإيمان والعدل والاستقامة عن الذين يرفضون أو يمطئون تنفيذ أحكامه وتشريعاته سواء كانت على مستوى التشريع السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ^(١٢) ، « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » ^(١٣) ، « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » ^(١٤) ، « أفحكم الجahلية يبغون ٠ ومن أحسن من الله حكما لقما يوقنون » ^(١٥) .

ضرورة قيام سلطة سياسية :

لقد اشتمل القرآن على تشريعات عديدة سواء في موضوع الحكم (الخلافة) أو حدود الطاعة أو الشورى أو صفات أولي الأمر أو العقوبات أو الزكاة أو العبادات وطالبا بتنفيذها على الصعيدين الفردي والجماعي ، بما يتطلب — بالضرورة — تسلیم القيادة لسلطة سياسية وذلك لتنظيم الجهد الفردي والجماعي لتنفيذ الشريعة على صعيد الواقع . إذن واضح أن القرآن يوجب قيام سلطة سياسية إسلامية بالمعنى العقائدي للكلمة .

(١٢) سورة المائدة الآية ٤٤ .

(١٣) سورة المائدة الآية ٤٥ .

(١٤) سورة المائدة الآية ٤٧ .

(١٥) سورة المائدة الآية ٥٠ .

محمد عليه ممثل حاكمة الله في هذا الكون

طاعة الرسول عليه :

إذا كانت الحاكمة في هذا الكون هي الله — كاً بِيَّنًا — فإن
محمد عليه هو ممثل هذه الحاكمة. لذلك فإن طاعة الرسول عليه
من طاعة الله. ولذلك نجد القرآن يؤكد هذه النقطة في كثير من
الآيات: «من يطع الرسول فقد أطاع الله»^(١٦)، «وما آتاكم
الرسول فخذلوه وما نهاك عنده فاتهروا واتقوا الله إن الله شديد
العقاب»^(١٧)، «فلا وريلك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بینهم»^(١٨)، «وما كان المؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً
أن يكون لهم الخير من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل
ضلالاً مبيناً»^(١٩).

آلية وجود السلطة السياسية المتمثلة بالشريعة الإسلامية:

(١٦) سورة النساء الآية ٨٠.

(١٧) سورة الحشر الآية ٧.

(١٨) سورة النساء الآية ٦٥.

(١٩) سورة الأحزاب الآية ٣٦.

ولا يتحقق التحيل الكامل لهذه الحاكمة إلا من خلال وضع الشريعة نصاً وروحاً موضع التنفيذ. وحيث أن الشريعة تشتمل على كافة مجالات التشريع (الدماء والفروج والأموال) من دقائق شعون الفرد إلى دقائق شعون الجماعة؛ كان لا بد لذلك أن تكون العدالة لأصحابها في شكل سلطة سياسية مادية ملموسة ومحسوسة ومؤثرة ومنفذة. لذلك قاتل الرسول ﷺ وغزا في سبع وعشرين غزوة: غزوة ودان، غزوة بواط، العشيرة، بدر الأولى، بدر الكبri، بني سليم، السويف، غطفان، بحران، أحد، حراء الأسد، بني النضر، ذات الرقاع، بدر الآخرة، دومة الجندل، ذي قرد، بني المصطلق، الحندق، بني قريظة، بني حيان، الحديبية، خير، الفتح، حنين، الطائف وأخيراً تبوك^(٢٠).

مهمة الرسول ﷺ :

ولو كان الرسول ﷺ فقط داعية للإصلاح – ولا شك أن مهمته تشتمل ذلك فيما تشتمل – وللأخلاق الفردية والمناقب الشالية لما كانت هناك ضرورة لكل هذه الدماء ولكل هؤلاء الشهداء. هل من العقول أن يقوم بذلك كله فقط لكي يكون الناس أكثر صدقًا وأبعد عن الحمر والميسير وكفى؟ إن مهمة محمد ﷺ كانت ولا تزال – في نظر أتباعه – أكبر وأخطر وأعظم من

(٢٠) سيرة النبي ﷺ لابن هشام ج ٤ ص ١٠٢٧.

كل التصورات العادلة المبثوثة في أذهان الناس ، كانت مهمته الأساسية — لا الإصطلاح مع الأوضاع في الجزيرة العربية ولا حتى تعليقها — بل قلب الأوضاع في جميع الأرض من خلال سلطة سياسية مادية تقوم بعملية التحرير للإنسان على مستوى العالم . تقيم العدل في حياة البشر (مسلمين وغير مسلمين) وتقضى على الظلم والجور وأنمة الظلم والجور : « لقد أرسلنا رسالنا بالبيانات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس »^(٢١) . يقول الرازي في « مفاتيح الغيب » مفسراً هذه الآية بأن المراد بالحديد هنا القوة إذ لو عصى الناس وتمردوا على الشريعة — سواء كانوا حكاماً أو محکومين — لزم استخدام السيف في وجههم .

أهمية الدستور الذي وضعه الرسول عليه السلام :

ثم ما كاد الرسول عليه السلام أن يستقر في المدينة وما كاد العام الأول للهجرة ينتهي حتى وضع دستوراً مؤقتاً لتنظيم الحياة العامة هناك^(٢٢) . ويدل هذا الدستور على مقدرة فاتقة من الناحية التشريعية السياسية وعلى علم بأحوال الناس وفهم لظروفهم وقد عرف هذا الدستور بالصحيحه أو دستور المدينة .

(٢١) سورة الحديد الآية ٢٥ .

(٢٢) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبي والخلافة الراشدة د . محمد حيدر الله ص ٣٩ .

أما أطراف هذه الصحيفة ثلاثة: المهاجرون، والأنصار، ويهود
يابس. وغنى عن البيان أنه لا نستطيع — كمختصين في علم
السياسة الوضعية — أن نجد غير هذه الدولة الإسلامية في التاريخ
قد قامت منذ أول أمرها على أساس دستور مكتوب مما يدلل على
رسوخ الفكر السياسي لدى منشئها وعلى رأسهم المصطفى عليه السلام.
لقد حددت الصحيفة المذكورة المسئولية الشخصية والبعد عن
الثارات القبلية ووجوب الخضوع للسلطة الجديدة المتمثلة بالرسول
عليه السلام وأجهزته للتصرف. واعتبرت الذين يسكنون المدينة أمة واحدة
من دون الناس. وحددت موقف الرسول من شئون الحرب والسلم
وأن حرب الأفراد وسلمهم لا تؤتّم القبيلة وإنما يدخل ضمن
ال اختصاصات الدولة الجديدة وقيادتها المركزية.

نادى الرسول في هذه الصحيفة بضرورة معاونة الدولة
الإسلامية الوليدة في أقرار النظام والأخذ على يد الظالم وعدم نصر
المحدث أو إيوائه. كذلك حدد الرسول عليه السلام في الصحيفة العلاقة
بين الدولة الإسلامية وقطاع اليهود الذين لا يؤمنون بدعوتها. وأسس
في الجزيرة العربية — ولأول مرة في تاريخها — سلطة مركزية ترجع إليها
الأمة.

نأسئل ختاماً: إذا لم يكن هذا من قبل ممارسة الحكم، فما هو
الحكم إذن؟

الفقهاء والدولة الإسلامية

حكم قيام سلطة سياسية إسلامية :

يؤكد الفقهاء وجوب قيام سلطة سياسية إسلامية والتي لا يقوم الإسلام كدين إلا بها . نورد بعض أقوالهم .

أقوال الفقهاء مبسطة :

١ - يقول ابن تيمية في كتابه : « السياسة الشرعية » : (يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين . بل لا يقام الدين إلا بها ، فإن بني آدم لا تم مصلحتهم إلا بإجماع الحاجة بعضهم إلى بعض ولا بد لهذا الاجتماع من رأس حتى قال النبي ﷺ : « إذا خرج ثلاثة في سفر فليُؤمروا أحدهم » ^(٢٣) . وجاء في مسند أحمد أن النبي ﷺ قال : « لا يحل لثلاثة أن يكونوا بفلاة في الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم » ^(٢٤) ، فأوجب ﷺ تأمير الواحد

(٢٣) رواه أبو داود في سنه ج ٢ ص ٢٦٠٨ ، وسكت عنه أبو داود ط الأول

١٩٧١ م.

(٢٤) مسند الإمام أحمد ج ٢ ص ١٧٧ نشر المكتب الإسلامي .

في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبئها بذلك علىسائر أنواع الاجتماع^(٢٥).

٢ — ويقول الماوردي في كتابه: «الأحكام السلطانية»: (عقد الإمامة لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع)^(٢٦).

٣ — ويقول ابن قيم الجوزية في كتابه «الطرق الحكمية»: (إن الأحكام الشرعية لها طرق شرعية — لتنفيذها — ولا تم مصلحة الأمة إلا بها ولا تتوقف على مدع ومدعى عليه بل لو توقفت على ذلك فسدت مصالح الأمة واحتل النظام يحكم فيها متولي ذلك بالأمارات والعلاقات الظاهرة والقرائن البينية. ولا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يهم إلا بالعقوبات الشرعية فإن الله يزعم بالسلطان ما لا يزعم بالقرآن في إقامة الحدود واجبة على ولاة الأمور)^(٢٧).

٤ — يقول ابن خلدون في كتابه «المقدمة»: (إن نصب الإمام واجب قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين له وأصحاب رسول الله ﷺ عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر رضي الله عنه وتسليم النظر إليه في أمورهم وكذا في كل عصر من بعد ذلك، ولم يترك الناس فوضى في عصر من العصور واستقر ذلك

(٢٥) السياسة الشرعية لابن تيمية ص ١٣٨، دار الكتب بيروت ١٩٦٦.

(٢٦) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٥ — دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨ م.

(٢٧) الطرق الحكمية لابن قيم الجوزية ص ٣١١ — المؤسسة العربية، القاهرة ١٩٦١ م.

إجماعاً دالاً على وجوب نصب الإمام)^(٢٨).

٥ - ويقول أبو يعلٰى الفراء في كتابه «الأحكام السلطانية» : (نصب الإمام واجبة وقد قال أَحْمَد رضي الله عنه في رواية محمد بن عوف بن سفيان الحمصي : «الفتنة إذا لم يكن إماماً يقوم بأمر الناس »)^(٢٩).

٦ - ويقول ابن حزم في كتابه «الفصل بين الملل والتحل» : (اتفق جميع أهل السنة على وجوب الإمامة وأن الأمة واجب عليها الانتباه لإمام عادل يقيم فيها أحكام الله ويسوهم بأحكام الشريعة)^(٣٠).

٧ - ويقول الشوكاني في «نيل الأوطار» : (فعند العترة وأكثر المعتزلة والأشعرية تحب شرعاً)^(٣١).

هكذا إذن نجد أن الأدلة من القرآن والسنة وما ذكره فقهاء الإسلام كلها تصب في مجرى واحد وهو أن الإسلام يوجب قيام سلطة سياسية تدين به ويتكمّل فيها الولاء المطلق لنظامه وقيمه وشرعيته وأحكامه.

(٢٨) المقدمة لابن حليدين ص ١٦٧ القاهرة.

(٢٩) الأحكام السلطانية لأبي يعلٰى الفراء ص ١٩ - القاهرة ١٩٦١ م.

(٣٠) الفصل في الملل والأهواء والتحل لابن حزم ج ٤ ص ٨٧.

(٣١) نيل الأوطار ج ٨ ص ٢٦٥.

دولة الرسول عليه السلام من خلال مقاييس العلوم السياسية المعاصرة

شبة حول قيام دولة الرسول عليه السلام :

بالرغم من توفر الدلائل الكثيرة على وجوب قيام سلطة سياسية مستقلة وملتزمة التزاما عقائديا بالإسلام وبتشريعه السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري؛ وبالرغم من الدلائل التاريخية الناصعة المتمثلة بدولة الرسول عليه السلام التي أقامها في المدينة المنورة في بادئ الأمر ثم اتسعت لتشمل الجزيرة العربية، نقول بالرغم من ذلك تستمر حملات التشكيل على كل المستويات لزعزعة إيمان الدعاة بالقضية المقدسة ألا وهي قضية العمل لإقامة دولة الإسلام في

العصر الحاضر. وتحاول هذه الحملات أن تترس بما يسمى اليوم بالدراسات الأكاديمية الصادرة من الجامعات المتأمeka والمولالية للغرب، وتقول بعض هذه الدراسات أن الرسول عليه السلام لم يقم دولة يقدر ما أقام سلطة دينية مخضبة سرعان ما تلاشت بعد وفاته وتحولت إلى سلطة سياسية عربية تتقاذفها الأهواء وال قبليات. ونحن لن ندخل هنا في جدل لا جدوى منه مع هؤلاء المغرضين بل كل ما نريد أن

تبه هنا أن الرسول عليه السلام أقام في المدينة المنورة سلطة سياسية تعتبر بكل المقاييس العصرية دولة بكل معنى الكلمة.

العناصر الرئيسية للدولة :

• لقد أجمع خبراء علم السياسة العصريون من غربيين وشرقيين ومن رأسماليين وشيوعيين ومستقلين أن العناصر الرئيسية التي تكون منها الدولة هي :

١ - السكان : أي مجموعة كبيرة من الناس .

٢ - الأرض : أي مساحة معينة من الأرض التي يعيش عليها السكان .

٣ - الحكومة : أي منظمة سياسية تفصل عن إرادة أو قانون الدولة وتقوم بأعمال الإدارة العامة .

٤ - السيادة : أي سيطرة الدولة على جميع الأفراد والمنظمات التابعة لها واستقلالها عن أي سيطرة خارجية .

• بخصوص السكان وعدهم يقول ريموند كيتيل في مبحث «العلوم السياسية» : (لا يوجد أي تحديد دقيق لعدد الأشخاص الذين يكونون الدولة ، والمعروف عن السكان هو أنهم يجب أن يكونوا

من الكلمة بحيث يتمكنون من تنظيم أعمال الدولة وحيث يكون التمييز بين الشعوب العامة والشعوب الخاصة وبين الحاكم والمحكم .. ويتختلف عدد السكان في الدولة في العصر الحديث من

بضعة آلاف إلى عدة ملايين)^(٣٢).

بعض الأوصي يقول المؤلف نفسه: (تختلف النظرية الخاصة ببعض الأرض التابعة للدولة اختلافاً كبيراً. بالنسبة للأغريق كانت الحدود الضيقية لمدينة محسنة تعتبر حدوداً معقولة مقبولة .. أما فكرة الدولة الحديثة فهي تؤكد نواحي معينة كالحدود الطبيعية والنواحي الجغرافية .. وقد أكَدَ عدد كبير من الكتاب على أن الدولة الصغيرة هي أقوى نسبياً من الدولة الكبيرة)^(٣٣).

انطباق عناصر الدولة على دولة الرسول ﷺ:

نلاحظ — لو طبقنا العناصر الأربعة المكونة للدولة كما يعرفها خبراء علم السياسة العصريين — أنها تنطبق انطباقاً تاماً على دولة الرسول ﷺ في المدينة. كان هناك السكان الذين يمثلون الجماعة الإسلامية الأولى القاطنة في المدينة وما حولها في الريف والقرى وهؤلاء السكان يفوق عددهم سكان بعض الدول العصرية التي دخلت في منظمة الأمم المتحدة. وكان هؤلاء السكان يسيطرون على مساحة كبيرة من الجزيرة العربية وهذه المساحة أكبر بكثير من مساحة بعض الدول العربية وغير العربية التي حصلت على عضوية الأمم المتحدة. وكان هؤلاء السكان يديرون بالولاء لسلطة تدير شعوبهم كلها

(٣٢) العلوم السياسية، ريموند كتيل، ترجمة د. فاضل زكي ج ١ ص ٢٧ مكتبة البهضة، بغداد ١٩٦٣ م.

(٣٣) المرجع السابق.

(سياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية) وعلى رأسها الرسول صلوات الله عليه. ومن خلال هذه السلطة استطاعت حكومة الرسول تحقيق إرادتها وإدارة أعمالها فقضت في مختلف الشؤون المالية والعائلية والجنائية وأقامت الحدود وعيّنت الولاية وقاد السرايا والدعاة إلى الإسلام وجاء الصدقات وقاتلت الأعداء وقبضت الفيء وخمس الغنائم ووزعتها على الفئات التي حددها القرآن (الدستور) إلى غير ذلك من شئون الحكم . وكانت هذه السلطة الإسلامية التي تخل الجماعة الإسلامية الأولى مستقلة تماماً عن كل القوى السياسية

الخارجية . أكثر من ذلك فإن هذه الدولة الإسلامية الصغيرة كانت تهدد استقلال أكثر من قوة سياسية عالمية محبيّة بها ونقدّد بالطبع فارس وبيزنطة . نزيد فنقول : إن هذه الدولة الإسلامية الصغيرة قضت على الكسرورية في فارس والقيصرية في بيزنطة لأن الكسرورية والقيصرية كانتا تهلاّن قوى مادية مضادة وكان لابد لمواجهتهما ودحرهما وإبعادهما تماماً عن خط المسيرة الإسلامية أن يتزود الإسلام بقوته المادية التحكّافة والمضادة لهما .

مشروعية الجهاد :

من أجل هذا شرع الله « الجهاد » وكانت نتيجته العسكرية واضحة تماماً لكل من يقرأ التاريخ ، فقد وحد المسلمين — من خلال الجهاد — الجزيرة العربية وحل الإسلام محل الامبراطورية

الفارسية في فارس وحل الإسلام محل الامبراطورية البيزنطية في أكثر
أقاليمها. وغني عن القول أن السلطة الدينية ليست مؤهلة للقيام
بكل ذلك ! .

لذلك فإن المهم في هذه المقدمة هو تبيان أن العوامل التي أدت إلى انتصار
الإسلام على الإمبراطورية البيزنطية كانت عوامل دينية، وإن كانت هذه العوامل
هي العوامل التي أدت إلى انتصار الإسلام على الإمبراطورية البيزنطية، فإنها لم تكن
هي العوامل التي أدت إلى انتصار الإسلام على الإمبراطورية البيزنطية، وإن كانت
هي العوامل التي أدت إلى انتصار الإسلام على الإمبراطورية البيزنطية، وإن كانت

هي العوامل التي أدت إلى انتصار الإسلام على الإمبراطورية البيزنطية، وإن كانت
هي العوامل التي أدت إلى انتصار الإسلام على الإمبراطورية البيزنطية، وإن كانت
هي العوامل التي أدت إلى انتصار الإسلام على الإمبراطورية البيزنطية، وإن كانت
هي العوامل التي أدت إلى انتصار الإسلام على الإمبراطورية البيزنطية، وإن كانت

هي العوامل التي أدت إلى انتصار الإسلام على الإمبراطورية البيزنطية، وإن كانت
هي العوامل التي أدت إلى انتصار الإسلام على الإمبراطورية البيزنطية، وإن كانت
هي العوامل التي أدت إلى انتصار الإسلام على الإمبراطورية البيزنطية، وإن كانت
هي العوامل التي أدت إلى انتصار الإسلام على الإمبراطورية البيزنطية، وإن كانت

هي العوامل التي أدت إلى انتصار الإسلام على الإمبراطورية البيزنطية، وإن كانت
هي العوامل التي أدت إلى انتصار الإسلام على الإمبراطورية البيزنطية، وإن كانت
هي العوامل التي أدت إلى انتصار الإسلام على الإمبراطورية البيزنطية، وإن كانت

المشاركة السياسية الشعبية في الدولة الإسلامية

إذا كان قيام السلطة السياسية الملتزمة عقائدياً بالإسلام أمراً واجباً شرعاً وعقلاً وفطرة فإِيُّ نوع من الدول هي الدولة الإسلامية؟ وفي هذا السياق نطرح سؤالاً واحداً ونكتفي بالإجابة عليه هنا، والسؤال هو: هل في الدولة الإسلامية الملتزمة عقائدياً ومنهجياً بالقرآن والسنّة مجال للمشاركة الشعبية السياسية؟

حق المسلمين في محاسبة الحكام والإثام في تركه

نقول وبالله التوفيق: إن الإسلام وقف موقفاً حاسماً من هذه القضية — قضية المشاركة الشعبية السياسية — ولصالحها، فللمسلمين الحق في محاسبة الحكام. والأمة في الإسلام لها القوامة على الحاكم والزمرة الإسلام بـالإنكار عليه إذا قصر في مسؤولياته أو أساء في استعمال سلطنته. فقد روى مسلم عن أم سلمة أن رسول

الله عليه السلام قال: «ستكون أُمّـاء فتــعرفــون وــتــكــرــون، فــمــن عــرــفــهــ بــهــ

ومن أنكر سلم ولكن من رضي وتابع .. » ألغ الحديث . أى من عرف المنكر فليغيره ومن لم يقدر على تغييره فأنكر ذلك في قلبه فقد سلم . فالمسلمون يجب عليهم أن يحاسبوا الحكم ، ويكونون آمنين إذا رضوا بأعمال الحكم التي تنكر وتابعواه عليها . ومن أطاع العلماء والأمراء والحكام في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا من دون الله وقد أشرك وسيحشر مع المشركين حتى لو كان هذا الحكم كائنا من كان . قال ابن عباس : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول : قال رسول الله عليه السلام وتقولون : قال أبو بكر وعمر ^(٢٥) .

شروط الخلافة :

ومن أكبر الدلائل على وقوف الإسلام لصالح المشاركة الشعبية في اتخاذ القرار السياسي أن جعل منصب رئيس الدولة (الخليفة) عقد مراضاة و اختيار لا يعني أن يدخله أى إكراه أو إجبار . ولا يجوز أخذ البيعة من الناس بالإجبار أو الإكراه . ولا تتعقد الخلافة شرعاً لأى شخص إلا بمبادرة عموم المسلمين له وهذه البيعة العامة هي التي تجعل الخلافة تعقد ولا يكون رئيس الدولة في الإسلام رئيساً لها إلا برضى و اختيار المسلمين . وحتى لو بُويع وأصبح خليفة فهو مقيد

(٢٤) رواه الإمام مسلم في صحيحه ج ٣ ص ١٤٨٠ ح ١٨٥٤ ط عبد اليافي .

(٢٥) تيسير العزيز الحميد لسلیمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ٤٨٢ شرکة الرياض الحديثة .

بعد الوكالة التي أوكلها إياه المسلمين. يقول ابن قدامة في المغني:

« من اتفق المسلمين على إمامته وبيعه ثبت إمامته ووجبت معونته »^(٣٦) ويقول الإمام ابن تيمية في منهج السنة:

« الإمامة — أي رئاسة الدولة والخلافة — ثبتت بجایة الناس لا بعهد السابق له »^(٣٧).

مركز رئيس الدولة:

وبناء على ذلك يتضح بخلاف المراكز القانوني لرئيس الدولة في الإسلام. فهو مركز النائب والوكيل، الوكيل عن الأمة التي انتخبته نائباً عنها ليدبر شؤونها وفق منهج الشرع الإسلامي ولتطبيق سائر أحكامه. وإذا كان مركز رئيس الدولة في الإسلام هو مركز الوكيل فمن البديهي أنه يستمد سلطاته من موكله، أي من الأمة، فالآمة في الإسلام هي مصدر السلطات ورئيس الدولة يباشر هذه السلطات باسم الآمة وهذا الاعتبار فقط دون حق عضوي فيه ثابت ولا يتغير أو يتحول أو ينقل. وحيث أن علاقة الآمة في الإسلام برئيس الدولة علاقة وكالة فهي التي اختارته، فمن حق الموكل في الشريعة الإسلامية أن يراقب وكيله ليطمئن على حسن قيامه فيما وكله فيه. ومن حق الآمة اذن مراقبة الحاكم لتفويه إذا اخترف عن المنهج القويم وحاول ان يتسلط أو يتغير. ولم ينفعه المؤسس الأمر بالمعروف والنهي

(٣٦) المغني لابن قدامة المقدسي ج ٨ ص ١٠٦.

(٣٧) منهج السنة لابن تيمية ج ١ ص ١٤٢.

عن المنكر بمؤسسة عبادية أو شعائرية فقط بل هي أساساً مؤسسة سياسية — اجتماعية. جاء عن النبي ﷺ في حديث رواه أبو داود: «ولله لنأمرن بالمعروف ولننهن عن المنكر ولنأخذن على يد الظالم ولنأطربن على الحق اطرا ولنقتصرن على الحق قصراً، أو ليضررنا الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليعلنكم كما لعنهم»^(٣٨). من هنا يتبيّن لنا أن مقاومة الظالم والطاغية يعتبرها الإسلام عبادة وقربة من الله. ومن هنا يتبيّن لنا أنه لبقاء حاكم مستبد ظالم متسلط في دولة نقام على أساس الإسلام.

سبب وجوب الشورى:

ومن هنا وهذا السبب وجوب الشورى في دولة الإسلام كمؤسسة سياسية تصحيحية (وسوف نناقش الوجوب الشرعي للشورى إن شاء الله). بل يقرر الفقهاء أنه نظراً لثبوت حق الأمة في المشاورة فإن ترك هذا الحق من جانب رئيس الدولة موجب العزلة في الإسلام. فقد جاء في تفسير القرطبي: «قال ابن عطية: والشورى من قواعد الشريعة وعظام الأحكام ومن لا يستشر أهل العلم والدین فعزله واجب»^(٣٩)نعم عزله واجب لأن من يملك التعين

(٣٨) رواه أبو داود ج ٤ ص ٥٠٨ و ٥٠٩ ح ٤٣٣٦ و ٤٣٣٧ وأخرجه ابن ماجه مرسلاً ج ٢ ص ١٣٢٧ ح ٤٠٠٦ قال المذري: منقطع.

(٣٩) تفسير القرطبي ج ٤ ص ٢٤٩.

والاختيار يملك العزل والأمة هي التي عيشه واختارته — أو هكذا يجب أن يكون — وهي التي تملك تحريره. يقول ابن حزم في الفصل في الملل والنحل: «فهو الإمام الواجب طاعته ماقادنا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فان زاغ عن شيء منها منع من ذلك وأقيم عليه الحد والحق فإن لم يؤمن أذاه إلا بخلعه خلع وولي غيره»^(٤٠).

الشعبية السياسية ومحث على رقابة الحاكم ومحرض المسلمين على تقويمه وردعه وكبحه، أو كما قال المصطفى ﷺ: «ليضرر الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليعلنكم كما لعنهم»^(٤١).

(٤٠) الفصل بين الملل والنحل لابن حزم ص ٤٣.

(٤١) الحديث تقدم تحريره بخاتمة رقم ٣٨.

الدولة الإسلامية دولة الضمان الاجتماعي

يقسم علماء السياسة الدول منذ نشأتها الأولى في التاريخ إلى عدة أقسام أو لنقل إلى عدة مراحل. يقولون أن الدولة عندما نشأت في بادئ الأمر كانت تعني أول ماتعني به هو حدودها أي أن مهمتها الأساسية كانت حراسة الحدود من تهديدات الأعداء ولذلك سميت الدولة في تلك المرحلة بـ «الدولة الحارسة». وبعد أن اطمأنت على حدودها بدأت تدخل في نطاق رعايتها وتفض التراعيات الداخلية فيما بينهم ولذلك نشأت كافة المؤسسات الإدارية لتعضيد هذا الدور كفاضي ولذلك سميت الدولة في تلك المرحلة بـ «الدولة القاضية». وبعد أن تأسس دور الدولة في الضبط والربط والبيت والجسم في الداخل وبين رعايتها بدأت تقدم لهم الخدمات (بريد — كهرباء — طرق — مستشفيات — مدارس .. الخ) بحيث لا يشعر المواطنون بأن هناك سلطة رادعة أو حارسة أو قاضية فقط بل أن هناك أيضاً سلطة خيرة تقدم لهم الخدمات ولذلك سميت الدولة في تلك المرحلة بـ «دولة الخدمات». ومعظم الدول في العصر الحاضر تحاول أن تضفي على نفسها هذه الصفة.

سعي الدول للوصول إلى دولة الضمان الاجتماعي

تعريف الضمان الاجتماعي

أما طموح كل دولة في العصر الحاضر نضجت فيها مرحلة الخدمات . فإنها تود أن تصل إلى صفة « دولة الضمان الاجتماعي » أي دولة يضمن فيها الطعام والشراب والكساء والسكن والزوجة وضمانة من أحطارات المرض والجهل والفقير والشيخوخة والعجز والظلم والاستغلال . كل دولة اليوم في الوقت الحاضر تحاول أن تصل إلى هذه المرحلة المقدمة في تكوينها السياسي والاجتماعي .

الخلافة الإسلامية عهد الضمان الاجتماعي للبشر

إذا كانت الدول بشتى رياحتها وسمعياتها في الوقت الحاضر لا تخرج عن هذا التصنيف العام . ففي أي خانة تدرج دولتنا دولة الإسلام التي تلتزم بالإسلام كمنهج . قال ابن سعد في طبقاته وفي تعداده لأولياء عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي لم يسبقه إليها أحد في الإسلام : « إن عمر بن الخطاب أول من دون الديوان وكتب الناس على منازلهم وفرض لهم الأعطيات » (٤٢) كان عمر بن

(٤٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ .

الخطاب يعلم يقيناً أن الأموال التي تجمعت من خلال حركة الفتح حق للناس جميعاً، فليست لعمر ولا لآل عمر أو لفترة من الناس دون الناس كما قال عمر نفسه في كتاب إلى حذيفة عامله، أمر عمر رضي الله عنه بأخذ دفاتر يكتب فيها اسم كل مولود ذكر أو أنثى، مسلم أم غير مسلم، وفرض لكل مولود مائة درهم وجربيين من الطعام في كل شهر تدفع لأهله لا فرق في ذلك بين أن يكونوا محاججين أو غير محاججين فهو إنما كان يفرض للمولود لا لأهله. ولم

ي肯 عمر يفرق في هذا العطاء بين المواليد الشرعيين واللقطاء ويقول ابن سعد في هذا الصدد: «إذا أتي عمر باللقطي فرض له مائة درهم وفرض له رزقاً يأخذه وليه كل شهر يقدر ما يصلحه ثم ينله من سنة إلى سنة وكان يوصي باللقطاء خيراً ويجعل رضا عنهم ونفقتهم من بيت المال»^(٤٣) وكان عمر ينطلق في كل ذلك من عقيدة أن الأموال في الدولة الإسلامية هي ملك جميع الناس ولكل فيها حق يجب أن يصله بما يكفيه ويعف نفسه من غير واسطة بينه وبين السلطة الإسلامية أو كما قال عمر: ودمه في وجهه أى دون أن يطلب. يقول أبو عبيد بن سلام في كتاب «الأموال»: «إن الرجل إذا أراد أن يدعوا على صاحبه في أيام عمر قال له: قطع الله عنك جريمة»^(٤٤) لم يفرق عمر في العطاء بين الناس حتى على الأساس الديني ورواية أبو يوسف في كتابه «الخراج» لقصة عمر

(٤٣) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٣، ص ٢١٤.

(٤٤) الأموال لأبي عبيد بن سلام ص ٢٤٧.

مع اليهودي الضرير ووضع الجزية عنه وعن ضرياته وإعطائه العطا
لدليل على ذلك^(٤٥) وبعد فهل بقيت فئة من الناس لم تلتزم دولة
الإسلام في خلافة عمر بأرزاها؟ اللقطاء والأرقاء والمواليد والغلمان
والموالي وأهل ذمة الله ورسوله من اليهود والنصارى . يحق لنا أن نقول :
إنه في مجتمع كمجتمع عمر وفي دولة كدولة عمر لا يسرق السارق
عن جوع إلما عن اعتداء وظلم كبير أفلأ يحق لنا اليوم أن نقول بأن
دولتنا أيام عمر وصلت مرحلة الضuman الإجتماعي وهي مرحلة لم
نزل كثير من الدول المعاصرة تطعم إليها؟ .

(٤٥) الخراج للقاضي أبي يوسف ص ٧٢ .

كيف عامل الإسلام الرأسمالية العقارية؟

تحكم القبائل في الأراضي

عندما كُلِّفَ رسول الله ﷺ بالرسالة كانت القبائل القوية تحكم بأراضٍ شاسعة في جزيرة العرب نظراً لما تلك القبائل من عصبية قبلية وغبطة وقهر. هذه القبائل القوية كانت تحيط بالحجارة مساحات هائلة من الأراضي الخصبة بحججة أنها مراعٍ خاصة لخيولها ومواشيها بينما في واقع الحال كانت هذه الأراضي المسماة حينذاك بأراضي الحمى يتداوها المتمولون من أقطاب الرأسمالية العقارية في مكة والمدينة والطائف ويحرم منها الفرد الضعيف المجرد من السنن القبلي. وكانت هذه القبائل القوية تحكر مياه الآبار وتحبس الماء عن القبائل الضعيفة فتضطر الأخيرة إلى مغادرة مضاربها والارتحال إلى حيث تجد الماء فتتوجه القبيلة القوية الحابسة للماء بالاستيلاء على المراعي المهجورة.

وسائل الرسول ﷺ في محاربة الجشūع والاحكار

وجاء رسول الله ﷺ واتخذ تدابير حاسمة ضد هذا الجشūع

والاحتياط لأهم وسائل الانتاج في الجزيرة العربية آنذاك ألا وهم:
الارض والماء.

١ - سحب شرعية أراضي الحمى التي كانت بيد الرأسمالية العقارية حين قال: « لا حمى إلا لله ولرسوله »^(٤٦). وصارت أراضي الحمى بعد ذلك مشاععاً للمسلمين جميعاً.

٢ - بناء على حكمه عليه السلام في مهوزور وادي بني قريطة أن الماء إلى العقبين لا يجبيه الأعلى على الأسفل أو يجبيه الأسفل على الأعلى وبذلك وضع عليه السلام حدأً لاحتجاز الماء.

النص عن احتكار الأراضي

٣ - من أقواله العظيمة والبلغة في هذا المجال: « من أحيا أرضاً ميتة فهي له وليس لعرق ظالم حق »^(٤٧). وبهذا يكون الرسول عليه السلام أنه احتياط الأرضي دون إحيائها بغض المضاربة بها في نطاق الرأسمالية العقارية في مكة والمدينة والطائف.

(٤٦) رواه البخاري في صحيحه ج ٣ ص ١٤٨ وأبو داود ج ٢ ص ٤٦٠ ح ٣٠٨٢.

(٤٧) رواه أبو داود في سننه ج ٢ ص ٤٥٢ ح ٣٠٧٢ والبيهقي ج ٦ ص ١٤٢ والرملي ج ٢ ص ٦٥٣ ح ١٣٧٨ ومالك ج ٢ ص ٧٤٣ وأبو عبد في الأموال ص ٣٦٣ ح ٧٠٢.

قال الأبياني: صحيح (ابن القليل ج ٥ ص ٣٥٣ ط الأولى ١٩٧٩ م وانظر صحيح الجامع الصغرى وزياداته ج ٥ ص ٢٢٢ نشر المكتب الإسلامي ١٩٧٢ م).

تحديد ملكية الأرض وتحجيرها

كما حرص رسول الله ﷺ على تحديد ملكية الأرض وتحجيرها. والمحجر هو الذي يلْجأُ إلى تحجير الأرض أي وضع الحجر كعلامات لملكية تلك الأرض. يروي القاضي أبو يوسف في كتاب (الخرج) حديثاً.

المصطفى: «ليس محجر حق بعد ثلاثة سنين»^(٤٨). وهذا يكون الرسول ﷺ قد حدد مدة ثلاثة سنين يحفظ فيها المحجر بحقه في الأرض أما بعد انقضاء هذه المدة دون إحياء الأرض فإن ذلك يسقط حقه فيها ويفسح المجال أمام باقي المسلمين بإحياءها إما بناء أو زراعة أو ما شاكل ذلك. لقد انتهت هذه التدابير عهوداً غابرة اعتمدت فيها الرأسمالية العقارية على الغلبة والقهر والعصبية القبلية حيث كانت الجزيرة العربية وخاصة مراكزها السكانية تحكم بها التجارة والسمة المكتتبية لكل العلاقات الاجتماعية.

لقد أدخلت هذه التدابير الإسلامية بشأن ملكية الأرض والماء قيمًا اجتماعية جديدة في مجتمع الجزيرة العربية لم يكن له بها عهد مثل سيادة القانون الإسلامي والسلطة المركزية وحق الفرد بغض النظر

(٤٨) انظر الخراج لأبي يوسف ص ٧٠ ط الخامسة القاهرة ١٣٩٦ هـ وروي عن عمر وعل موقعاً. الخراج ص ٧١ لأبي يوسف.

عن انتهاء القيل. بدون شك كانت هذه التدابير من الأهمية بمكان
ليس فقط في القضاء على التفتت القيل. بل حتى على مسيرة
الاسلام فيما بعد حيث تبين للكل الاتجاه الجماعي للدعوة
الاسلامية وإلغاؤها الجذري لقيم التملك البائدة في عصر عرب
الجاهلية.

تحديد الأسعار من اختصاص الدولة الإسلامية

تعريف التسعير :

السعير هو أن تتدخل الدولة في فرض الأسعار وفي تحديد مقدار الربح ونحو في الكويت بأمس الحاجة لهذا التحديد نظراً للاستغلال الذي يمارسه بعض التجار . والأصل في المعاملات في الشرع الإسلامي أن تكون حرية أي لايجوز للدولة أن تتدخل في إرادة المتعاقدين وهذا هو رأي الجمهور .

اقضاء المصلحة تسعير الحاجات وهو من اختصاص الدولة

إلا أنا نلاحظ أن المصلحة العامة للمسلمين أحياناً تقتضي التسعير لأن التجار كثيراً ما يتلاعبون بالأسعار فيحتكرون السلع الموجودة .

يضطر الناس إلى الشراء ، وهذا لا شك احتكار واستغلال وان قواعد الشريعة وأحكامها العامة وروحها تبيح للدولة في مثل هذه الحالة أن تتدخل لمنع هذا الاستغلال ولتحمي مصالح الجماعة الإسلامية أمام استغلال تلك الطبقة من التجار . من أجل هذا ذهب مالك رحمه

الله إلى جواز التسuir لدفع الضرر عن الناس. يقول ابن القيم في كتابه *الطرق الحكيمية* :

(وعلى صاحب السوق الموكل بمصلحته أن يعرف ما يشترون به فيجعل لهم من الربح ما يشبه وينهاهم أن يزيدوا على ذلك ويفقد السوق أبداً، فيمنعهم من الزيادة على الربح الذي جعل لهم، فمن خالف أمره عاقبه وأخرجه من السوق ، وهذا قول مالك في رواية أشهب وإليه ذهب ابن حبيب وقال به المسب)^(٤٩) .

(٤٩) *الطرق الحكيمية* لابن القيم ص ٢٥٥ ط مطبعة السنة الحمدية سنة ١٩٥٣ م
بتحقيق محمد حامد المفقي .

الأدلة على جواز التسعير من كلام الفقهاء والمعاصرين

ويقول د. محمد فاروق النبهان في كتابه القيم (الاتجاه الجماعي في التشريع الاقتصادي الإسلامي) : « وما لاشك فيه أن التسعير واجب إذا اقتضته مصلحة الجماعة لأن التسعير المنهي عنه هو تدخل الدولة حيث لاحاجة لتدخلها، أي عندما يبيع التجار

بضائعهم بشمن المثل وعندئذ يعتبر تدخل الدولة لافائدة منه، أما إذا كان التجار جشعين ومستغلين وهددوا بهذا الجشع والاستغلال مصلحة الأمة فعندئذ يختلف الحكم »^(٥٠) وهذا ما عبر عنه ابن القيم بقوله : « التسعير منه ما هو ظلم محروم ومنه ما هو عدل جائز. فإذا تضمن ظلم الناس وإكراههم بغير حق على بيع بشمن لا يرضونه، أو منعهم مما أباح الله لهم فهو حرام وإذا تضمن العدل بين الناس مثل إكراههم على ما يجب عليهم من المعاوضة بشمن المثل ومنعهم مما يحرم عليهم منأخذ الزيادة على عوض المثل فهو جائز بل واجب »^(٥١)

(٥٠) الاتجاه الجماعي في التشريع الاقتصادي الإسلامي د. محمد فاروق النبهان ص ٣٨٠-٣٨٥

(٥١) الطرق الحكمة لأن القيم ص ٢٩٩، وانظر الحسبة في الإسلام لابن تيمية ص ١٤.

ويقول ابن القيم أيضاً: « ومن أقبح الظلم أن لا يلزم بيع الطعام أو غيره من الأصناف إلا ناس معروفون ، فلا تباع تلك السلع إلا لهم ، ثم يبيعونها لهم بما يريدون ، فلو باع غيرهم ذلك منع وعوقب فهذا هو البغي في الأرض والفساد والظلم يجبر به قطر السماء وهو لاء يجبر التسعير عليهم لا يبيعون إلا بقيمة المثل ولا يشتروا إلا بقيمة المثل بلا تردد في ذلك عند العلماء فالتسuir في مثل هذا واجب بلا نزاع وحقيقة إلزامهم بالعدل ومنعهم من الظلم »^(٥٢) . ويضيف د. نهان جزاء الله خيراً في مبحثه القيم المشار إليه آنفًا : « وهكذا يتبيّن لنا أنه يجوز للدولة الإسلامية ، بل يجب عليها أن تتدخل في الشعور الاقتصادية فتنبع الاحتكار وتبيّع الأموال المخكرة بشمن رغمًا عن

أصحابها وتقوم بتحديد الأسعار إذا أساء التجار في معاملاتهم للناس دفعاً للأضرار التي تلحق المجتمع من جراء ترك الأسعار مطلقة بدون تحديد لأن مصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الأفراد وأن النصوص التي تمنع التسعير معللة بـألا تؤدي حرية الأسعار إلى الأضرار بالناس ، فإذا أدت تلك الحرية إلى الأضرار فعندئذ لانحصار بين العلماء على ضرورة التسعير »^(٥٣) .

(٥٢) الطرق الحكيمية لابن القيم ص ٢٨٦ وانظر الحسبة في الإسلام أيضاً ص ١٥٩ .

(٥٣) الاتجاه الجماعي في التشريع الاقتصادي الإسلامي د. محمد فاروق النهان ص ٢٨٤ .

هل لرئيس الدولة في الاسلام مخصصات؟

هل لرئيس الدولة في الاسلام مخصصات؟ وهل هذه المخصصات — إن وجدت — موجهة لتكفي رئيس الدولة شخصياً أم أنها لعشائره وقبيلته وحاشيته ومهرجيه وعلمانيه كما حصل في العهدين الاموي والعباسي وكما يحصل اليوم في عهد ملوك الطوائف؟ لندع عمر بن الخطاب يتحدث في ذلك لامسوه؛ فقد أخرج ابن سعد في طبقاته كلمات الفاروق وهو يتحدث عن ذلك فيقول:

ما هي مخصصات رئيس الدولة؟

«إتها حلتان: حلة في الشتاء وحلة في القيظ وما أήج عليه واعتمر من الظهر وقوتي وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم ثم أنا بعد ذلك رجل من المسلمين يصيّبوني مأاصابهم»^(٥٤).

وها هو أبو بكر يسارع إلى السوق صبيحة يوم استخلافه على رأسه أثواب يريد أن يتجرّ فيها، وقد كاد يفعل، لو لا أن منعه عمر

(٥٤) الطبقات لابن سعد ج ٣ ص ١٩٧.

وأبو عبيدة ليفرغ لأمور المسلمين ، إذ قال له : كيف تصنع هذا وقد
وليت أمور المسلمين ؟ قال : فمن أين أطعم عيالي ؟ قالوا : نفرض
لک . ففرضوا له كل يوم شطر شاة .

خصصات الخلفاء الراشدين

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي بكر بن حفص قال : قال أبو
بكر — لما احضر — لعائشة رضي الله عنها :
« يابنية إنا قد ولينا أمر المسلمين فلم تأخذ لنا ديناراً ولا درهماً ،
ولكنا أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ، وليسنا من خشن ثيابهم
على ظهورنا ، ولم يق عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا
العبد الحبيبي وهذا البعير الناضح وجرد هذه القطيفة ، فإذا مت
فابعثي بين إللي عمر » ^(٥٦) .

فلما مات أبو بكر أرسلت بذلك إلى عمر ، فقال عمر :
« يرحمك الله يا أبا بكر ، لقد اتعبت من جاء بعدهك » ^(٥٧) وأخرج
عن أبي أمامة بن سهيل بن حنيف قال :

« مكث عمر زماناً لا يأكل من مال بيت المال شيئاً حتى
دخلت عليه في ذلك خصاصة ، فأرسل إلى أصحاب رسول الله
عليه السلام ، فاستشارهم ، فقال : قد شغلت نفسك بهذا الأمر فما يصلح

(٥٥) إرشاد الساري للقسطلاني ج ٥ ص ٥٠ .

(٥٦) رواه ابن أبي الدنيا وهو خطوط انظر ص ٧٨ .

(٥٧) المرجع السابق .

لي فيه؟ فقال علي كرم الله وجهه: غداء وعشاء يا أمير المؤمنين،
فأخذ بذلك عمر «^(٥٨)».

وأخرج ابن سعد عن ابن عمر أن عمر الخليفة بن الخطاب
كان إذا احتاج — وهو الخليفة — أقى صاحب بيت المال (أبا

عبيدة بن الجراح). فاستقرضه، فرماه أعسر، فلأنه صاحب بيت
المال يتقاضاه فيلزمها، فيحتال له عمر ورماه خرج عطاوه
تقاضاه «^(٥٩)».

ال المسلمين يفرضون المخصصات لل الخليفة:

وقد تعددت الروايات في هذا الموضوع تضييقاً وتوسيعاً ولكنها
كلها متفقة بأن تحديد المخصصات لل الخليفة لا يقوم بها الخليفة

نفسه، والأمر الثاني أن المخصصات له شخصياً ولا يستلزم من بيت
المال مخصصات أحد من عائلته أكثر من أي أعطيه لأي مسلم من
مستحقها.

جواز أخذ الخليفة من مال المسلمين ما يسد حاجته فقط:

وال الخليفة فرد من أفراد المسلمين له حق في بيت مالهم كسائر
الناس، فلأنه منه ما يأخذ منه سائر الناس ولهم أجرة عمله في بيت

(٥٨) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٣٩.

(٥٩) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٤١.

مال المسلمين لكنه لا يتصرف في بيت المال كيف يشاء. ومع أن المسلمين كانوا قد فرضوا لكل من أبي بكر وعمر مقداراً من المال نظير تفرغهما للقيام بمهام الخلافة، إلا أن كلاًًاً منهما كان يأخذ ما يحتاج إليه فعلاً من هذا المقدار المفروض له ليسد ضروراته ويتوارع
أخذ ما زاد عن حاجته، فيزيد ما بقي من هذا المقدار الذي فرضه له المسلمين إلى بيت المال.

كيف كان موقف رسول الله ﷺ من الحرفين والعمال

حال العرب قبل الإسلام:

عندما جاءت الدعوة الإسلامية كانت الكلمة تحمل مساحة كبيرة من اهتمامات العرب. وكان لكل قبيلة شاعر يبيع كلماتها في سوق عكاظ إما مفاحراً أو هاجياً. في غضون ذلك ضاعت كثير من الحقوق وسادت كثير من المظالم وتكرش الكثير من أرباب الشعر والكلام. ومن يدرس الشعر الجاهلي كقيمة سياسية واقتصادية واجتماعية — لا كفن أدبي — يدرك ذلك تمام الإدراك.

وظيفة الدولة الإسلامية ببناء حضارة تعتمد على العمل:

وجاءت الدعوة الإسلامية والدولة الإسلامية الجديدة في المدينة المنورة وعلى رأسها رسول الله ﷺ لتلغى كل ذلك وتحاول أن تبني حضارة جديدة تقوم على العمل لا الكلمة وتطرح في برنامجهما عاملاً لا شاعراً. وتلك قيمة جديدة في وسط الجزيرة الإنساني. كان العرب قبل الإسلام يعتمدون في حياتهم على الرعي والصيد والنهب والسلب وحراسة القوافل التجارية الراiahة والغادرة بين اليمن والشام

وكانوا يعترفون بل يتباهون في أشعارهم بعض هذه الأعمال كالنهب والسلب والقتل والسطو، ويزدرون سائر الحرف كالزراعة والصناعة والملاحة والتجارة.

احتقار العرب بعضهم البعض بسبب ما يمارسون من المهن:

وقد استغل أهل الحواضر — وهم قلة — ما أدنى منه أهل الباادية — وهم الأكثرون — في الجزيرة العربية فكان منهم الزراع كأهل المدينة والتجار كأهل مكة، غير أنه يعني أشمل ذلك كثير من المهن والحرف مزدراً يغير بها أصحابها.

فالتميميون — بني تميم — كانوا يعيرون الأزديين بأنهم بحارة لأن أبناء عمومتهم في عمان كانوا يستغلون بالملاحة، والقرشيون كانوا يحتقرن أهل المدينة لأنهم زراع. وحين لقى أبو جهل مصرعه في غزوة بدر، لم يأسف على مقتله بقدر ما أسف على انتهاء حياته بيد المسلم الأكار (الفلاح) إذ يقول وهو يل蜚ظ أنفاسه الأخيرة: «فلو غير أكار قتلني» أراد به احتقاره وانتقاده أي: كيف مثل الأكار يقتل مثله أبو جهل^(٦٠). كذلك قال أبو جهل عندما ارتقى ابن المسعود — الصحابي الجليل — عنقه: «لقد ارتقيت مرتفقى صعباً يا رويعي القنم»^(٦١) وهو قول يعكس احتقار أبي جهل العربي والقرشى

(٦٠) — صحيح البخاري ج ٥ ص ٤٨٦ وانظر النهاية في غرب الحديث والأثر لابن الأثير ج ١ ص ٧.

(٦١) — سيرة النبي لأنش هشام ج ٥ ص ٢٧٧.

للإجارة على رعي الغنم وما أشبه من الأجرارات، مثله في ذلك كمثل ما يسمون بـ«أشراف العرب» أي الذين يترفون عن كل حرفه، أو لم يعلم أبو جهل لعنه الله وأشراف العرب (بأن رسول الله ﷺ كان يرعى غنم أهل مكة مقابل بعض قراريط)^(٦٢) بجانب احتقارهم للعمل والمهن والحرف، كانت العرب تبجل الشعراء الذين يمدحون الناس مقابل الدراهم.

التصور الاجتماعي الجديد للعمل :

و جاءت الدعوة الجديدة لتحدث انقلاباً في القيم الاجتماعية وتلغي إلغاء سائر القيم الجاهلية المتعلقة بالحرف والعمل والعمال والمهن. جاءت الدعوة الإسلامية بتصور اجتماعي جديد للعمل والعمال والمهن والحرف والصناعات والزراعة بل وحتى للشعر حيث طمحت أن تحوله وتوظفه في التغيير الاجتماعي الذي كانت تنشده بعد أن كان أداة قبلية في تكريس الوضع الجاهلي التخلف لم تقل الدعوة الإسلامية الجديدة بأن العمل الشريف كرامة فحسب بل رفعته إلى مستوى العبادة والجهاد في سبيل الله.

فضل العمل

قال صحابة رسول الله ﷺ وقد رأوا شاباً قوياً يسرع إلى عمله وحرقه: لو كان هذا في سبيل الله. فيقول عليه الصلاة

(٦٢) — فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ج ٤ ص ٣٤٩.

والسلام : إن كان قد خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبارين فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله ^(٦٣) .

ولقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل مناسبة يؤكد احترام الدعوة الجديدة للعمل والعمل والحرفة ولا يستكف — كما فعل أرباب العرب في الجاهلية — عن القيام بأوضع الأعمال : فكان يغرس النخل بيديه ، ويرفع ثوبه ، ويختصف نعله ، ويجلب شاته ، ويعقل يعيره ، ويعرف ناضجه ، ويخدم ضيفه بنفسه ، بل ويخدم خدمه ، حتى ليقول أنس : خدمته — أي رسول الله — نحو من عشر سنين فوالله ما صحبته في سفر ولا حضر لأن خدمه إلا وكانت خدمته لي أكثر من خدمتي له ^(٦٤) . ولقد أكد القرآن — دستور الدعوة الجديدة — بأن كل أنبياء الله ورسله كانوا من أصحاب الحرف ومن يبيعون قوة عملهم : إذ عمل زكريا نجارة ، وعمل داود زرادة ، وعمل

(٦٣) — رواه الطبراني في المجمع الكبير ورجاله رجال الصحيح ج ١٩ ص ١٢٩ تحقيق حمدي عبد الجيد السلفي ط : مطبعة الأمة — بغداد .

ورواه الطبراني أيضاً في الصغير ج ٢ ص ٦٠ ط الثانية ، المدينة المنورة سنة ١٩٦٨ م قال الشيخ حمدي عبد الجيد حرق الطبراني الكبير : رواه المصطفى في الأوسط (٢٥٢) مجمع البحرين) وقال لأبيه عن كعب بن عجرة إلا بهذا الإسناد ، تفرد به محمد بن كثير ، وهو في ثلاثة بإسناد واحد .

(٦٤) — نهاية الأربع للنوري ج ١٨ ص ٢٦٣ .

موسى أجيراً، وكل رعن الغنم. كذلك لم يستكشف الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو ابن عم رسول الله عليه السلام وزوج ابنته أن يعمل أجيراً عند يهودي لقاء ثمرات معدودات. فقد روى ابن ماجة عن ابن عباس قال: أصاب نبي الله عليه السلام خصاصة، فبلغ ذلك علياً، فخرج يلتمس عملاً يصيب فيه شيئاً ليقيس به رسول الله عليه السلام فاتى يستاناً لرجل من اليهود فاستسقى له سبعة عشر دلواً، كل دلو بتمرة، فخирه اليهودي من ثمره سبع عشرة عجوة فجاء بها إلى النبي عليه السلام^(٦٥). حتى حرفة كنس العذرة أى تنظيف الغائط (والتي نسميتها عندنا في الكويت: الصوخة) كتب عنها الفقهاء بأنها ضرورة اجتماعية لابد أن يقوم بها أحد من المسلمين لأن في دفع أذية عن الناس. يقول الكاساني في بداع الصنائع: «يجوز الاستشجار لنقل الجيف والنجاسات لأن فيه دفع أذيتها عن الناس فلو لم تضرر بها الناس»^(٦٦).

الدعوة الإسلامية جاءت بقيمة العمل الحقيقة

خلاصة ما يريد أن نذهب إليه هو أن الدعوة الجديدة من خلال دستورها — القرآن — ومن خلال داعيتها الأول عليه السلام ألغت

(٦٥) — سئن ابن ماجه ج ٢ ص ٨١٨ حديث ٢٤٤٦ قال محققته: في الرواية: في إسناده حنش وأسحه حسين بن قيس ضعفه أحمد وغيره.

(٦٦) — بداع الصنائع للكاساني ج ٤ ص ٨٩.

ونقضت المفهوم العربي الجاهلي القبلي للعمل والحرفة والعمال وزرعت من المجتمع ترسيبات ألي جهل العربية ونفسيته القبلية المريضة التي كانت سائدة قبل مجيء الدعوة ذلك لأن الدعوة الجديدة كانت بقصد بناء حضارة جديدة تقوم دعامة العمل ومن خلال العامل وتلغى حضارة الكلمة التي كانت تقوم أساساً على دعامة الشاعر وشتان بين الحضارتين في ميزان التاريخ .

هل كانت ذات عمر بن الخطاب كرئيس للدولة الاسلامية مصونة؟

ال الخليفة في الاسلام كأحد آحاد الناس أمام القضاء

هل كانت ذات عمر بن الخطاب كرئيس للدولة الاسلامية مصونة؟ هل كانت ذات أبو بكر الصديق كرئيس للدولة الاسلامية مصونة؟ تنص معظم دساتير الدول العربية و (الاسلامية؟) عن رؤسائها وامرائها وملوكها بأنها: « ذات مصونة لا تمس ولا تجوز مخاصمتها باسمه في المحاكم »^(٦٧) ما موقف النظام الاسلامي السياسي من هذه القضية الخطيرة؟ النظام الاسلامي يكاد يكون النظام الوحيد الذي لا يشتري أحداً – مهما كان شأنه – في الشول بشخصه أمام القضاء الاسلامي ولو كان الخليفة نفسه، فلا تعرف الشريعة الاسلامية حصانة لأحد في مواجهة القانون الاسلامي كما لا تخص فرداً أو فتة أو عائلة بقانون يخالف ما يطبق على باقي المسلمين. فالمبدأ في الشريعة هو وحدتها. وتطبيقاً لهذا المبدأ حرص النبي ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده على الحضوع لأحكام

(٦٧) انظر معظم دساتير الدول العربية والإسلامية.

الشريعة وتنفيذها على أنفسهم. فقد خرج النبي ﷺ أثناء مرضه الأخير بين الفضل بن العباس وعلي بن أبي طالب حتى جلس على المنبر ثم قال :

خطبة الرسول في المساواة

« أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كَنْتُ جَلَدْتُ لَهُ ظَهْرًا فَهَذَا ظَهْرِي فَلَا يَسْتَقْدِمُ مِنْهُ وَمَنْ كَنْتُ شَتَّمْتُ لَهُ عَرْضًا فَهَذَا عَرْضِي فَلَا يَسْتَقْدِمُ مِنْهُ وَمَنْ أَخْدَتُ لَهُ مَالًا فَهَذَا مَالِي فَلَا يَأْخُذُ مِنْهُ . وَلَا يَخْشِي الشَّهْنَاءَ مِنْ قَبْلِ إِنَّهَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِي . أَلَا إِنَّ أَحْبَبْتُمُ إِلَيْيَّ مِنْ أَخْدَمْتُ مِنْيَ حَقًاً أَنْ كَانَ لَهُ أَوْ حَلَّ لَنِي فَلَقِيتُ رَبِّي وَأَنَا طَيْبُ النَّفْسِ » (٦٨) ثُمَّ نَزَلَ فَصْلُ الظَّهَرِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَنْبَرِ فَعَادَ لِمَقَاتِلَتِهِ ، كَذَلِكَ كَانَ الْخَلِيفَةُ أَبُو بَكْرٍ وَمَنْ بَعْدَهُ عَمَرٌ يَعْطِي الْقُوَّدَ مِنْ نَفْسِهِ .

أمثلة في المساواة

وأبلغ ما يستشهد به في المساواة بين الناس أمام القانون ما كان من أمر جبلة بن الأبيهم وكان من ملوك آل جفنة، أسلم هو وقومه وحضر لزيارة عمر بن الخطاب في المدينة — العاصمة السياسية للدولة الإسلامية — في خمسينات من أهله واتباعه ففرح به عمر كفوة جديدة مؤازرة للإسلام وأدى مجلسه وخرج معه للحج. وبينما جبلة يطوف حول الكعبة وطىء ازاره رجل من بني فزارة فانخل،

(٦٨) — ابن الأثير ج ٢ ص ٥٤.

فأخذت جبلة ابن الأبيه العزة بالاثم وضرب الفزارى على وجهه
فحطم أنفه . فذهب الفزارى إلى عمر يشكى ابن الأبيه . فاستدعاى
عمر ابن الأبيه بحضور الفزارى وأقر ابن الأبيه بما هو منسوب إليه ،
فقال له عمر : لقد أقررت ، فاما أن ترضى الرجل وأما أن أقصى منك
بهش أنفك . فقال جبلة : وكيف ذاك يا أمير المؤمنين وهو سوقة وأنا
ملك ؟ فقال عمر : إن الاسلام قد سوى بينكما فلست تفضله إلا
بالتقوى والعافية . قال جبلة : قد ظنت يا أمير المؤمنين أنى أكون
بالياسن أعز مني في الجاهلية . قال له عمر في حرم : دع عنك هذا
فإنك إن لم ترضي الرجل اقصى منك . قال جبلة : أنا انتصر .
قال عمر : إن انتصرت ضربت عنك لأنك قد أسلمت فان ارتدت
قتلتك . فقر جبلة بليل إلى القدسية وتنتصر . فعمر يحرض على
تأكيد المساواة أمام الشريعة ولو أدى الأمر إلى فقد كسب كبير
للإسلام من القوى المؤيدة له ، وقد جرى العمل في الاسلام على
مقاضاة الخلفاء بأسمائهم المجردة وبأشخاصهم تماماً كما يحكم سائر
الناس أمام القاضي . وليس هناك في الشريعة الاسلامية جهات أو
درجات متعددة للقضاء . ومن ذلك أن الخليفة علي بن أبي طالب
فقد درعاً ووجدها مع يهودي يدعى ملكيتها فقال له : بيني وبينك
قاضي المسلمين فمحاكما إليه وحضر الامام علي رضي الله عنه واليهودي
أمام القاضي فحكم القاضي لصالح اليهودي لأنه حائز للدرع

والحيازة سند الملكية مالم يثبت العكس^(٦٩). وأخذ عمر بن الخطاب فرساً من رجل على سوم فحمل عليه فعطب فخاصم الرجل عمر فقال عمر: أجعل بيني وبينك رجلاً. فقال الرجل: أني أرضي شرعي العراق. فمثل عمر والرجل أمام شرعي فقال شرعي لعمر: أخذته (أي الفرس) صحيحأً فانت له ضامن حتى ترده صحيحأً سليماً فأدلي عمر ثمنه للرجل ولم يكفل بذلك بل عين شرعيأً قاضياً^(٧٠). فلا ذات مصونة في الاسلام إلا ذات الله القوي العزيز الجبار.

(٦٩) — ابن الاتير ج ٣ ص ٢٠١ .
(٧٠) — الام للشافعى ج ٦ ص ٢٦٨ .

ظلم الحاكم للناس وتعطيل حرياتهم الشرعية من أكبر المعاصي عند الله

حكم الحاكم الظالم في الشرع

إذا كان الفسق الشخصي في السيرة الخاصة معصية لله، فظلم الناس، والجور في الحكم، وأكل حقوق الناس بالباطل، وتعطيل حرياتهم الشرعية من أكبر المعاصي عند الله. إذ أن الفسق الشخصي يظل ضرره يدور في مدار فردي، بينما ظلم الناس والجور في الحكم وأكل حقوق الناس بالباطل والتمييز عليهم وتعطيل حرياتهم الشرعية في التعبير وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن الضرر من وراء ذلك يصيب الجماعة كل الجماعة ويؤثر تأثيراً كبيراً على كيانها. فإذا كان الحاكم يقرب شرار الناس ويمارس التجارة في الرعية ويأكل من المال العام ما لا يحق له أن يأكل ويؤثر أقاربه على الناس ويعطيلهم ما لا يستحقونه في الشرع ويغضض الذين يقولون الحق ويؤلب عليهم الناس ويحاربهم ويعطل حرياتهم الشرعية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويفتح البلد للمفسدين ويشجعهم ويدعمهم بالمال ويفتح لهم آفاق الاعلان والاعلام حتى يشيع الفساد وتسخدر الامة ويصير الناس سكارى لا يستطيعون أن يمارسوا إلا حريات الهبوط إذا

كان الحكم يسير بهذه السيرة وفوق هذا وذاك يعطي حدود الله ويولي أعداء الله فهو كافر مهما صلى وصام وحج البيت الحرام وحمل من أسماء الإسلام. أولئك هم دعاة على أبواب جهنم من أحبابهم إليها قذف فيها ، قال أبو حذيفة : يارسول الله ، صفهم لنا ، قال : « هم من جلدتنا ويتكلمون بالستنا »^(٧١) . لقد حذرنا رسول الله ﷺ من هؤلاء — أمراء السوء — وحدد لنا الموقف الذي يجب أن نقفه ونتحذى بهم ومن لف في لفهم :

موقف المسلمين من أمراء السوء :

١ — عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، قال رسول الله ﷺ : « سبلي أمركم من بعدي رجال يعرفونكم ما تذكرون وينذرون عليكم ما تعرفون فمن أدرك ذلك منكم فلا طاعة لمن عصى الله عز وجل »^(٧٢) .

٢ — عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا قال رسول الله ﷺ : « ليأتين عليكم أمراء يقربون شرار الناس ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها ، فمن أدرك ذلك منكم فلا يكون عريضا ولا شرطيا ولا

(٧١) فتح الباري ١٦ / ١٤٥.

(٧٢) رواه الحكم ج ٣ ص ٣٥٦ وقال الحكم: صحيح ورده الذهبي بقوله: تفرد به عبد الله بن واقد وهو ضعيف. والحديث صحيح الألباني، انظر صحيح الجامع الصغير للسيوطى بتحقيق الألبانى ج ٣ ص ٢١٨ ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة لحمد ناصر الدين الألبانى ج ٢ ص ١٢٨ حديث ٥٩٠ نشر المكتب الإسلامى ط ١٩٧٢ م.

جايها ولا خازنا»^(٧٣).

٣ — عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله عليه السلام خطيبا فكان من خطبته أن قال : « ألا إني أُوشك أن أدعى فأجيب فيليكم عمال من بعدي يقولون ما يعلمون ويعملون بما يعرفون وطاعة أولئك طاعة ، قتلبئون كذلك دهرا ثم يليكم عمال من بعدهم يقولون ما لا يعلمون ويعملون ما لا يعرفون ، فمن ناصحهم ووازرهم وشد على أعضادهم فأولئك قد هلكوا وأهلکوا ، خالطوهم بأجسادكم وزايلوهم بأعمالكم وشهدوا على المحسن بأنه محسن وعلى المسيء بأنه مسيء »^(٧٤).

٤ — عن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله عليه السلام : « تكون أماء يقولون ولا يرد عليهم يتهاون في النار يتبع بعضهم بعضاً »^(٧٥).

اللهم إن الأرض ملئت ظلماً وجوراً، اللهم فارح الناس.

(٧٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه ١٥٥٨ — موارد وساق إسناده ، وقال الألباني وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال الشياعين غير عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود وهو ثقة ، وأحمد بن علي بن المثنى أبو بعل الموصلي وهو ثقة حافظ ، وقد أخرجه في مسنده ، فقال المishi في الجمع ٥ / ٢٤٠ رواه أبو بعل ورجاله رجال الصحيح ، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير ص ١١٧ والخطيب في تاريخ بغداد (انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة — حديث رقم ٣٦٠ للشيخ محمد ناصر الدين الألباني).

(٧٤) رواه الطبراني في الأوسط ١ / ١٩٦ / ٢ والبيهقي في الزهد قال الألباني السند صحيح (انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة — حديث رقم ٤٥٨).

(٧٥) رواه الطبراني في الكبير ج ١٩ ص ٣٤١ قال محقق : وإن كان في إسناده من هو متكلم فيه وانقطاع له طريق آخر ج ١٩ ص ٣٩٣ .

متى يعتبر الحاكم خائناً الله وللرسول وللمسلمين

خيانة الحاكم:

يعتبر الحاكم خائناً الله وللرسول وللمسلمين عندما ينحاز لأقربائه ومن والاه ضد عموم المسلمين حين تحديد المسؤوليات وتسلیم الولايات . فالمفترض بالحاكم المسلم أن يستعمل أصلح المسلمين على كل عمل من أعمالهم لأن استعمال الأصلح والأكفاء يأتي بمنفعة ومصلحة للجماعة الإسلامية بينما استعمال العكس يؤدي حتماً إلى ضرر كبير على الجماعة .

يقدم الأصلح الأحق على غيره في الأعمال عامة والمناصب خاصة:

يقول رسول الله ﷺ: «من ولی من أمر المسلمين شيئاً، فولی رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله»^(٧٦) وفي رواية: «من قُلِّدَ رجلاً عملاً على عصابة

(٧٦) رواه الحاكم في مستدركه ج ٤ ص ٩٢ و ٩٣ ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(الجماعة من الناس) وهو يجد في تلك العصابة أرضى منه ، فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين »^(٧٧) رواه الحاكم في صحيحه . وروى بعضهم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : من ولد من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً ملودة أو قرابة فقد خان الله ورسوله والمسلمين »^(٧٨) فيجب إذن على الحاكم أن يستعمل فيما تحت يده في كل موضع ومنصب أصلح من يقدر عليه وأكفاً من يقوم به . يقول ابن تيمية في السياسة الشرعية : (فإن عدل عن الأصلح الأحق إلى غيره ، لأجل قرابة أو ولاء أو عناقة أو صدقة أو موافقة في بلد أو مذهب أو طريقة أو جنس كالعربية والفارسية والتركية والرومية أو لرشوة يأخذها منه من مال أو منفعة أو غير ذلك من الأسباب أو لضعن (حقد) في قلبه على الأحق أو عداوة بينهما ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ودخل فيما نهى عنه في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخُونُوا أَمَانَاتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(٧٩) .

يضيف ابن تيمية : (فإن الرجل لحبه لولده أو لعتيقه قد يورثه في بعض الولايات أو يعطيه ما لا يستحقه فيكون قد خان أمانة ، كذلك قد يورثه زيادة في ماله أو حفظه ، يأخذ ما لا يستحقه أو

(٧٧) المرجع السابق .

(٧٨) في معناه حديث يزيد بن أبي سفيان في مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٩٣ وبيان في ص ٣٧ .

(٧٩) السياسة الشرعية لابن تيمية ص ٢٨ ، والآية ٢٧ من سورة الأنفال .

محاباة من يداهته في بعض الولايات، فيكون قد خان الله ورسوله و Khan Amānah)^(٨٠) انتهى .

قيل لعمر بن عبد العزيز : (يا أمير المؤمنين أفترت أفواه بنائك من هذا المال (أخلت أيديهم من المال وأفواههم من ملذات الطعام) وتركتهم فقراء لا شيء لهم . وكان في مرض مرته)^(٨١) فقال : أدخلوهم على ، فأدخلوهم وهم بضعة عشر ذكرا ليس فيهم بالغ . فلما رأهم أذرفت عيناه ، ثم قال : يا بني والله ما منعتكم حقا هو لكم ولم أكن بالذى آخذ أموال الناس فادفعها إليكم وأنا أنت أحد رجلين : إما صالح فالله يتولى الصالحين وإما غير صالح فلا أترك له ما يستعين به على معصية الله ، قوموا عنى)^(٨٢) . رحم الله عمرا وأمثال عمر . حقا إن الأمارةأمانة وإنها يوم القيمة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها .

حكام اليوم خونة :

والى يوم كما نرى ونشاهد ونلمس صار الحكماء خونة الله ورسوله وللمسلمين ، وضاعت الأمانة ، ووُسُدَّ الأمر إلى غير أهله ، وضاعت الحقوق وصار ولاة الأمر يتاجرون في الرعية مع أن رسول الله ﷺ قال : « إن أخون الحياء التجارية في الرعية »^(٨٣) .

(٨٠) السياسة الشرعية ص ١١ ط بيروت .

(٨١) سيرة عمر بن عبد العزيز لأبن الجوزي ص ٢٨٠ .

(٨٢) كنز العمال ج ٦ حديث ٧٨ .

القوة والأمانة ركنا الولاية:

وصارت المسئولية والولاية توسيع إلى من هو حال من القوة والأمانة وهو الركنان الأساسيان في ولاية الأمر بمقتضى قول الله وقول رسوله ﷺ، ولا حول ولا قوة إلا بالله وإنما الله وإنما إليه راجعون.

الولاء في الدولة الإسلامية لله ولرسوله وللمؤمنين

معنى الولاء :

الولاء في الدولة الإسلامية لله ولرسوله وللمؤمنين . والولاء لله برهانه الانقياد التام لشريعته وأحكامها والحرص على الندو عنها والمقاتلة من أجلها ومن أجل إنقاذ أحكامها حكماً حكماً ، وحرب أبي بكر رضي الله عنه لمنع الزكاة وقتالهم رغم إقرارهم بالشهادتين وصلاتهم وصيامهم خير دليل على ذلك . والولاء للمؤمنين يكون في الحرص على جلب المنافع لهم ودرء المفاسد عنهم والوقوف معهم وفي صفهم حسب الطاقة والقدرة في كل وقت وموضع . والولاء لله ولرسول وللمؤمنين جزء من العقيدة في الله والعبودية له وكل خروج على هذا الولاء هو خروج عن الملة الإسلامية والعياذ بالله . وإذا تصادم هذا الولاء لله ولرسول مع الولاء للأباء والعشيرة والعائلة فيجب أن ينحاز المؤمن لله ولرسوله وللمؤمنين غير عاتٍ بما يعقب ذلك :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أُولَاءِ إِنْ اسْتَحْبُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ، وَمَنْ يَتَوَهَّمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكُمْ هُمْ

الظالمون ﴿٨٣﴾.

﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تغوا منهم تقاه ، ويحدركم الله نفسه ، وإلى الله المصير ﴿٨٤﴾ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يأولنكم خجلاً وذروا ما عندم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد يبنا لكم الآيات إن كتم تعلقون ﴿٨٥﴾ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتوهם منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين ﴿٨٦﴾ .

كانت هذه الآيات وغيرها لمعالجة الولاء لله في نفوس الجماعة الإسلامية الأولى ، ذلك لأن بعض الذين كانوا يدخلون في الإسلام يحاولون المزاوجة بين ولائهم لله من جهة ولائهم لقومهم الذين ما زالوا على الكفر ، وروي عن ابن عباس أنه قال : كان الحجاج بن عمرو وابن أبي الحقيق وفيس بن زيد من اليهود ياطنون (يلزمون) نفراً من الأنصار يفتونهم عن دينهم ، فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله ابن جبر وسعد بن خيثمة لأولئك النفر ، اجتنبوا هؤلاء اليهود فأنى

(٨٣) سورة التوبه الآية ٢٣ .

(٨٤) سورة آل عمران الآية ٢٨ .

(٨٥) سورة آل عمران الآية ١١٨ .

(٨٦) سورة المائدة الآية ٥١ .

أولئك النفر إلا مباطلتهم فأنزل الله: ﴿ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٨٧).

أنواع العبودية:

إن الولاء لله جزء من العبودية له . يقول ابن تيمية رحمه الله في رسالة «ال العبودية » إن العبودية لله نوعان :

« عبودية قسرية تمثل في كون الله ربنا ومالكنا وكوننا خاضعين للقوانين التي جرى عليها الكون وال السنن التينظم بها الخليقة ، فنحن عباد الله بهذا المعنى — شيئاً أم أميناً .

« وهناك نوع آخر من العبودية لله نستطيع أن نسميه الخضوع الإرادي أو الانقياد الشرعي وهو الإقرار لله وحده بالعبادة والطاعة فيما شرعه لنا من قوانين لا تصبح نافذة وجارية في الواقع إلا بتدخل من إرادتنا وهو ما يعبر عنه ابن تيمية رحمه الله بـ « عبودية الألية » .

الولاء لله هو محض الحب لله :

وإن الولاء لله هو محض الحب لله: ﴿ قُلْ إِنَّ كُمْ تَحْبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوهُ يَحِبُّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذَنْبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تُولُوا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾^(٨٨).

روى الشیخان من حديث أنس مرفوعاً: « ثلاثة من كن فيه وجد حللاً الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب

(٨٧) سورة آل عمران الآية ٢٨ وانظر رواية ابن عباس في تفسير الطبراني ج ٣ ص ١٥٢ ط بيروت .

(٨٨) سورة آل عمران الآيات ٣١-٣٢ .

المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكرهه أن يعود في الكفر كما يكرهه أن يقذف في النار «^{٨٩}» وعنه أيضاً: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» «^{٩٠}».

وما رواه البخاري عن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيده عمر بن الخطاب فقال له عمر: لآت أحب إلى من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي، فقال النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك التي بين جنبيك» فقال عمر: فإنه الآن، والله لآت أحب إلى من نفسي، فقال له النبي ﷺ: «الآن يا عمر» «^{٩١}».

لذلك كله نقول أن عملية الانقياد السياسي التي يقع فيها المسلمون في هذا الزمان يجب أن تكون مشروطة بانقياد الزعامات السياسية لله ولرسوله وللمؤمنين، وإلا يكون هذا الانقياد السياسي باباً واسعاً يؤدي بنا إلى هاوية الكفر والعيادة بالله.

(٨٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج ١ ص ٦٦ و ٧٩، ١٥ / ٣٤٧ ط مصطفى الباجي الخلبي، وصحيح مسلم ج ١ ص ٦٦ حديث ٦٧ ط الأولى - عيسى الباجي الخلبي تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١٣٧٤ - ١٩٥٥ م.

(٩٠) فتح الباري ج ١ ص ٦٥، صحيح مسلم ج ١ ص ٦٧ حديث ٦٩، ٧٠.

(٩١) فتح الباري ج ١٤ ص ٣٢٠.

الله ينصر الدولة العادلة ولو كانت كافرة
ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة

ثمة رابط أساسي في تصور الإسلام السياسي بين العدل والظلم والنصر. الله سبحانه وتعالى يقف مع العدل وضد الظلم ومع الدولة العادلة وضد الدولة الظالمة لأن الهدف الأساسي من وراء إرسال الرسول وإنزال الكتب هو تحقيق العدل بين الناس وإفشاء الظلم والظالمين: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رَسُولًا إِلَيْنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^{٩٦}.

العدل برهان الإيمان والظلم برهان الكفر والعصيان: العدل والحكم العادل هو برهان الإيمان أو من أهم صفات الإيمان. والظلم والحكم الظالم هو برهان عملي على الكفر والجحود والعصيان الله ذلك لأنه استحلال لما حرم الله حتى على نفسه. ولا يقاس إيمان الحاكم بكثرة الركوع والسجود وبالمظهر الديني والاحتفال المبالغ فيه في المناسبات الدينية، بل يقاس في حرصه على العدل وتطبيق ذلك على نفسه وذويه قبل تطبيقه على المستضعفين من الناس

(٩٦) سورة الحديد الآية ٢٥.

«والذي نفسي بيده لو أن فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها»^(٩٣)، هكذا العدل وهكذا أهل العدل.

أسباب انهيار الدولة الإسلامية عدوها عن العدل:

دولة الإسلام انهارت تاريخياً، ليس لأن «القوى الخفية» تآمرت عليها أو خططت لأنها، فتلك القوى كانت ناشطة منذ أول يوم في الدعوة غير أنها فشلت في صدر الإسلام لحرص المسلمين على العدل ولحرص خلفائهم الراشدين على تفادي الظلم. انهارت دولة الإسلام في الفترات اللاحقة لأنها صارت دولة ظالمة، تنكب عن طريق العدل بين الناس وصار حكامها فوق الشريعة. هنا الظلم والفسق بلغ حداً جعل عمر بن عبد العزيز يصرخ ذات مرة في زمن الوليد بن عبد الملك ويقول: (الحجاج بالعراق والوليد بالشام وقرة بن شريك بمصر وعثمان بن حيان بالمدينة وخالد بن عبد الله القسري بمكة، اللهم قد امتلأت الدنيا ظلماً وجوراً فارح الناس)^(٩٤).

حرب الحرة عام ٧٣ هـ — أسبابها:

لا تمثل حرب الحرة ظلماً ما بعده ظلم؟ عام ٧٣ هـ وفي آخر أيام يزيد قرر أهل المدينة أن يزيد فاسق فاجر وظالم ثم ثاروا عليه وطردوا عامله على المدينة وأمروا عليهم عبد الله بن حنظلة فلما بلغ

(٩٣) فتح الباري ج ١٥ ص ٩٣.

(٩٤) ابن الأثير ج ٤ ص ١٣٢.

ذلك يزيد جعل مسلم بن عقبة (ويسميه السلف الصالح مسرف بن عقبة) على رأس اثنى عشر ألفاً لمحاجمة المدينة وأمره أن يدعوا أهلها إلى الطاعة ثلاثة أيام فإن رفضوا فليقاتلهم فإن هزيمهم فليجع المدينة بحده ثلاثة أيام .

نتائجها :

سار الجيش الأموي - على هذه الخطة حسب أوامر يزيد ووافت الواقعة وفتحت المدينة ثم ترك العسكر حسب أوامر يزيد ليفعلوا فيها ما يشاؤون وعلى مدى الأيام الثلاثة فنهيت كل ضاحية في المدينة وأعمل العسكر سيفهم في رقاب أهلها وأبادوا من فيها حتى هلك بأيديهم - حسب رواية الإمام الزهرى - سبعة ألف من الأشراف وقرابة عشرة ألف من بقية الشعب . يقول ابن كثير (حتى قيل أنه حيلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زواج) ^(٩٥) .

ولو فرضنا أن ثورة أهل المدينة كانت ثورة غير شرعية فهل كان ما فعله يزيد وجيشه مع مواطنين مسلمين من نفس البلد أو حتى متعددين غير مسلمين أو مخربين كافرين عملاً شرعاً من وجهة نظر القانون الإسلامي .

أهمية العدل :

العدل محمود لذاته ولو جاء من كافر ، والظلم مذموم لذاته ولو

(٩٥) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٢٠٣ ، ص ٣٧٢ ، ص ٢١٩-٢١١ .
وانظر أيضاً تفصيل هذه الحادثة المشينة في تاريخ الملوك والأمم لابن جرير الطبرى ج ٤ ص ٣٧٢ ، وابن الأثير ج ٢ ص ٣١٠ .

جاء من مؤمن ، لذلك ﴿ إن الله يحب المحسنين ﴾^(٩٦) ، ﴿ والله لا يحب الظالمين ﴾^(٩٧) ، والنصر للحاكم العادل والدولة العادلة ولو كانت كافرة ، والهزيمة للدولة الظالمة ولو كانت مؤمنة — كما يقول ابن تيمية^(٩٨) : العدل في السياسة الشرعية الإسلامية جزء من العقيدة الإسلامية ليس فقط جزء من السياسة الحكيمه . لذلك جاءت النصوص القرآنية لتأكيد ذلك : ﴿ وأمرت لأعدل بينكم ﴾^(٩٩) ، ﴿ إن الله يأمر بالعدل ﴾^(١٠٠) ، ﴿ قل أمر ربي بالقسط ﴾^(١٠١) ، ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾^(١٠٢) ، ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قرني ﴾^(١٠٣) .

حكم العدل :

العدل في الدولة الإسلامية وفي العقيدة الإسلامية واجب شرعي ينبغي التقيد به حتى مع الكافر : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين شهداء بالقسط ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو

(٩٦) سورة الحجرات الآية ٩.

(٩٧) سورة آل عمران الآية ٥٧.

(٩٨) الفتاوى لابن تيمية ج ٢٨ ص ١٤٦.

(٩٩) سورة الشورى الآية ١٥.

(١٠٠) سورة التحريم الآية ٩٠.

(١٠١) سورة الأعراف الآية ٢٩.

(١٠٢) سورة النساء الآية ٥٨.

(١٠٣) سورة الأنعام الآية ١٥٢.

أقرب للقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ^(١٠٤)، فما بالك مع المسلم المؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والتحامك إلى شرع الله والراضي به والمنافع عنه والمقاتل من أجله؟

حكم مناصرة الحكم الظالم:

يعلن الله في كتابه الكريم أنه لا يحب الظالمين — هكذا على الأطلاق — ولو قاموا الليل كله وصاموا الدهر كله؛ إذ أن الظلم ممارسة تناقض بشكل قبيح وجارح مع جوهر ومقتضى الدين. ومناصرة الحكم الظالم جزء من الظلم يترتب عليه كره الله لأنصار الظالم ووعيده لهم. لذلك يندم الظالمين وأعوانهم وقراهم ويتوعدون بالنار والجحيم والعذاب الأليم: «وَمَنْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ^(١٠٥)، فَكَأْيَنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكَنَا هِيَ ظَالِمَةً ^(١٠٦)، وَمَنْ يَتَعَدَّ حَدَّدَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ^(١٠٧)، وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ^(١٠٨)، وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ^(١٠٩)، وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَمَثْوَيُ الظَّالِمِينَ ^(١١٠).

(١٠٤) سورة المائدة الآية ٨.

(١٠٥) سورة الأنبياء الآية ١١.

(١٠٦) سورة الحج الآية ٤٥.

(١٠٧) سورة البقرة الآية ٢٢٩.

(١٠٨) سورة البقرة الآية ٤٥٤.

(١٠٩) سورة المائدة الآية ٤٥.

(١١٠) سورة آل عمران الآية ١٥١.

النصر من الله :

والنصر لا يكون إلا من الله، هكذا تعتقد الدولة الإسلامية الشرعية، لا يكمن النصر — في التصور السياسي الإسلامي — في موازنات الجيوش وفي الأسلحة التدميرية وفي عضلات الإرهاب والقمع، إنما يأتي النصر من الله.

متى يتحقق النصر؟

ولا تكون مستحقين لنصر الله إلا حين يرفع الظلم ويسود العدل ويفنى الظالم ويسود العادل.

ولكي يرفع الظلم ويسود العدل لا بد من الجهاد والصبر والأذى، ولا بد من طائفة مؤمنة تعمل ليل نهار في سبيل ذلك.

أما أنه — أي النصر — من الله: ﴿ وَمَا النصر إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾^(١١١)، ﴿ وَاللَّهُ يُؤْيدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾^(١١٢).

وأما أنه للمؤمنين لا للمستكينين على شرع الله: ﴿ وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١١٣).

وأما أنه لمن جاهد وصبر وأذى في سبيل الله: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾

(١١١) سورة آل عمران الآية ١٢٦.

(١١٢) سورة آل عمران الآية ١٣.

(١١٣) سورة الروم الآية ٤٧.

يمجدون ٠ ولقد كذبت رسيل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا
حتى أثاهم نصرنا ^{١١٤} .

أيها المؤمن كن مع العدل في كل زمان ومكان وضد الظلم في
كل زمان ومكان ، فهذا هو جوهر الدين القيم .

ليس لمُكرهٍ بيعة

شرحنا في السابق وبناءً على نصوص من الكتاب والسنّة الصحيحة الركيزة الأساسية التي تشكل المسوغ الجوهرى لقيام الدولة الإسلامية وهي ﴿لِيَقُومُ النَّاسُ بِالْقُسْطِ﴾^(١١٥)، أي لتحقق بينهم العدالة وليتعاملوا بينهم بالتصفّة^(١١٦)، وبيننا استناداً إلى نصوص أنَّ الله ينصر الدولة العادلة ولو كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مؤمنة نظراً للالتزام في التصور السياسي الإسلامي بين النصر والعدل وقد أشار إلى هذه القضية الإمام الحجة ابن تيمية في الفتاوى^(١١٧).

لهذا نجد أنَّ الفقهاء عندما عالجوا موقف الشريعة الإسلامية من موضوع الخلافة وما يتفرع عنها وموضوع الأحكام والأموال الشرعية المتعلقة بها وموضوع العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وواجباتهم تجاه بعضهم البعض والضوابط التي ينبغي أن تحكم تلك العلاقات، أقول نجد لهم حين تعرضوا لذلك كلَّه كانوا يتحرّون بكل دقة تحقيق

(١١٥) سورة الحديد الآية ٢٥.

(١١٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

(١١٧) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ج ٢٨ ص ٦٢.

المقصود الشرعي وهو العدل والقسط بين الناس والتخلف وبشكل نهائي من كل صور الظلم والتخانز السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي.

معنى الخلافة:

فتجدهم ينتظرون للخلافة — وهي المؤسسة السياسية في الإسلام — على أنها مؤسسة شرعية ينبغي أن تقوم على الرضى والاختيار ولا ينبغي أن يدخل فيها أي معنى من معانٍ الإكراه أو الإجبار.

بيعة الخليفة:

لذلك نجد الفقهاء — رضي الله عنهم وعن جميع المؤمنين — تفصلوا في موضوع البيعة وأثبتوا لنا أن الخليفة لا يصير خليفة شرعاً دون بيعة المسلمين التي تعطى له بالرضى والاختيار لا بالإكراه ولا بالإجبار. ومن هنا يتبيّن لنا أنه لا يكون أحد خليفة أو رئيساً للدولة الإسلامية إلا إذا ولأه المسلمين ولا يملك صلاحيات رئاسة الدولة الإسلامية إلا إذا تم عقده لها.

عقد الخلافة:

ولا يتم هذا العقد (عقد الخلافة) إلا من عاقددين أحدهما طالب الخلافة أو المطلوب لها، والثاني المسلمون الذين رضوا به أن يكون رئيساً لهم، وهذا كان لابد لانعقاد الخلافة من بيعة المسلمين.

السلط على الحكم لا تتعقد به بيعة:

وعلى هذا فإنه إذا قام مسلط واستولى على الحكم بالقوة فإنه

لا يصبح بذلك خليفة شرعاً ولو أعلن نفسه خليفة لأنه لم تتعقد له الخلافة من قبل المسلمين، ولو أخذ البيعة من الناس بالإجبار والإكراه والمال، لا يصبح خليفة ولو بوعي لأن البيعة بالإجبار والإكراه لا تعتبر بيعة شرعية ولا تتعقد بها خلافة شرعية، والمسلمون في حل من طاعته. لذلك نجد أن الإمام مالك وقف وقفة مضيئة في قضية البيعة لكي يؤكد للمسلمين حريةهم السياسية في اختيار الأفضل فالأفضل ولذلك أخذ عليه قوله: (ليس لمكره بيعة) ^(١١٨)، وقد عذب في عهد أبي جعفر المنصور وضرب بالسياط، مدت يده حتى انخلعت كتفاه.

قصة أبي حيفة وابن أبي ذئب مع الخليفة المنصور :

يروي ربيع بن يونس حاجب المنصور أن المنصور دعا ابن أبي ذئب والإمام أبي حنيفة وقال لهم: كيف ترون هذا الأمر الذي خولني الله تعالى فيه من أمر هذه الأمة، هل أنا بذلك أهل؟ قال ابن أبي ذئب للمنصور :

(ملك الدنيا يوئيه الله تعالى من يشاء وملك الآخرة يوئيه الله تعالى من طلبه ووقفه الله تعالى ، والتوفيق منك قريب إن أطعت الله تعالى وإن عصيته بعيد وإن الخلافة تكون بإجماع أهل التقوى من ولها ، وأنت وأعونك خارجون عن التوفيق عادلون عن الحق فإن سألت الله تعالى السلامة وتقررت إليه بالأعمال الزاكية كان ذلك وإن فانت

(١١٨) تاريخ ابن كثير ج ١ ص ٨٤ .

المطلوب) .

قال الإمام أبو حنيفة — والذى كان يقف بجانب ابن أبي ذئب : (كنا نجمع ثيابنا مخافة أن يقطر علينا من دمه) ثم التفت المنصور صوب أبي حنيفة وقال له : وما تقول أنت ؟ ، فقال أبو حنيفة :

(المسترشد لدينه يكون بعيد الغضب . إن أنت نصحت نفسك علمت أنك لم ترد الله باجتثاعنا هذا إنما أردت أن تعلم العامة أنا نقول فيك ما تهواه مخافة منك وقد وليت الخليفة وما اجتمع عليكثنان من أهل التقوى والفتوى ، والخلافة لا تكون إلا باجتناع المؤمنين وبيعتهم ومشورتهم) (١١٩) .

هدف الإسلام تحرير الإرادة السياسية للأمة الإسلامية :

هذه مواقف نضالية سياسية إسلامية إزاء قضية البيعة وهي الأمة في الاختيار السياسي والذى عن طريقه يهدف الإسلام تحرير الإرادة السياسية للأمة الإسلامية من كل القيود غير الشرعية ، وهى مواقف بحاجة ماسة لإعادة إحياء — لا على مستوى التدوين والتاريخ — بل على مستوى الممارسة مع حكام اليوم في عرض العالم الإسلامي وطوله . وهكذا إذن نجد أن الإسلام — وفق تصوره

(١١٩) مناقب الإمام للكردري ج ٢ ص ١٥ .

السياسي العقائدي — يعالج الاشكالية السياسية في المجتمع من خلال تأسيس قيادة سياسية تحظى برضى و اختيار و محبة و التأييد الطوعي من الأمة الإسلامية. وكل تعطيل لهذا الركيزة — ركيزة البيعة الطوعية الاختيارية للقيادة السياسية — هو تعطيل للمضـون السياسي المنشود والمقصود من وراء الخلافة حيث تجتمع الصلاحية السياسية للمجتمع المسلم.

الرقابة الشعبية على الحكم ضرورة شرعية

عندما عالج الفقهاء موضوع الاشكالية السياسية في المجتمع الإسلامي، نلاحظ أنهم تناولوا موضوع البيعة بالتفصيل والسبب هو أن الإسلام — في تصوره السياسي — يشدد على أن تكون القيادة مفرزة من خلال نظام اختياري طوعي خالٍ من كل ضروب الإجبار والإكراه.

تعريف الخلافة:

لذلك نظر الفقهاء للخلافة — باعتبارها رئاسة سياسية عامة — على أنها: (عقد مراضة و اختيار لا يدخله إكراه ولا إجبار) (١٢٠) على حد تعبير الفقهاء.

الرقابة الشعبية على الحكم:

وعندما تنتهي الأمة من مهمة الاختيار لقيادتها السياسية تبدأ تزاول بعدها المهمة الشرعية الأخرى واللزمرة لصلاح الأحوال كافة؛ أحوال القيادة السياسية المتمثلة بالحاكم وأعوانه ووزرائه وأحوال الأمة وسادها. هذه المهمة الشرعية هي مهمة: الرقابة الشعبية على

(١٢٠) الأحكام السلطانية، الماوردي ص ٤٦.

الحاكم، فالإسلام لا يعترف بالسلطة المطلقة إلا لله وحده: ﴿ وَفَعَلَ
اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾^(١٢١)، ﴿ لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ
يُسْأَلُونَ ﴾^(١٢٢)، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ ﴾^(١٢٣)، ﴿ فَعَالَ لَمَا
يَرِيدُ ﴾^(١٢٤).

طاعة الأنبياء والرسول والحاكم مشروطة بطاعة الله تعالى:

أما من هم دون الله — ويدخل في ذلك الأنبياء والرسول ونحاتهم محمد ﷺ — فحدود الطاعة لهم مشروطة بطاعة الله إذ لا طاعة في الإسلام إلا في حدود ما أنزل الله من حيث النص أو الروح. لذلك فحدود إطاعة الحاكم والدولة في الإسلام لا تكون إلا فيما يوافق شرع الله وقانونه. والدولة الإسلامية دولة قانونية وقانونها شرع الله وهو مضمون العقد السياسي القائم بين الأمة والقيادة السياسية في الدولة الإسلامية.

الأمة اختارت الحاكم ومن حقها مراقبته:

ورقابة الأمة على الحاكم — في السياسة الشرعية الإسلامية — حق من الحقوق الأساسية وتستمد الأمة هذا الحق من طبيعة علاقتها برئيس الدولة، فهي — في الإسلام — علاقة وكالة، وحيث أن الأمة

(١٢١) سورة ل Ibrahim الآية ٢٧.

(١٢٢) سورة الأنبياء الآية ٢٢.

(١٢٣) سورة الحج الآية ١٤.

(١٢٤) سورة الروح الآية ١٦.

اختارته ووكلته فمن حقها مراقبته للاطمئنان على حسن قيامه بما وكل
فيه من أمر عظيم.

أول منازل تقويم الحكم النصح:

وحق المراقبة للحاكم يقرره الإسلام ويريد به تقويم الحكم إذا
انحرف عن النهج القويم وأساء استعمال سلطنته وأول منازل التقويم
النصح. جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم في
صحيحه أن النبي ﷺ قال: «الذين النصيحة. قلنا من؟ قال: الله ولكتابه ولرسوله ولآئمة المسلمين وعامتهم»^(١٢٥)، وإذا لم يفدي
النصح فمن حق الأمة استعمال القوة الالزمة لتقويم الحكم وردعه عن
الظلم وعن سائر مظاهر الانحراف والاعوجاج، فقد جاء عن النبي
ﷺ: «والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد
الظالم أخذأً ولتأطرنه عن الحق أطراً ولتقصرنه عن الحق قصراً أو
ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما
لعنهم»^(١٢٦).

مراقبة الحكم:

يقول القاضي عياض: (فلو طرأ عليه «أي الخليفة» كفر
أو تغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته

(١٢٥) صحيح مسلم ج ١ ص ٧٤ حديث ٩٥.

(١٢٦) الحديث تقدم تخرجه انظر الحاشية رقم ٣٨.

ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل (١٢٧).
فمطلوب إذن من المسلمين أن يرافقوا الحاكم وما قد يطرأ عليه، ولا
يكفي أن يختار المسلمون الحاكم ويدعوه يفعل ما يشاء، فهذا حق الله
وحده.

حكم طاعة الظالم :

ومن ضمن ما قد يطرأ عليه هو الظلم والفسق وليس بالضرورة
الكفر، فهل مطلوب من المسلمين طاعة الظالم أو الفاسق؟ يقول
الفقيه أبو بكر الجصاص في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا ابْتَلَ
إِبْرَاهِيمَ رَبِّهِ بِكَلْمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمَنْ
ذَرْتَنِي قَالَ لَا يَنْهَا عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (١٢٨)؛ يقول الجصاص: (فلا
يجوز أن يكون الظالم نبياً ولا خليفة لنبي ولا قاضياً ولا من يلزم الناس
قبول قوله في أمور الدين ... فثبت بدلالة هذه الآية بطلان إمامية
الفاسق وأنه لا يكون خليفة وأن من نصب نفسه في هذا المنصب
وهو فاسق لم يلزم الناس اتباعه ولا طاعته) (١٢٩) .

خطبة أبو بكر :

في أول عهد أبي بكر رضي الله عنه وفي أول بيان سياسي له بعد

البيعة قال :

(١٢٧) .

(١٢٨) سورة البقرة الآية ١٢٤ .

(١٢٩) أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٧٩ .

(أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعيبوني وإن أساءت فقوموني ... لا يدع أحد منكم الجهاد في سبيل الله فإنه لا يدعه قوم إلا ضرهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم)^(١٣٠).

هكذا إذن يعالج الإسلام الاشكالية السياسية في المجتمع — وهي العلاقة بين القيادة السياسية والأمة — وتتلخص معالجة الإسلام لهذه القضية في نقطتين :

١ — لا بد أن تنفرز القيادة السياسية من خلال نظام اختياري طوعي .

٢ — لا بد — في كل الأحوال — أن يكون لدى الأمة حق المبادأ في تقويم القيادة ومراقبتها وتغييرها إن اقتضت مصالح المسلمين ذلك ومن حق المسلمين استحداث كافة التنظيمات لتحقيق هذه الغاية .

(١٣٠) تاريخ الأُمُّ والملوک للطبری ج ٢ ص ٤٥٠ وانظر ابن هشام ج ٤ ص ٣١١ .

الحقوق السياسية للفرد في ظل الشريعة الإسلامية

الحق الأول: حق الانتخاب:

للفرد في ظل دولة الإسلام حقوق سياسية شرعية ليس من حق أحد — كائناً من كان — أن يسلبه إياها. هذه الحقوق تنفرز من طبيعة العلاقة القائمة بين القيادة السياسية والفرد المسلم فهي علاقة قائمة على الرضا والاختيار ولا يجب أن يشرئها شيء من الإكراه أو الإجبار.

حق امتياز الفرد عن مبايعة الخليفة:

فالبيعة إما أن تكون عن رضى وقناعة وطوعية وإلا فلا تعتبر في الشرع ومن حق الفرد المسلم أن يمتنع عن المبايعة وأن يعلن ذلك وليس من حق رئيس الدولة أو غيره من دونه في السلطة أن يضايق — عبر أي إجراء — من امتنع عن المبايعة. وهذا هو سعد بن عبادة الصحابي المجاهد بماله ونفسه والذي صحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوته ضد المشركين والكافر يمتنع عن مبايعة أبي بكر رضي الله عنه في سقيفة بني ساعدة بعد أن بايع الناس أبا بكر، ولم يتخذ ضد

أي إجراء بوليسي كالذى نعيشه اليوم (١٣١).

قولة الإمام علي في الخوارج:

وهاهم الخوارج يطوفون في أسواق المدينة المنورة يحرضون الناس على شتم وقتل الإمام علي كرم الله وجهه فما كان منه إلا أن وقف في المسجد وقال لهم: (لا تمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ولا تمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا ولا نقاتلكم حتى تبدؤونا) (١٣٢).

لا يكون رئيس الدولة شرعاً إلا باتفاق عموم المسلمين:

هكذا يتبدى لنا أنه ليست في الإسلام قداسة لرئيس الدولة لأنه إنما جاءت بيعة الناس له لا بفضل ذاتي فيه فهو مسؤول أمام الناس وللناس الحق في الاجتراء عليه ورفع الصوت في الحديث معه وقد كان هذا شأن الجماعة الإسلامية الأولى مع الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين. وحيث أن رئيس الدولة في الإسلام لا يكون شرعاً إلا باتفاق عموم المسلمين عليه قال الفقهاء أمثال ابن تيمية وابن قدامة، وإليك أقوالهم في هذا

(١٣١) انظر موقف سعد بن عبادة وامتناعه عن مباعية أبي بكر رضي الله عنه في المقدمة لابن خلدون ج ٢ ص ٨٥٣ ، والطبقات لابن سعد ج ٣ ص ٣٠١ ، والمسعودي ج ١ ص ٥١٥ ، وابن الأثير ج ٢ ص ٣٢٥ ، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ٣٠١ .

(١٣٢) تاريخ الملوك والأمم للطبراني ج ٦ ص ٤١ .

الشأن: (الإمامية «أي رئاسة الدولة» تثبت بِمَيَّاَةِ النَّاسِ «لِرَئِيسِ الدُّولَةِ» لَا بِعَهْدِ السَّابِقِ لَهُ)^(١٣٣)، وكذلك: (من اتفقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى إِقَامَتِهِ وَبِعِيْتِهِ تَبَثَّ إِمَامَتِهِ وَوُجِبَتِ مَعْوِلَتِهِ)^(١٣٤).

إذا كان الأمر كذلك في السياسة الشرعية فلا بد أن يمتحن الفرد في ظل هذا النظام السياسي وفي إطار هذه الرؤية السياسية بحقوق سياسية جوهرية، فما هي هذه الحقوق السياسية المقررة في التشريع السياسي الإسلامي؟.

الحق الثاني: حق المعاشرة:

الحق الثاني للأفراد في دولة الإسلام — بعد حق انتخاب رئيس الدولة — هو حق المعاشرة، وهو في الحقيقة امتداد لحق الأمة في انتخاب رئيس الدولة وَمَبَايِعَتِهِ، فما دامت الأمة هي التي تختاره وهو وكيلها في إدارة شؤونها فمن حقها عليه أن يشاورها.

أقوال الفقهاء والمفسرين في المعاشرة:

وإذا كان الخطاب في آيات الشورى موجهاً إلى الرسول الكريم عليه صلوات الله عليه علَيْهِ السَّلَامُ عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِهِ وَعَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ عَنْدَ اللهِ، فَوجُوبُ المعاشرة على غيره من الحكام أوجب وألزم، وعلى ما قلناه تدلّ أقوال الفقهاء والمفسرين.

(١٣٣) منهاج السنة لابن تيمية ج ١ ص ١٤٢.

(١٣٤) المغني لابن قدامة ج ٨ ص ١٠٦.

١ - (لا غنى لولي الأمر عن المشاورة فإن الله تعالى أمر بها تبليه صلوات الله عليه) (١٣٥).

٢ - (إنما أمر الله تبليه بمشاورة أصحابه مما أمره بمشاورتهم فيه تعرضاً منه لأمته ليقتدوا به في ذلك) (١٣٦).

٣ - كذلك الرازى يقول: (قال الحسن وسفيان بن عيينة: إنما أمر النبي صلوات الله عليه بالمشاورة - ليقتدي به غيره في المشاورة ويصير سنة في أمته) (١٣٧).

مشاورة النبي صلوات الله عليه لأصحابه:

وما يؤكد حق المشاورة للأمة على حكامها أن النبي صلوات الله عليه على عظيم قدره ومتزلته وتأييده بالوحى، كان كثير المشاورة لأصحابه. شاورهم يوم بدر في الخروج للقتال وشاورهم يوم أحد أيقى في المدينة أم يخرج للعدو، وأشار عليه الحباب بن المنذر يوم بدر بالنزول على الماء فقبل منه، وأشار عليه السعدان: سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يوم الخندق بترك مصالحة العدو على بعض ثمار المدينة قبل منهما الرأي (١٣٨). وهكذا كان رسول الله صلوات الله عليه كثير المشاورة للجماعة الإسلامية حتى ذكر ابن تيمية أنه لم يكن أحد أكثر

(١٣٥) السياسة الشرعية لابن تيمية ص ١٥٧.

(١٣٦) جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبرى ج ٤ ص ٩٤، وتفسير القرطبي ج ٤ ص ٢٥٠.

(١٣٧) تفسير مفاتيح الغيب للإمام الرازى ج ٩ ص ٦٦.

(١٣٨) تفسير مفاتيح الغيب للإمام الرازى ج ٩ ص ٦٧.

مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ (١٣٩).

ترك المعاشرة يوجب عزل الحاكم:

ونظراً لثبوت حق الأمة في المعاشرة ولزومه على رئيس الدولة صرخ الفقهاء بأن ترك هذا الحق من طرف رئيس الدولة موجب لعزله في الإسلام. فقد جاء في تفسير القرطبي: (قال ابن عطية: والشوري من قواعد الشريعة وعظام الأحكام ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب) (١٤٠)، فلا بقاء إذن حاكم مستبد في دولة تقام على الإسلام.

(١٣٩) السياسة الشرعية ص ١٣٥.

(١٤٠) تفسير القرطبي ج ٤ ص ٢٤٩.

المضمون السياسي للشوري في التصور الإسلامي (١)

معنى المشاورة :

تقدّم بكم أننا بدأنا نطرق الحقوق السياسية للفرد في ظل الشريعة الإسلامية وكان أول حق نبحثه هو حق المشاورة أي حق الناس في أن يشاورهم ولي الأمر والحاكم قبل أن يبت في الأمور الهامة المتعلقة بمصالحهم وحربياتهم الشرعية. ونستكمل هنا البحث في المضمون السياسي لهذا الحق فنقول وبالله التوفيق :

الشوري في القرآن :

نجد أن في القرآن نصين واضحين في آياتين شهيرتين :

(١) ﴿فِي هَٰرَبَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَنْتَ هُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظَّاً غَلِظَ الْقَلْبَ
لَا نَفَضُّلُّا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأُمْرِ
فَإِذَا عَزَمْتَ فَوَكِلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١٤١).
(٢) ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى

(١٤١) سورة آل عمران الآية ١٠٩.

نجد في الآية الأولى أمرًا إلهياً للرسول ﷺ أن يشاور قومه وذلك لتأليف القلوب وإشاعة المودة بينهم نتيجة المشاورة وتعويذ المسلمين على هذا النهج في معالجة الأمور لأن في الرسول ﷺ الأسوة الحسنة لهم، فإذا كان يلتجأ إلى المشاورة فهم أولى بها. ونجد في الآية الثانية النص على الشورى كإحدى الصفات المميزة للمؤمنين والمذكورة بين صفات أخرى يمتازون بها وواجبة فيهم (الصلاوة والزكاة). يلاحظ كذلك أن الشورى كصفة ذكرت مباشرة بعد ذكر الصلاة للتأكيد على ضرورتها. هذا بالنسبة لثبوت النص على الشورى في القرآن.

الشورى في السنة:

وأما ثبوت النص على الشورى في السنة فنقول ما يأتي: والسنة حجة على جميع المسلمين وأصل من أصول تشريعهم ودليل من الأدلة الشرعية التي يجب الأخذ بها والعمل بمقتضها، والسنة هي ما أثر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير وتشتمل السنة على نوعين من الأحكام: الأحكام البينية لما ورد في القرآن الكريم، والأحكام المؤسسة التي وردت فيما لم ينزل به نص قرآني. أما بالنسبة لمبدأ الشورى فإن السنة الشريفة ليست مؤسسة له ابتداءً بل

جاءت مثبتة ومؤكدة لما ورد عنه في القرآن الكريم.

مارسات الرسول ﷺ للشوري:

بالنسبة للسنة الفعلية فقد حفلت ممارسات الرسول ﷺ بالشوري: في غزوة بدر وغزوة أحد وغزوة الأحزاب وصلح الحديبية وبيعة الرضوان.

أما بالنسبة للسنة القولية فقد روي عن الرسول ﷺ عدة أحاديث تأمر بالشوري وعلى الأخذ بها ومن تلك:

- (١) «ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم» (١٤٣).
- (٢) «ما خاب من استخار ولا ندم من استشار» (١٤٤).
- (٣) «ما سعد أحد برأيه ولا شقي مع مشورة» (١٤٥).
- (٤) «عن علي بن أبي طالب قال: سئل رسول الله ﷺ عن العزم فقال: مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم» (١٤٦).

(١٤٣) أخرجه ابن شيبة وابن حجر وابن المزار وابن أبي حاتم عن الحسن (انظر الدر المشور في التفسير بالتأثر للسيوطى) ج ٢ ص ٣٥٩ ط دار الفكر، التفسى ج ٤ ص ٢٦٦.

(١٤٤) رواه الطبراني في الصغير ص ٢٠٤ ط الحديبة، وانظر الأحاديث الضعيفة للألبانى ج ٢ ص ٧٨ حديث ٦١١ ط الأول، وضعيف الجامع الصغير ج ٥ ص ٩٢ حديث ٥٥٨ قال الألبانى: موضوع.

(١٤٥) هو طرف من حديث «رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس» ضعيف الجامع الصغير وزيادته ج ٢ ص ١٧٥ ط المكتب الإسلامي، رواه البيهقي في الشعب والعسكري والقضاعي. انظر المقاصد الحسنة للسخاوي ص ٢٢٢ نشر مكتبة المتن — بغداد سنة ١٩٥٦ م.

(١٤٦) رواه ابن مardonio عن علي رضي الله عنه (فتح القدير للإمام الشوكانى)

هل الشورى واجبة أم مندوبة؟

بعد هذا كله لا بد من البحث في مدى وجوب الشورى علىولي الأمر، أي هل يكون اللجوء للشورى أمراً واجباً (فرضياً) أم هو مندوب؟ فإذا كانت الشورى أمراً واجباً (فرضياً) كانولي الأمر والحاكم ملزماً أن يأخذ بها حيث أنه يوتكب إنما بتركها. أما إذا كانت مندوبة فإن لجوءولي الأمر إليها يكون اختيارياً لا يأثم بتركها ولا ينطوي.

في هذه القضية نجد أمامانا في الفقه الإسلامي رأيين: رأى يقول بأن الأمر بالشورى للنذب والثاني يقول بأنه للوجوب وسنعرض حجج كل رأي منهما ونبين ما نراه أقرب للترجيح بإذن الله تعالى.

المضمون السياسي للشوري في التصور السياسي الإسلامي (٢)

مدى وجوب الشوري على الحاكم :

عالجنا فيما تقدم ثبوت النص على الشوري في القرآن والسنّة واليوم نعالج مدى وجوب الشوري على ولي الأمر والحاكم. وقلنا أننا نجد أمامنا في هذه القضية رأيين : رأي يقوم بأن الأمر بالشوري للنذب والثاني يقول بأنه للوجوب .

أدلة القائلين بالنذب :

١ — يستند القائلون بأن الشوري مندوبة إلى أن الرسول ﷺ إنما أمر بها تطبيساً لقلوب من اتبعه من المسلمين وتالفاً لهم على دينهم ليروا أنه يسمع منهم ويستعين بهم وإن كان الله عز وجل قد أغناه بتدببوا له أمره وسياساته إيه وتقويمه أسبابه عنهم^(١٤٧) . وقد ذهب إلى هذا الرأي من اعتبار الشوري مندوبة لا واجبة الإمام الشافعى رضى الله عنه حيث ورد عنه أن الأمر بالشوري هو للنذب تطبيساً

(١٤٧) تفسير الطبرى ج ٧ ص ٣٤٣

أدلة القائلين بالوجوب وهو الراجح :

٢ — الرأي الثاني الذي يقول أصحابه بأن الشورى للوجوب لا للتدب — وهو في رأينا الرأي الراجح — يستند إلى الحجج والأدلة التالية :

أولاً : لقد أمر الله تعالى بالشورى في قوله سبحانه : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾، والأصل في الأمر كما هو مقرر في علم أصول الفقه يكون للوجوب ما دام أمراً مطلقاً غير مقيد.

ثانياً : ويؤكد وجوب الشورى أيضاً قوله تعالى في سورة الشورى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾^(١٤٩) بياناً لأوصاف الجماعة الإسلامية وخصائصها وفيه تقرن الشورى وهي عماد الدنيا بالصلة عماد الدين كما تجيء واسطة العقد في نظام الجماعة الإسلامية القائم على الإيمان بالله والتوكيل عليه والاستجابة لأحكامه واجتناب الكبائر وإقامة الشعائر الإسلامية والاعتماد على الشورى والانفاق في سبيل الله ومصلحة الجماعة ورد اعتداء الbagien بهمثله . ونحن إذا نظرنا في كل ذلك لا نجد في الآية إلا واجبات مفروضات وملزمة للمسلمين .

ثالثاً : إذا كان بعض العلماء يذهب في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾^(١٥٠) إلى أن مشاورة الرسول ﷺ

(١٤٨) تفسير القرطبي ج ٢ ص ١٤٩٣ .

(١٤٩) تفسير الشورى الآية ٣٥ .

(١٥٠) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

لأصحابه إنما كانت تطبيساً لخواطرهم وتاليفاً لقلوبهم لا للعمل بها نظراً لعدم حاجة الرسول ﷺ إلى الشورى والوحي يرعاه ويسدد خطاه فإن هذا ليس معناه تعميم الحكم بالنسبة لغيره من الحكام لوجود الفارق الجوهرى بينه عليه السلام كنبي يوحى إليه وبين غيره من الحكام . ولذلك نجد الفقيه الحنفى الحصاص يقول: (أنه غير جائز أن يكون الأمر بالمشاورة على جهة تطبيب نفوس الصحابة ورفع أقدارهم ، كما يذكر بعض الفقهاء ، لأنه لو كان معلوماً المستشارون أنهم إذا استفرغوا جهدهم في استنباط حكم ما شوروا فيه وصواب الرأى فيما سئلوا عنه ثم لم يكن ذلك معمولاً به ولا يتلقى بالقبول لم يكن في ذلك تطبيب نفوسهم بل فيه إيمانهم وإعلامهم بأن آرائهم غير مقبولة ولا معمول بها)^(١٥١) .

رابعاً: ثم إننا نجد جمهور الفقهاء والعلماء المحدثين يقولون بأن الشورى واجبة وليس مندوبة . وفي مقدمتهم الإمام محمد عبد الشهيد عبد القادر عوده هذا المذهب ويوُكَد أن الشورى لن يكون لها معنى إذا لم يتوحد برأي الأكثريه^(١٥٢) (انظر كتابه: الإسلام وأوضاعنا السياسية ، القاهرة ١٩٥١ ص ١٤٤) ويدرك السيد محمد رشيد رضا تفسيراً لقوله تعالى: ﴿ وشاورهم في

(١٥١) أحكام القرآن للحصاص ج ٢ ص ٣٣٠ ، نشر دار المصحف ، القاهرة . تحقيق محمد الصادق قمحاوى .

(١٥٢) الإسلام وأوضاعنا السياسية ص ١٤٤ القاهرة ١٩٥١ م .

الأمر ^{١٥٣}) يقول: ودم على المشاورة وواظب عليها كما فعلت قبل الحرب في غزوة أحد وإن أخطأوا الرأي فيها فإن الخير كل الخير في تربيتهم على المشاورة بالعمل دون العمل برأي الرئيس وإن كان صوابا لما في ذلك من النفع لهم في مستقبل حكمتهم فإن الجمahir أبعد عن الخطأ من الفرد في الأكابر، والخطر على الأمة في تفويض أمرها إلى الرجل الواحد أشد وأكبر ^{١٥٤}) (انظر: تفسير المنار ج ٤ ص ٤٥) .

هذا نرى أن الشورى واجبة ومفروضة على ولي الأمر والحاكم وأنه يأثم بتركها . وإذا كانت الشورى واجبة شرعا في بلاد المسلمين ، وإذا أردنا تطبيق هذا المبدأ على المستوى السياسي فنسأل: كيف تم المشاورة؟ وكيف بالإمكان تنظيم الشورى الواجبة شرعا؟ ، هذا ما سنبحثه بإذن الله .

(١٥٣) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

(١٥٤) تفسير المنار محمد رشيد رضا ج ٤ ص ٤٥ .

المضمون السياسي للشوري في التصور السياسي الإسلامي (٣)

كيف تم المشاورة في العصر الحاضر وفق التصور الإسلامي:

إذا كانت المشاورة أو الشوري واجباً شرعاً — كما بینا — على ولی الأمر والحاکم أن يتقدی به ، فكيف تم المشاورة؟ وكيف بالإمكان تنظیم الشوري الواجبة شرعاً نصاً وروحاً في عصرنا هذا؟ الواقع أننا لا نجد في الشريعة نظاماً محدداً يؤدی إلى ذلك — مثل قضية حق الأمة في انتخاب رئيس الدولة (الخليفة) — مما يدل على أن تنظیم هذا الأمر متروک لتقدير الأمة.

وضع نظام لإجراء الانتخاب:

وكان أن الانتخاب المباشر لرئيس الدولة يجد له سنته في السوابق التاريخية الثابتة في عصر الخلفاء الراشدين وهو خير العصور فهماً وتطبيقاً للإسلام . إذ على الدولة في الإسلام أن تضع النظام اللازم لإجراء الانتخاب لكل من أهل الحل والعقد والخليفة وضرورة تمكين الأمة من ممارسة ذلك وضمان سلامته تلك الممارسة الشرعية ومثل هذا الأمر ضروري ولازم لإيجاد أهل الحل والعقد وإثبات وكالتهم عن

الأمة بالتوكيل الصريح لأن التوكيل الضمني — والذي كان يعتمد عليه أيام الخلافة الراشدة — يتعذر حصوله في الوقت الحاضر.

انتخاب أهل الحل والعقد :

إن ما يوافق العصر إذن ويافق المقصود الشرعي من وراء مبدأ الشورى أن تقوم الأمة بانتخاب أهل الحل والعقد الذين على رئيس الدولة مشاوريهم في المسائل العامة ويخولون أيضا سلطة انتخاب رئيس الدولة إذا شغر منصبه.

من هم أهل الحل والعقد؟ :

وإذا كان انتخاب رئيس الدولة بطريق غير مباشر أمرا سائغا في الشرع الإسلامي وكان الذين يباشرونهم من يسميهم الفقهاء بـ «أهل الحل والعقد»، فمن هم أهل الحل والعقد؟ من قراءة ما كتبه الماوردي والفراء وابن قدامة وابن تيمية وابن كثير وغيرهم نفهم أنهم المتابعون في الأمة الذين تثق بهم وترضى برأيهم لما عرف عنهم من الحرص على مصالحها.

وظيفتهم :

وعلقة أهل الحل والعقد بالأمة علاقة النائب والوكيل فهم يباشرون انتخاب رئيس الدولة نيابة عن الأمة وهم وكلاء عنها ومن ثم يعتبر اختيارهم رئيس الدولة كاختيار الأمة نفسها له. وهم يحوزون منزلة الحل والعقد في شؤون الأمة لأن الأمة هي التي تدفعهم إلى هذه المنزلة وختارهم لها. أما كيف نعرف أهل الحل والعقد في عصرنا

هذا؟ فلا بد أن تضع الدولة نظاماً انتخابياً يمكن الأمة من اختيارهم وائبات وكالهم الصريحة عنها.

مراقبة أهل الخل والعقد للحاكم والوزراء:

وهم — أهل الخل والعقد — يאשרون بعدها بمراقبة رئيس الدولة ووزرائه وأعوانه للتأكد من الوفاء بعقد الوكالة وفق المنهج الإسلامي وتطبيق سائر الأحكام الشرعية ومن خرج عن عقد الوكالة هذا وخرج عن حكم الله وشرعيته فهو كافر يجب قتاله كما يقول ابن كثير^(١٥٦) في معرض تفسيره الآية **﴿أفحكم الماهمة يسعون﴾**^(١٥٧).

الشوري نظام إلزامي واجب:

هكذا إذن يتبدى لنا أن نظام الشوري — في التصور السياسي الإسلامي — ليس كما يتصوره الناس — عموم الناس — من أنه نظام استرضايٌ خاضع لمزاجية رئيس الدولة، يأخذ به تارة ويدعه أخرى، بل الحقيقة وكما تظهر من الفقه السياسي الإسلامي إنه نظام إلزامي واجب مكمل لقواعد سياسية شرعية مثل قاعدة البيعة وقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد جاء فيها الأمر الرباني في الكتاب الكريم ومارسها رسول الله ﷺ في أوقات السلم وال الحرب والنصر

(١٥٥) سورة الشوري الآية ١٣٨.

(١٥٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٢٢٥.

(١٥٧) سورة المائدة الآية ١٥٠.

وغيره من الأحوال.

لابد من تمكين الأمة من ممارسة هذا الحق:

لذا نقول: إن الشورى في الإسلام لا تعني أبداً مجرد إيفاد رأي المواطن للحاكم، بل إن هذا المبدأ الإسلامي ينطلق من عقيدة راسخة في صوابية إجماع الأمة استناداً إلى أقوال المصطفى عليه السلام: «ما رأاه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن»^(١٥٨)، و«لا تجمع أمتي على ضلاله»^(١٥٩). فلا بد إذن من تمكين الأمة لمارسة

(١٥٨) انظر الأسرار المرفوعة ص ١٠٦ وانظر مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للإمام محمد بن عبد الباقى التزقانى، تحقيق د. محمد بن لطفى الصباغ ص ١٧٦ ط الأولى الرياض ١٩٨١ م وقال التزقانى: حسن (موقوفاً).

(١٥٩) انظر المقاصد الحسنة للسحاوى ص ٤٦، قال السحاوى: وبالجملة فهو حديث مشهور المتن ذو أسانيد كثيرة وشواهد متعددة في المرفوع وغيره، والأسرار المرفوعة في الأعيار الموضوعة ملأ على القاري تحقيق محمد الصباغ ص ٨٦، مؤسسة الرسالة ١٩٧١ م، وكشف الخفا للعجلونى ج ٢ ص ٤٨٨.

ومسند ابن ماجه ج ٢ ص ٣٩٥٠ حديث ١٣٠٣ قال محققته في الرواية في إسناده أبو خلف الأعمى وأصحابه حازم بن عطاء وهو ضعيف وقد جاء الحديث بطرق في كلها نظر قاله شيخنا العراقي في ترجمة أحاديث البيضاوى.

والمستدرك ج ٤ ص ٥٠٧، والمستدرك ج ٦ ص ٣٩٦ ط المكتب الإسلامي، والضرانى في الكبير ج ٢ ص ٢١٤ حديث ٢١٧١ قال محققته: قال في الجمع وفيه راوٍ لم يُتَّم ٢٢٢ / ٧، ١٧٧.

ورواه ابن أبي عاصم في السنة ج ١ ص ٤١ ط الأول ١٩٨٠ م بتحقيق الألبانى وقال: حديث حسن وذكره التزقانى في مختصر المقاصد الحسنة وقال: صحيح

هذا الحق الشرعي عبر مؤسسات نيابية نزيهة لأن السلطات السياسية
الشرعية الإسلامية لا تغضب من صرخ الشعب في وجهها سواء في
«البرلمان» أو في الشارع، فكثيراً ما صرخ المسلمون في وجه
العادل عمر بن الخطاب: والله لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه بحد
صيوفنا. وما كان منه إلا أن قال: لا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير
فيها إن لم نقبلها^(١٦٠).

(١٦٠) أخبار عمر، الطنطاوي ص ٦٧.

المضمن السياسي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١)

معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

أكثر المسلمين يتصورون أن التكليف الرباني لهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الوارد في كثير من نصوص الكتاب والسنّة، يتصورون أن هذا التكليف لا علاقة له بالشأن السياسي أو أنه لا يحمل في طياته مضموناً سياسياً. ثمة انطباع شائع أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي عملية من النصح المتكرر وفي إطار المسلميات الفردية للناس العاديين، بمعنى أمر الناس بالقيام للصلة فور سماع النداء أو نهيم عن شرب الخمر أو لعب الميسر وغيره من ضروب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أخطر من ذلك بكثير وأشمل من ذلك بكثير. ودليلنا قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (١٦١). هذه آية تدعو المسلمين لتشكيل أحزاب سياسية تقوم بعملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. كيف؟ إن الله تعالى — في هذه الآية — يأمر

(١٦١) سورة آل عمران الآية ١٠٤.

المسلمين بأن تكون منهم جماعة يدعون إلى الخير أي تقوم بالدعوة إلى الخير أي الدعوة إلى الإسلام وتقوم كذلك بالإضافة لذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . قوله تعالى : ﴿ وَتَكُنْ مِنْكُمْ أَمَةً ﴾ أمر بإيجاد جماعة متكتلة تكتلا يوجد لها وصف الجماعة من بين جماعة المسلمين .

معنى الآية الجماعة للقيام بالأمرين :

فيكون معنى الآية: أوجدوا أية المسلمين جماعة تقوم بعملين أحدهما تدعو إلى الخير (الإسلام) والثاني أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. ويأثم المسلمين إذا لم توجد هذه الجماعة. أما كون هذه الجماعة الوارد الأمر بإقامتها في الآية حزباً سياسياً إسلامياً فإن الدليل عليه أمران: أحدهما أن الله لم يطلب في هذه الآية من جميع المسلمين أن يقوموا بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والتنبي عن المنكر وإنما طلب فيها إقامة جماعة تقوم بهذه العملين. ﴿ولتكن منكم أمة﴾ والأمة هي الجماعة من الأفراد لهم رابطة تضمهم ووحدة يكونون بها كالأعضاء في بنية الشخص. فالمطلوب من المسلمين ليس القيام بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والتنبي عن المنكر بل إقامة جماعة تقوم بهذه العملين. فالامر الإلهي مسلط على إقامة الجماعة وليس على العملين.

المضمون السياسي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢)

مفهوم الآية :

يظهر إذن من الآية : ﴿ وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يُدْعَوْنَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٦٢) أنها أمر لل المسلمين بإيجاد أحزاب أو جماعات أو منظمات تدعو للخير (الإسلام) وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . أما كون هذه الجماعة المطلوب إقامتها حزباً سياسياً فذلك يستفاد من طبيعة العمل الذي تقوم به هذه الجماعة .

وظيفة الجماعة :

فعمل هذه الجماعة ذو شقين : الدعوة إلى الخير (الإسلام) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . أما الدعوة إلى الخير أي الدعوة إلى عموم الإسلام فيمكن أن تقوم به جمعية أو منظمة أو حتى نادي . لكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذي جاء عملاً وشاملاً فلا يمكن أن يقوم به إلا حزب سياسي . لماذا ؟ لأنه يشمل

(١٦٢) سورة آل عمران الآية ٤ .

مراقبة الحكام وأمر الحاكم بالمعروف — الذي هو العدل بالنسبة لموقعهم السياسي وكافة ما يتطلبه الأمر بالعدل من مؤسسات رقابية عليهم — ونهيهم عن المنكر — الذي هو الظلم بالنسبة لموقعهم السياسي — وأمر الحكام بالعدل ونهيهم عن الظلم هو جوهر العمل الحزبي السياسي وهو أهم الأعمال التي يقوم بها الحزب السياسي. هذه الجماعة — والتي هي عملياً تشكل حزباً سياسياً — هي الجماعة التي جعل الله إيجادها فرضاً على المسلمين.

غاية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

يتوضح لنا إذن أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس — فقط — منحصر في إطار المسلكيات الفردية للناس العاديين بل إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو في الأساس عملية تصحيحية وردعية لأي حاكم تحدثه نفسه بظلم الناس أو بخسهم أشياءهم أو هضمهم حقوقهم. وعلى هذا تكون الآية ترخيصاً للMuslimين بإقامة الجماعة، بل أمراً للMuslimين بإقامة الجماعة التي تقوم بفرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تكليف ليس بالهين ولا باليسير، إذا نظرنا إلى طبيعته، وإلى اصطدامه بشهوات الناس وزواهم، ومصالح بعضهم ومنافعهم، وغرور بعضهم وكبرائهم. وفيهم الجبار الغاشم وفيهم الحاكم المتسلط وفيهم الهاطط الذي يكره الصعود وفيهم المسترخي الذي يكره الاستئذاد وفيهم

المنحل الذي يكره الجد وفيهم الظالم الذي يكره العدل وفيهم المنحرف الذي يكره الاستقامة وفيهم من ينكرون المعروف ويعرفون المنكر . ولا تفلح الأمة ولا تفلح البشرية إلا أن يسود الخير وإن يكون المعروف معروفاً والمنكر منكراً وهذا ما يقتضي سلطة للخير وللمعروف تأمر وتنهي وتطاع)^(١٦٣) .

(١٦٣) في ظلال القرآن للشيد سيد قطب ج ٤ ص ٢٦

النضال السياسي ظاهرة لا زلت تارخ الرسل والدعوة إلى
الله (١)

أول من حارب الرسل والأنبياء الشريعة الاجتماعية العليا (الطبقة
السلطوية)

ثمة ملحوظة لا يستطيع القارئ لكتاب الله أن يتغاضى عنها أو
يسهو عنها وذلك لأنها تكرر في سور عديدة وضمن ملابسات
قصصية متغيرة، الملحوظة هي: أن أول شريعة اجتماعية في المجتمع
البشري وعلى مدى التاريخ الإنساني تحركت مخariة رسول الله وأنبيائه
ودينه هي الشريعة الاجتماعية العليا أو ما نستطيع أن نسميه اليوم
بالطبقة السلطوية، كانت مواقف هذه الطبقة من المجتمع البشري
تتسم بالعداوة الشديدة لدین الله، وهي عداوة تدفعهم للكثير من
الذنوب والمكر والخداع والمؤامرات والافتراء والادعاء والاستكبار
والآثام والحرب الشاملة ضد الرسل والفتات القليلة من المؤمنين
والتابعين. هذه الطبقة الاجتماعية المشبعة بالعداوة لله ولحزبه يسمى
القرآن بأسماء متعددة: الملا، وأولو الطول، أولي النعمة، المترفون.
﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا لَمْ يَنْ آمِنْ
مِنْهُمْ: أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ؟ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ

مؤمنون ، قال الذين استكروا إنا بالذى آمنت به كافرون ^{﴿١٦٤﴾} .
 ﴿١﴾ وإذا أزلت سورة أن آمنوا بالله وجاحدوا مع رسوله استأذنك
 أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعددين ، رضوا بأن يكونوا مع
 الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ^{﴿١٦٥﴾} .
 ﴿٢﴾ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرني والمكذبين
 أولي النعمة ومهلهم قليلا إن لدينا أنكالا وجحيم ^{﴿١٦٦﴾} .
 ﴿٣﴾ وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به
 كافرون ^{﴿١٦٧﴾} .

وتاريخ الدعوة إلى الله في كل مرحلة من مراحله ما هو إلا سلسلة متكررة من الصراع بين الدعوة إلى الله من جهة والطبقة السلطوية المسيطرة والتمثلة بـ: بالملأ ، وأولو الطول ، وأولي النعمة ، والمرتفين . ومن يقرأ سلسلة الصراع هذه كما تبدي في سور القرآن يدرك أن النضال السياسي ظاهرة لازمت تاريخ الرسل والدعوة إلى الله .

لكن لماذا يحارب هؤلاء دين الله ودعاته؟ لماذا حاربوه في التاريخ وهم اليوم مستمرون في حربهم؟ وكيف يحاربون دين الله؟ وما هي فتوتهم في هذا المجال؟ وكيف كان موقف الرسل والدعوة والذين آمنوا؟ وكيف يجب أن يكون اليوم وغداً وأبداً؟ هذا ما سنبحثه بإذن الله .

(١٦٤) سورة الأعراف الآيات ٧٥-٧٦ .

(١٦٥) سورة التوبة الآيات ٨٦-٨٧ .

(١٦٦) سورة المؤمل الآيات ١٠-١٢ .

(١٦٧) سورة سبأ الآية ٣٤ .

النضال السياسي ظاهرة لازمت تاريخ الوسل والدعوة إلى الله (٢)

في صحيح البخاري — كتاب بدء الوحي — وفي قصة ورقة ابن نوبل رضي الله عنه أنه قال للنبي عليه السلام : « لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وأوذى » (١٦٨)

مهمة الدعوة التصدي لأذى الطبقة السلطوية :

هذه الكلمة تفتح مغاليق كثيرة وتفسر موقف الملا، وأولو الطول، وأولي النعمة، والمرتفعين — أي الطبقة السلطوية في كل عصر — من دين الله وشريعته. فالآذى الذي يلقاه الدعوة إلى الله من هذه الطبقة بالذات في كل مكان وزمان والتضالات التي خاضها رسول الله ودعاته ضد هذه الطبقة المستكيرة التي تمثلت بأئي جهل وأئي هب ورأس النفاق عبد الله بن أبي ابن سلول وغيرهم وغيرهم في تاريخ الإسلام وقبلهم في تاريخ الرسالات الأخرى. نقول بأن هذا الأذى هو جزء لا يتجزأ من مهمة الدعوة والدعوة أي مهمة التصدي لهذه الطبقة التي لا يقوم وجودها إلا على الظلم والاستغلال والاستبعاد للناس، عموم الناس، فالعداء للدين الله مغروس في كينونة

(١٦٨) — فتح الباري ج ١ ص ٣٠.

هذه الطبقة من الناس لأن دين الله يدعو للقسط بين الناس ووجودها لا يقوم إلا على أساس التمايز بينهم، ولأن دين الله ينظر للمال على أنه ذو وظيفة اجتماعية، بينما تنظر هي للمال على أنه قيمة في ذاته لذلك تحرض على خزنه واحتقاره وتحارب كل محاولة شرعية لتفتيه اجتماعياً عبر الزكوات والصدقات والقرض الحسن، ولأن دين الله لا يوّل إلا الواحد الأحد وأما هذه الطبقة ممثلة بفرعون وجنوده فقول: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأُجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (١٦٩).

ضعف الطبقة السلطوية راجع إلى ضعف تمسكها النفسي:

فالقمع والإرهاب والسجون والمعتقلات لا تغيب في أي مرحلة من مراحل التاريخ عن ذهنية هذه الطبقة. لماذا؟ لأنها طبقة ضعيفة في تمسكها النفسي الداخلي لذلك فهي دائمة المعاناة من المشكلة الأمنية ودائمة الخوف من الناس على عكس المؤمنين الذين — برغبة كل الأذى الذي يتعرضون له — يصفهم الله بـ ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك هم الأُمن﴾ (١٧٠).

هدف الغزوات:

لقد كانت الغزوات الإسلامية صورة من صور الجهاد والنضال العسكري والسياسي للتخلص من عجرفة أولي الطول ومن سيطرتهم

٢٩ (١٦٩) — سورة الشوراء الآية ٢٩.

٨٢ (١٧٠) — سورة الأنعام الآية ٨٢.

على مقاييس المجتمع المكي والمدني . وحتى في لحظات الموت لا تخلي هذه الطبقة عن عجرفتها التاريخية . فحين لقي أبو جهل مصرعه في غزوة بدر لم يأسف على مقتله بقدر ما أسف على انتهاء حياته بيد المسلم الأكار (الفلاح) إذ يقول وهو يلحظ أنفاسه الأخيرة : (فلو غير أكار قتلني) أراد به احتقاره وانتقاده : أي كيف مثل الأكار يقتل مثل أبي جهل ^(١٧١) ، كذلك قال أبو جهل عندما ارتقى ابن مسعود — الصحابي الجليل — عنقه : (لقد ارتقت مرتفقي صعبا يا روبعي الغنم) ^(١٧٢) وهو قول يعكس احتقار أبي جهل — وهو من أولي الطول ، والملا ، والنعمة ، وفقة الحكم والسيطرة — لرعاة الغنم . ألم يعلم أبو جهل لعنه الله بأن رسول الله عليه صلوات الله عليه كان يرعى غنم أهل مكة مقابل بضع قراريط ^(١٧٣) .

مجاهدة الملا ، أولي الطول ، أولي النعمة ، المترفين أمر طبيعي :

الملا ، أولو الطول ، أولي النعمة ، المترفون أي هذه الشرحة الاجتماعية المحددة من الناس والتي تكررت عبر التاريخ البشري مستظلّة على موقفها من دين الله ودعاته لأن ذلك من طبيعتها ومن طبيعة الأشياء . ونضال الدعوة ضدّهم تكرر عبر التاريخ البشري واتخذ أشكالا متعددة وهذا أيضا موقف ثابت لأنّه من طبيعة دعوة الله أن

(١٧١) — صحيح البخاري ج ٥ ص ٤٨٦ ; وال نهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج ١ ص ٧ .

(١٧٢) — سيرة النبي لابن هشام ج ٥ ص ٢٧٧ .

(١٧٣) — فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ج ٤ ص ٣٤٩ .

تقارع الظلمة في كل عصر ومكان ، ومن يراجع قصص الرسل في القرآن ويتابع إلى النهاية يجد أن مصير هذه الطبقة من المستكينين على دين الله دائمًا إلى زوال وهلاك :

• ﴿ لَا تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ (١٧٤) .

• ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمَهْلِكِينَ ﴾ (١٧٥) .

• ﴿ سَيِّئُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدِّبْرَ ﴾ (١٧٦) .

• ﴿ وَأَخْذُنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ شَدِيدٍ بِمَا كَانُوا يَفْسِدُونَ ﴾ (١٧٧) .

(١٧٤) — سورة هود الآية ٣٧ .

(١٧٥) — سورة المؤمنون الآية ٤٨ .

(١٧٦) — سورة القمر الآية ٤٥ .

(١٧٧) — سورة الأعراف الآية ١٦٥ .

أشكال النضال السياسي في تاريخ الدعوة إلى الله « ٣ »

تناولنا موضوع النضال السياسي كظاهرة لازمت وواكبت تاريخ الرسالات السماوية والدعوة إلى الله. وحاولنا في حدود الاستطاعة أن نبين التناقض التاريخي بين ماحدث لرسل الله والطبيقة المسيطرة اجتماعياً والذين وصفهم القرآن بـ: أولي الطول، والملأ، وأولي النعمة، والمرفرين.

أشكال النضال السياسي: العمل التحفي، العمل النقابي

وهنا يهمنا أن نتعرض إلى شكل النضال السياسي الذي لا زم تاريج الرسل والدعوة إلى الله فلننضال السياسي أشكال متعددة منها العمل التحفي الذي يقوم على تربية القواعد البشرية، والعمل النقابي الذي يقوم على استراتيجية تحريك الفئات الحيوية في المجتمع وصاحبة المصلحة الأولى في التغيير. والذي يقرأ القرآن وسيرة رسول الله يجد أنهم — صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين — قد مارسوا كل هذه الأشكال المتنوعة والمتعددة من النضال السياسي.

الشكل الأول: التصدي العلني للطاغوت

غير أن الشكل الذي لازم الدعوة إلى الله في كل أطوارها — مع الحفاظ على الأشكال الأخرى — هو شكل التصدي العلني للطاغوت والظلم وحملة تفريغاته الاجتماعية والاقتصادية، والذي يدرس تاريخ النظم السياسية ذات المنحى الدكتاتوري الطغيعي يجد أن هذه النظم تقوم — في الأساس — على فرض هيئتها في نفوس الناس عبر تدابير عديدة. كما يتبين أيضاً أن هذه النظم لا ترتكز على أرضية صلبة من الانحازات الاجتماعية أو الاقتصادية أو العسكرية، بلقدر ما ترتكز على استمرار الردع النفسي للمحكومين عبر هذه الهيئة التي تفرضها عليهم. وبأن التصدي العلني للطاغوت والظلم ليستهدف كسر هذه الهيئة وتغييرها وفي النهاية إزالتها من أجل أن يمادر الناس في مقاومة الظلم. هذا التصدي العلني للطاغوت والظلم يستهدف — إذن — إزالة الهيئة والخوف من نفوس الناس وتحريضهم على المقاومة وعدم الاستسلام للظلم والظلمة. وقصة الحوارات العلنية الصدامية بين موسى عليه الصلاة والسلام وفرعون الطاغية الكافر الظالم تكرر في سور القرآن. لقد كان فرعون عالياً في الأرض ومن المفسدين المسرفين، يستحبى النساء ويقتل الرجال ويخوز الأموال ويكتنزها لنفسه ولذويه وصار الجميع يخافونه ويخضعون له وبهابونه حتى طفى وكفر وقال لهم: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ أَعُلُّٰهُ﴾^(١٧٨) وظن أنه يملك الملك والأنهار والبحار.

موقف موسى من الطاغوت فرعون مصر

فجاء إليه موسى — رغم كل الهيبة التي زرعها فرعون في نفوس الناس — وفي حضور الناس المعدمين والفقراء والمعوزين أي القاعدة الجماهيرية التي يقف عليها فرعون ويدوس عليها بشكل يومي وقال : ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٧٩) — ﴿فَأَرْسَلَ مَعِي بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(١٨٠) — ﴿وَلَا تَعْذِّبْهُمْ﴾^(١٨١) وتبداً الأرض تترنّزل من تحت أقدام فرعون وتبداً هيته تعانى وتحاول أن يستخف موسى ومن معه ويشكّل بهم ويفتري عليهم ويجمع لهم : ﴿قَالَ لَمْنَ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَعْمِنُونَ؟﴾^(١٨٢) — ﴿وَإِنْ هُوَلَاءِ لِشَرْذَمَةٍ قَلِيلُونَ﴾^(١٨٣) — ﴿وَلَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾^(١٨٤) — ﴿إِنِّي لَأَظْنُنُكَ يَامُوسَى مَسْحُورًا﴾^(١٨٥) — ﴿إِنْ رَسُولَكُمُ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْكُم مَّنْجُونُ﴾^(١٨٦) والذي يتأمل بكلمات فرعون هذه التي وردت في القرآن يلحظ التشابه الكبير بينها وبين ما يقال اليوم في صحافة الطغاة وأبواقهم عن الدعوة والدعاة. لقد كانت

(١٧٩) — سورة الأعراف الآية ٤ . ١٠٤ .

(١٨٠) — سورة الأعراف الآية ٥ . ١٠٥ .

(١٨١) — سورة طه الآية ٤٧ .

(١٨٢) — سورة الشعراة الآية ٢٥ .

(١٨٣) — سورة الشعراة الآية ٥٤ .

(١٨٤) — سورة الشعراة الآية ٢٩ .

(١٨٥) — سورة الأسراء الآية ١٠١ .

(١٨٦) — سورة الشعراة الآية ٢٧ .

خطوة التصدي العلني لفرعون بداية النهاية له إذ أدت إلى إزالة الهيبة التي كان يرتکز عليها تلك الهيبة التي تعطل إرادة الناس في مقاومة الظلم وأهله وحزبه ، من أجل هذا نجد أن الله في كتابه الكريم يحسن حزب المؤمنين من خشية أو خوف الناس ومنهم الطغاة :

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ أَنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٨٧)

﴿فَلَا تَخَشُوا النَّاسَ وَانْخُشُونَ﴾ (١٨٨)

﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّاهُ فَارْهِبُوهُ﴾ (١٨٩)

﴿وَتَخَشِّي النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخَشَّى﴾ (١٩٠)

الخوف من غير الله ضرب من الشرك

ولذلك اعتبر العلماء أن الخوف من غير الله ضرب من ضروب الشرك ، هكذا يتبدى لنا أن النضال السياسي في تاريخ الرسل والدعوة إلى الله ضد الطاغوت والظلم ورموزه البشرية اخذ اشكالاً عديدة من أهمها التصدي العلني الذي يستهدف ضرب هيبة الطاغوت والطغاة وهي خطوة أساسية وجوهرية نحو النصر عليهم ،
﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أُمُّهٗ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٩١)

(١٨٧) — سورة آل عمران الآية ١٧٥ .

(١٨٨) — سورة المائدة الآية ٤٤ .

(١٨٩) — سورة النحل الآية ٥١ .

(١٩٠) — سورة الأحزاب الآية ٣٧ .

(١٩١) — سورة يوسف الآية ٢١ .

﴿ لَا يَغْرِيَكَ تَعْلِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَادِ ﴾ (١٩٢)

﴿فجعلناهم أحاديث ومزقاهم كل مزق﴾ (١٩٣)

and 93 light enough to make
the 100% heat in the same

(١٩٢) — سورة آل عمران الآية ١٩٦ .
 (١٩٣) — سورة سباء الآية ١٩ .

أشكال النضال السياسي في تاريخ الدعوة إلى الله « ٤ »

قررنا وبينا أن التناقض التاريخي الجوهرى بين ماحدث لرسول الله ودعاته وبين الطبقة المسيطرة اجتماعياً عند مجئ كل دعوة سماوية . وقلنا بأنه نتاج عن هذا التناقض صراع سياسى واجتماعى بين رسول الله ودعاته وبين تلك الطبقة من : الملا ، وأولي الطول ، وأولي النعمه . وشرحنا بأن هذا الصراع اتخذ أشكالاً عديدة وقد تطرقنا لشكل واحد من أشكال النضال السياسي الذي رفع رايته نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام في وجه الطاغية التاريخي فرعون وهو شكل التصدي العلنى للطاغوت من أجل إزالة الميبة التي يوتكر عليها .

الشكل الثاني : هو الانحياز لصالح المستضعفين والقراء والمساكين والمضطهددين

من يقرأ تاريخ الرسالات السماوية وسيرة رسول الله يجد أن الرعيل الأول في كل الدعوات كان يجمع من حظائر اجتماعية مستضعفة مظلومة ومقهورة وصاحبة مصلحة في إحداث التغير الاجتماعي الجذري . نعم هناك من يشذ عن هذه القاعدة ومن يتخلى

عن انتهاء الاجتماعي الأعلى وتبني الانتهاء إلى العقيدة الجديدة ذات القاعدة الاجتماعية الأسفل، لكن الذين فعلوا ذلك تاريخياً قلائل. هذا بعد الاجتماعي لدعوة الله لاشك يفسر الكثير من مضامينها السياسية.

﴿... قالوا انؤمن لك واتبعك الأذلون﴾ (١٩٤)

﴿... فقال الملأ الذين كفروا من قومه مازراك إلا بشراً مثلنا ومانراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي﴾ (١٩٥)

﴿... قال الملأ الذي استكروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحًا مرسل من ربه﴾ (١٩٦).

﴿... للفقراء المهاجرين الذي أخرجوا من ديارهم وأموالهم يتغرون فضلاً من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾ (١٩٧).

لقد كانت دعوة موسى انتصاراً للمستضعفين ضد فرعون. وكانت دعوة شعيب انتصاراً لعموم الناس ضد جشع التجار ضد الشكال الدناءة التجارية الشائعة في مدين — قوم شعيب — ومازالت شائعة في مجتمعاتنا التجارية.

اهتمام الإسلام بالطبقة الدنيا دائمًا

(١٩٤) — سورة الشعرا الآية ١١١.

(١٩٥) — سورة هود الآية ٢٧.

(١٩٦) — سورة الأعراف الآية ٧٥.

(١٩٧) — سورة الحشر الآية ٨.

أما خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله عليه السلام فكان من دعائه: «اللهم أحيني مسكيناً وأمتنى مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين»^(١٩٨). لأنعني من وراء ذلك أن طلب الرزق والكد في الحياة من أجله غير مطلوب، لكن الذي نقصد أن الإسلام داعم التحسس لأهل القاع الاجتماعي ودائم الحرص على إنصافهم.

«﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ فَلَهُ وَلِرَسُولِهِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْبَيْتِمِيِّ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَمْ لَا يَكُونُ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾»^(١٩٩).

«﴿ لِلْفَقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِعُونَ ضَرِبَةً فِي الْأَرْضِ بِحَسِبِهِمْ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءُ مِنَ الْعَفْفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهِمْ لَا يَأْلُونَ النَّاسَ إِلَحَافًا وَمَا تَنْقَعُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾»^(٢٠٠).

(١٩٨) — رواه الترمذى وقال: هذا حديث غريب ج ٤ ص ٥٧٧ حديث ٢٣٥٢ .
ورواه ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٨١ حديث ١٤٢٦ .

قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي: في الرواية: أبو المبارك لا يعرف اسمه وهو مجھول . ويزيد ابن سنان ضعيف والحديث صححه الحاكم، وعده ابن الجوزي في الموضوعات . وقال السيوطي: قال الحافظ صلاح الدين ابن العلاء: الحديث ضعيف السند لكن لا يمکم عليه بالوضع وأبو المبارك وإن قال فيه الترمذى: مجھول فقد عرفه ابن حيان وذکره في الثقات . ويزيد بن سنان قال فيه ابن معين: ليس بشيء . وقال البخاري: مقارب الحديث، إلا أن ابنه محمد بن يزيد روى عنه مناكير . وقال أبو حاتم: محله الصدق ولا ينفع به وباقي رواهه مشهورون قال العلاء: إنه يتبعي بمجموع طرقه إلى درجة الصحة . وقال الحافظ ابن حجر . قد حسنه الترمذى لأن له شاهدًا ٢ / ١٣٨٢ .

(١٩٩) — سورة الحشر الآية ٧ .

(٢٠٠) — سورة البقرة الآية ٢٧٣ .

البحث عن الفقراء والمساكين

الأية السابقة ليست فقط حث على الإنفاق بل حث على البحث عن الفقراء والمساكين من أجل انصافهم وتوصيل حقوقهم إليهم. وهذا التحسس الدائم لأهل القاع الاجتماعي وهذا الانحياز لصالح المستضعفين حدد فيما بعد الهوية السياسية للنظام الاجتماعي الذي تأسس في المدينة كما أنه صار معلماً من معالم الخط السياسي للخلافة الراشدة وتلك سنة الدعوة إلى الله عبر تاريخها البعيد والقريب وتلك صبغة النضال السياسي الذي قاده الميامين من صحابة رسول الله عليه السلام . وليس من قبيل الصدفة أن يرسل سعد بن أبي وقاص قبل موقعة القادسية ريعي بن عامر بالذات رسولاً إلى رسم قائد الجيوش الفارسية وأميرهم ، فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالتمارق والزراقي الخرير وأظهر البيوقيت واللآلئ الشمينة وعليه تاجه وغير ذلك من الأmente الشمينة وقد جلس على سرير من ذهب . ودخل ريعي بنیاب صفيقة وترس وفرس قصيرة ولم يزل راكبها حتى داس بها طرف البساط ثم نزل وريطها ببعض الوسائل . ودخل بسلامه على رسم يتوكاً على رمحه فوق التمارق فخرق عامتها . فقال له رسم: ماجاء بكم؟ فقال: ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده (٢٠١).

مشهد لا يتكرر في التاريخ كثيراً لا يقدر عليه إلا الأعلون: المؤمنون .

(٢٠١) معلم في الطريق ، سيد قطب ، ص .

النضال السياسي المتفاعل مع قضايا المرحلة الحيوية « ٥ »

التفاعل الحي مع القضايا المطروحة

بالاضافة إلى التصدي العلني للطاغوت والظلم وأهله والأنهار الدائم للمستضعفين والفقراء والمساكين والمضطهدين، يتسم النضال السياسي المستقى من كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام بالتفاعل الحي مع القضايا المطروحة في المرحلة المعاصرة. فلم يكن رسول الله إلا بشراً مثلنا، يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ويشربون ويعيشون ويترجون النساء ويتصرون أحياناً ويزرون أخرى أي منهم يعيشون حياتهم بظواها كما يعيش باقي البشر. ولأنهم كذلك فقد تفاعلوا مع قضايا مجتمعاتهم وكان نضالهم وجهادهم دائماً ينطلق من واقع تلك المجتمعات لا من نظرية مخلقة في السماء لا يمكن إلا القليل من الناس وعيها وإدراك أبعادها. ولعل هذه الواقعية هي التي برهنت للناس - عموم الناس - على جدية هذه الرسائل في التصدي لمشاكل الناس في كل عصر، والناس في كل عصر قلما يتفاعلون مع « النظريات والأفكار » بقدر ما يتفاعلون مع « المواقف ».

انطلاق الرسل للدعوة من واقع مجتمعاتهم

والحديث الطويل العريض عن العدالة والقسط يعني عنه موقف واحد أو وقفة واحدة مع مظلوم واحد. لأن تلك الوقفة هي المثل العملي لمصداقية الدعوة من أجل العدالة والقسط.

الرسل أصحاب مواقف لا نظريات

ولقد كان رسول الله أصحاب مواقف لا أصحاب نظريات وأفكار ومن هنا صار الناس يتعلّقون بهم ويؤمنون بهم. هذه الواقعية الجدية التي دائماً تبدي على شكل موقف جدي مع العدل ضد الظلم ومع الاستقامة ضد الاعوجاج ومع الطهارة ضد الارتكاس ومع القوة والتماسك والنظافة ضد الضعف والترهل والقذارة، أقول هذه الواقعية الجدية هي التي أدخلت الناس في دين الله أهواجاً.

﴿وَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شَعِيباً قَالَ: يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكَافَلَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأَكُمْ بَخِيرٍ﴾ (٢٠٢).

﴿إِنَّا رَسُولًا إِلَيْكُمْ فَأَرْسَلْنَا مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعْذِبْهُمْ﴾ (٢٠٣).

﴿كَذَّبُتُ قَوْمٍ لَوْطَ الْمَرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ لَوْطٌ أَلَا تَتَقَوَّنُ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطْبِعُونَ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُّونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رِبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ (٢٠٤).

(٢٠٢) — سورة هود الآية ٨٤

(٢٠٣) — سورة طه الآية ٤٧

(٢٠٤) — سورة الشعرا الآيات ١٦٠ — ١٦٦

دعوة شعيب تحارب جشع التجار

نلاحظ أن دعوة شعيب كانت موجهة ضد جشع التجار وضد أشكال الدناءة التجارية التي كانت شائعة فيهم وما زالت شائعة في كثير من المجتمعات العصرية الحديثة. فدعوة شعيب لم تكن دعوة مجردة إنما جاءت باسم الله. لمحارب واقعاً اقتصادياً يقوم على الاستغلال والدناءة والابتزاز.

دعوة موسى تحارب التسلط

ودعوة موسى عليه السلام كانت موجهة ضد الطاغوت والسلط والعجرفة التاريخية التي كان يمثلها فرعون وما أكثر فراعنة عصرنا هذا. يأتي موسى — رسولاً من الله — ويقول لفرعون: ارفع يدك عن هؤلاء المستضعفين.

دعوة لوط تحارب التحلل الاجتماعي :

ودعوة لوط كانت مرتبطة بواقع إجتماعي منحل جاء — باسم الله — ليهاجمه ويعلن المفاسدة معه.

هكذا يقف أنبياء الله ورسله صفاً واحداً معارضاً لجشع التجار وطغيان السياسة وتحلل التحلليين. كان إذن النضال الكبير الذي قاده رسول الله ضد الظواهر السلبية في حياة الإنسان مرتبطاً بقضايا فعلية تعيشها المجتمعات وأوضاع مريضة يكتوي بها أهل القاء الاجتماعي. وكان نضالاً حياً متحركاً جاداً ذا بعد إنساني كبير.

التغيير الجذري في أوضاع المجتمعات كهدف مركزي لدعوة الله

رایة التغيير هي رایة الرسول

الذى يتبع القضايا التي طرحتها رسول الله كما جاء في القرآن على مجتمعاتهم المختلفة ويتعرف على حساسية وجوبية تلك القضايا يدرك أن الرسول كدعاة لله لم يعثروا ليصطلحوا مع المجتمعات التي أرسلوا إليها أو انهم أرسلوا لكي يلتقاوا معها في منتصف الطريق، بل لكي يكونوا وينما تياراً قوياً يستهدف التغيير الجذري في أوضاع تلك المجتمعات. ومن هنا نستطيع أن نقول بأن رسول الله والأجيال المتعددة والفريدة من صحابتهم وتابعهم كانوا أنصاراً للتغيير الجذري في أوضاع تلك المجتمعات. لذلك لم يكن رسول الله وصحابتهم وتابعوهم من «العناصر المحافظة» أو «اليمينية» — من حيث التصنيف السياسي — هدفها المحافظة على «الوضع الراهن»، بل كانوا من خلال واقعهم وسلوكهم عناصر متخصصة ومتجاوزة ومتقدمة على الأوضاع وداعية لتغييرها من الأساس وفق مضمون ومعايير جديدة تستهدف في النهاية تحقيق العدل الاجتماعي. لذلك ولأن رسول الله ودعاته رفعوا عبر التاريخ رایة التغيير كان أول من تصدى

هم : أولو الطول ، وأولو النعمة ، والحواشي الاجتماعية العالقة بهم من
المناصر .

المعوجة التي جاء الرسل لمعالجتها . وحججة هؤلاء في التصدي للدعوة
كانت وستظل هي هي :

- قالوا : أجيتننا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا (٢٠٥) .
- بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون (٢٠٦) .
- قالوا : بل تتبع ما وجدنا عليه آباءنا (٢٠٧) .
- قالوا : بل تتبع ما ألفينا عليه آباءنا (٢٠٨) .
- قالوا : حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا (٢٠٩) .

راية التقليد هي راية السلطة المسلطية وحواشيها

الراية التي رفعوها في التصدي للدعوة الله والتي أحاطوها
بقدسيّة وما زالوا يفعلون حتى اليوم هي راية التقليد والأعراف المرتبطة
بالآباء والأجداد لا المرتبطة بمضامين الحق والعدل والقسط ومن هنا
يتضح لنا أن رسل الله في تاريخ الدعوة كانوا لا يغيرون هذه التقليد
والأعراف وزناً ولا اعتباراً طالما أنها لم تتشق من جذر الحق والعدل
والقسط بين الناس . لذلك كان رد رسل الله للمجتمعات التي

(٢٠٥) — سورة يووس الآية ٧٨ .

(٢٠٦) — سورة الشعرا الآية ٧٤ .

(٢٠٧) — سورة لقمان الآية ٢١ .

(٢٠٨) — سورة البقرة الآية ١٧٠ .

(٢٠٩) — سورة المائدة الآية ٢٠٠ .

رفعت راية التقاليد رداً حاسماً فاصلاً بتاراً :
هـ لـ كـ نـ أـ نـ وـ آـ بـ أـ مـ فـ ضـ لـ مـ بـ مـ بـ (٢١٠).

لم يكن إذن رسول الله عناصر اجتماعية تقليدية محافظطة عالية بالنظام الاجتماعي وداعية للمحافظة عليه، بل كانوا نماذج بشرية نادرة رفعت راية التغيير الجذري للأوضاع الاجتماعية بكمالها كي تبني من جديد وفق مضمون ومعايير ومقاييس جديدة منبثقة من جذر الحق والعدل والقسط بين الناس.

طبيعة النظام الاقتصادي قبل الاسلام

لقد كان الربا هو النظام الاقتصادي السائد في الجزيرة العربية وكان اليهود وأغنياء قريش هم المستفيدين من ذلك وكان المعوزون والفقراء والمحرومون في الجزيرة العربية يرهنون لدى اليهود وأغنياء قريش حتى أولادهم وبناتهم في مقابل القروض الربوية. وصار هذا النظام عرفاً اجتماعياً وجزءاً عضوياً من تقاليد الجزيرة العربية وأعرافها. وينزل الوحي على محمد عليه صلوات الله عليه لنصف هذه الوضعية نسفاً ويلغي إلغاء هذا الواقع الباطل الذي تعارف عليه الناس :
هـ الـ ذـ يـ أـ كـ لـونـ الـ رـ بـ لـ اـ يـ قـ مـونـ إـ لـ كـ يـ قـ مـ الـ ذـ يـ يـ تـ بـ خـ طـ الشـ يـ طـ بـ اـ نـ (٢١١).

(٢١٠) — سورة الأنبياء الآية ٥٤.

(٢١١) — سورة البقرة الآية ٢٧٥.

- ﴿وَأَحْلَلَ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحْرَمَ الرِّبَا﴾ (٢١٢).
- ﴿وَأَخْذَهُمْ الرِّبَا وَقَدْ نَهَا عَنْهُ وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ (٢١٣).

النظام الاجتماعي في الجزيرة العربية قائم على التمايز

وكان التمايز والتفاصل الاجتماعي يستند إلى الأصول القبلية والثروات المادية والقوة والغلبة والقهر وحتى تقاسم الأرضي لغرض احتللك ولغرض الرعي (الحمى) وكذلك تقاسم آبار المياه داخل الجزيرة العربية كان يقوم على هذه التقاليد والأعراف البالية. فينزل الوحي ليؤكد أن هذا التمايز الاجتماعي بين الناس باطل لا يقره الحق وأن المال لا يجوز كنزه وأن له وظائف اجتماعية وأن كأنزه ملعون ستكون جهنم له حصيراً وأن الحمى لله ولرسوله وأن الأرض لمن أحيها وأن الناس شركاء في الكلاً والماء والنار.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَاصُكُمْ﴾ (٢١٤).

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الْذَّهَبَ وَالْفَضْلَةَ وَلَا يَنْفَقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرُهُمْ بِعِذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارٍ جَهَنَّمَ فَتَكُوئُ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزَتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ

(٢١٢) — سورة البقرة الآية ٢٧٥.

(٢١٣) — سورة النساء الآية ١٦١.

(٢١٤) — سورة الحجرات الآية ١٣.

تكتزونون ٤٠ .

٥٠) تبت يدا ألي هب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصل ناراً
ذات هب ٤١٦ .

هدف الدعوة التغيير الجذري

هكذا إذن يتبدى لنا أن الدعوة إلى الله كانت تستهدف منذ أيامها الأولى التغيير الجذري في الأوضاع الاجتماعية من أجل أن تردها إلى المعايير والمضامين الصحيحة. وهكذا يتضح لنا أن رسول الله ودعاته كانوا و يجب أن يظلوا عناصر مربوطة بالحق أينما دار لا عناصر تقليد أو تقاليد أو أعراف لا علاقتها لها بالحق أو العدل أو القسط إن الدعوة إلى الله والدعوة إلى الله يجب ألا يصطدحوا مع الأوضاع التي لاتقوم على معايير الحق والعدل والقسط بين الناس بل يجب أن يكونوا دعوة تغيير وأدوات تخطي وتجاوز تاريخيين .

٤١٥) - سورة العنكبوت الآية ٣٤ - ٣٥ .
٤١٦) - سورة المسد الآيات ١ - ٣ .

هل يجوز للمسؤولين في الدولة الإسلامية أن يمارسوا الأعمال التجارية

أجمع علماء السياسة الوضعية والشرعية على أن أهم صفة للسلطة السياسية الرشيدة هي صفة: العدالة، كما أنهم أجمعوا أن هذه الصفة لا تتحقق في الحكم الراشد إلا إذا وقف من فيه موقفاً حيادياً إزاء فئات وأفراد المجتمع المحكم. هذا الحياد الاجتماعي للسلطة السياسية هو الذي يتبدى على شكل عدالة اجتماعية تشمل الجميع في المجتمع السياسي.

الفكر السياسي الوضعي عبر التاريخ يحاول التوصل إلى صيغة سياسية للحكم تتحقق فيها العدالة

والذى يدرس الفكر السياسي الوضعي وتاريخه منذ الاغريق والروماني والعصر الوسيط والحديث يجد أنه عبارة عن محاولات متكررة من جانب فلاسفة السياسة للتوصى إلى صيغة سياسية للحكم تتحقق فيه صفة الحياد الاجتماعي للسلطة السياسية من أجل أن تشمل الجميع العدالة.

بعض الكتاب الدين حاولوا التوصل للصيغة السياسية السليمة في الحكم

استغلال النفوذ جلب المนาفع :

حتى الذين يستغلون نفوذهم وسلطتهم جلب المนาفع والمعانم لهم ولذوهم وجمع الأموال « والهدايا » قد حذر منهم رسول الله ﷺ .

ففي البخاري عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه ، قال : استعمل النبي ﷺ عاماً من الأزد يقال له عبد الله بن اللتبية على الصدقة ، فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدي إليّ . فقال النبي ﷺ : « مما بال العامل نستعمله فإذاً فيقول هذا لكم وهذا أهدي إليّ ، أفلأ جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدي إليه أم لا ؟ والذي نفسي بيده لا يغفل منه شيئاً إلا جاء به يوم القيمة يحمله على رقبته . إن كان بغيرها له رغاء أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر ، ثم رفع يديه حتى رأينا عفريت إبطيه وقال : اللهم هل بلغت ؟ اللهم هل بلغت ؟ ثلاثاً » (٢١٩) .

الاستيلاء على الأراضي :

ومن صور استغلال النفوذ للأغراض التجارية الاستيلاء على الأراضي والمضاربة بها ، فها هو رسول الله ﷺ ينذر هؤلاء : « من أخذ من الأرض شيئاً ظلماً ، جاء يوم القيمة يحمل ترايضاً إلى الحشر » (٢٢٠) .

(٢١٩) فتح الاري ج ١٤ ص ٣٣٢ .

(٢٢٠) مسند أحمد ج ٤ ص ١٧٢ ، صحيح الجامع الصغير المسيوطي

٠ «من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خسف به يوم القيمة إلى سبع أرضين» (٢٢١).

أهم أسباب سقوط الدولتين الأموية والعباسية:

الذي يدرس الفترة الأموية والعباسية يلاحظ أن من أهم أسباب سقوط تلك الدول يعود إلى الخروج عن السنن الشرعية في المجال الذي نبحث. حيث أنه لم تعد الخلافة والولاية في تلك المراحل من التاريخ الإسلامي رياضة عامة للمسلمين حريصة على نفعهم يقدر ما صارت طرفاً اجتماعياً في السوق حريصاً على جلب المنافع المادية والمالية، لذلك انطلقت الأيدي بالعسف والجحود في جباية الأموال وبالوسائل غير المشروعة وبارهاق الناس بالضرائب الفادحة فزادوا في الخراج والجزية على حين كانت الزيادة تناقض العهد وفرضوا الضرائب حتى على الأراضي الخراب وفرضوا «هدايا» على الذميين في عيد النيروز ووضعوا ضرائب على مرور السفن بالماء ووضع مروان بن محمد في ولاته على أرمينية ضرائب الأسماك. ومع هذا التفتن في ضرب الضرائب استخدمو القسوة في تحصيلها مما أدى إلى نفور الناس وتذمرهم وثورتهم (٢٢٢).

ج ٥ ص ٢٢٣ ٥٨٦٠ حديث قال الألباني: صحيح، والنظر سلسلة الأحاديث

الصحيحة ج ١ ص ٨٨ حديث ٤٤٢.

(٢٢١) صحيح الجامع الصغير للسيوطى ج ٥ ص ٢٣٢ ٥٨٨٩ قال الألباني: صحيح.

(٢٢٢) السياسة الشرعية لعبد الوهاب خلاف ص ١٤٨.

وكتابات أفلاطون في «الجمهورية» و«القوانين» عندما كان يتغول في التنظير لدولة المدينة وأرسطو في «السياسات» وشيشرون وسينيك في العصر الروماني مروراً بالعصر المسيحي مثلاً بتوما الأكويوني وجون الباريسي إلى «يوبوبيا» توماس مور و«جمهورية» جان بودان وتوماس هوينز وهاليفاكس ولوك ورسو في «العقد الاجتماعي» وغيرهم وغيرهم، ليست هذه الكتابات سوى محاولات بشرية متكررة عبر عصور عديدة للتوصل إلى صيغة سياسية يتحقق عبرها الحياد الاجتماعي للسلطة السياسية وذلك لكي تحظى بمصداقية تؤهلها لغض التزاعات بين الفئات الاجتماعية ذات المصالح المتباعدة.

الضوابط هدفها الحفاظ على الحياد الاجتماعي

هذا وضع علم السياسة الوضعية وعلم السياسة الشرعية عدة ضوابط وحدود وأطر وكوابح كيما تظل السلطة السياسية ضمنها لا خارجها من أجل الحفاظ على الحياد الاجتماعي وهي صفة ضرورية لأي حكم راشد، فإن جرحت هذه الصفة — صفة الحياد الاجتماعي — للسلطة السياسية صارت الأخيرة طرفاً في التزاع الاجتماعي وبالتالي غير مؤهلة للحكم بالعدل.

جرح الحياد الاجتماعي بدخول السوق للحاكم

ومن أخطر الطرق لجرح الحياد الاجتماعي للسلطة السياسية هو في أن تدخل السوق وتصير طرفاً فيه. ذلك أن كونها طرفاً تجاريأً

في السوق سيدفعها حتماً لاساءة استعمال السلطة واستغلال النفوذ من أجل الأغراض التجارية المرتبطة بحركة التجارة . وهذا من شأنه أن يقود إلى ظلم بعض الأطراف الاجتماعية ، والظلم يقود إلى التذمر ، والمكاسب التجارية قد تغري السلطة السياسية بكبح التذمر ، والكبح قد يولد ردود فعل لن تكون بالضرورة لصالح الاستقرار الاجتماعي .

الاسلام وضع قيوداً لمن يعلى المسؤولية السياسية

من أجل هذا نجد أن الاسلام — عبر أنظمته واجراءاته وتعاليمه وأصوله العديدة — يضع القيود الكثيرة على من يتول المسؤولية السياسية حتى لا يصير طرفاً تجاريًّا في السوق وما يترتب على ذلك من خاطر اجتماعية .

يقول المصطفى عليه السلام : « من أخون الخيانة تجارة الوالي في رعيته » ^(٢١٧) .

سارع أبو بكر صبيحة يوم استخلافه وعلى رأسه أثواب يريد أن يتجر فيها ، وقد كاد يفعل ، لو لا أن منعه عمر وأبو عبيدة ليفرغ لأمور المسلمين ، إذ قال له : كيف تصنع هذا وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال : فمن أين أطعم عيالي ؟ قالوا : نفرض لك ، ففرضوا له كل يوم شطر شاة رضي الله عنه وأرضاه ^(٢١٨) .

(٢١٧) - كفر العمال ج ٦ حديث ٧٨ .

(٢١٨) إرشاد الساري شرح البخاري للقسطلاني ج ٥ ص ٥٠ .

واضح من خلال ما ذكر أن اشتغال المسؤولين في الدولة
الإسلامية بأمور التجارة سيؤدي حتماً إلى جرح في عدالتهم كما
حدث في التاريخ الإسلامي، وإذا وضعنا في الاعتبار النصوص
ال الشريفة من حديث رسول الله ﷺ، تبين لنا أن الدليل الشرعي
والعلقي يؤودي بنا أن الإسلام لا يحير أن يشغله المسؤولون عن
ال المسلمين بأمور التجارة لأنها ستؤدي في النهاية إلى الظلم المنافق
لجوهر الدين.

والله أعلم. ﴿ وَقُلْ رَبِّيْ زَدْنِيْ عِلْمًا ﴾ (٢٢٣).

قيام الدين بالكتاب والميزان والحادي

فترات السلم والهدوء أقل من فرات الحروب في تاريخ البشرية:

الذى يتفحص التاريخ السياسي والعسكري للإنسان فوق هذه الأرض يلاحظ أن التنازع والصراع والحروب قد احتلت الجزء الأكبر من التاريخ الإنساني وأن فرات السلم والهدوء لم تتحقق إلا نادراً وأنها لا تطول مهما كانت مفيدة للإنسان. ويعلمنا تاريخ الإنسان السياسي والعسكري أن الحقائق السياسية والعسكرية اليابسة المتحققة فوق الأرض أبعد أثراً في صياغة المستقبل من كل الأفكار والنظريات والأشعار. ومن يتفحص القرآن الكريم وسيرة المصطفى عليه السلام يلحظ أن كلّيما يؤكدان تلك المقوله . والإسلام لم يحقق هذا الاتساع الكبير في العالم إلا عندما انطلق أبناؤه من التسليم بأن اليد العليا خير من اليد السفلی وأن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

مئات الأطنان من المواد تلقى في الحيطات عمداً للمحافظة على السعر التجاري :

ولو تفحصنا حتى حقائق هذا العصر السياسية للمحاجنا القوة والحدث من ورائها. فالعالم لا يعترف بالضعف ولا بحقوقه مهما استندت على كل الشرعيات المتعددة. يكفي أن نعرف أن خمسين مليون نسمة يموتون سنويا من الجوع في العالم وأنه مع هذا مئات الملايين من أطنان القمح والسكر والزيوت والفواكه والخضروات تلقى عمداً في الحبطات البعيدة وذلك للمحافظة على سعرها التجاري في الأسواق العالمية. ولنسأل أنفسنا: من يقف وراء ذلك؟ إنها الرأسمالية العالمية التي تصدر لنا المواد الاستهلاكية بالأسعار التي تحددها هي. علام تستند الرأسمالية في علاقتنا بها وعلاقتها بنا؟ على تبعيتها لها وسيطرتها علينا؛ السياسية والاقتصادية والعسكرية؛ أي على كل أنماط وشكليات القوة.

قيام الدولة الإسلامية بالقرآن والميزان والحدث:

منذ البداية أدرك المعلم الأول رسول الله ﷺ أن دولة الإسلام ودين الإسلام لا يقوم إلا بالكتاب والميزان والحدث. كتاب يهدي به وميزان به تقوم الحقوق الإنسانية وحدث ينصره ويهيئه تقوم الحدود على الكافرين والمنافقين. لذلك كان للرسول ﷺ كوكبة من المجاهدين ترافقه في السفر والغزو تسمى «الكتيبة الحضراء» قال ابن هشام: وإنما قيل لها الحضراء لكتيبة الحديد وظهوره فيها^(٢٢٤). وخلال فتح مكة يأمر رسول الله ﷺ العباس أن يحبس أبي سفيان بواد حيث

(٢٢٤) سيرة النبي لابن هشام ج ٤ ص ٤٣.

يرى جند الله ويقول: «يا عباس، احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها»^(٢٢٥). وعبر رسول الله ﷺ في كنيته الخضراء لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد فيقول أبو سفيان: سبحان الله يا عباس من هؤلاء: فيقول له العباس: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار. فيقول أبو سفيان: ما لأحد بهؤلاء قيل ولا طاقة^(٢٢٦). كان رسول الله ﷺ يؤكد دائمًا للمؤمنين بأنهم الأعلون وبأن يدهم هي العليا وكان يردع كل الرايات الأخرى أن ترتفع فوق راية الإسلام. حتى الذين تجاسروا على سب الإسلام مثل عصماء بنت مروان التي وضعت أربعة أبيات من الشعر في ذلك فإذا بالرسول ﷺ يستحث همة عمير بن عدي ليقتلها ويقول له: «ألا آخذ لي من ابنة مروان؟ فسرى عليها عمير في بيتها وقتلها ثم أصبح مع رسول الله ﷺ وقال له: يا رسول الله إني قد قلتها، فقال: نصرت الله ورسوله يا عمير»^(٢٢٧). ولم يكن رسول الله ﷺ والجماعة الإسلامية الأولى يتضرر الخطر حتى يدهمه بل كان يدهم ويماuga الأعداء في دورهم.

بعث الرسول عبد الله بن أبي سفيان بن نبيع الهمذاني:

يقول الصحافي الجليل عبد الله بن أبي سفيان: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «إنه قد بلغني أن ابن سفيان بن نبيع الهمذاني يجمع لي

(٢٢٥) سيرة النبي لابن هشام ج ٤ ص ٢٢.

(٢٢٦) سيرة النبي لابن هشام ج ٤ ص ٢٣.

(٢٢٧) سيرة النبي ﷺ لابن هشام ج ٤ ص ٢٠٩.

الناس ليغزوني وهو بنخلة أو بعرفة فآتاه واقته . قلت يا رسول الله
انعنه لي حتى أعرفه قال : إنك إذا رأيته أذكري الشيطان وأية ما
بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة . قال : فخرجت
متوشحاً سيفي حتى دفعت إليه وهو في ظعن (النساء في الموج)
يرتاد هن منزلة وكان وقت العصر . فلما رأيته وجدت ما قال لي
رسول الله عليه صلوات الله عليه من القشعريرة فأقبلت نحوه وخشيت أن تكون بيني
وبينه مُجاوِلةً تشغلي عن الصلاة فصلت وأنا أمشي نحوه أومئ برأسي
فلما انتهيت إليه قال : من الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك
وجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك . قال : أجل إني لفي ذلك .
قال : فمشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف
فقتلته ثم خرجت وتركت ظعاته (نسأله) منكبات عليه فلما
قدمت على رسول الله عليه صلوات الله عليه فرأني قال : « أفلح الوجه » قلت : قد
قتلته يارسول الله . قال : صدقت . ثم قام بي فادخلني بيته فأعطياني
عصاً فقال : « أمسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس »
قال : فخرجت بها على الناس فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانها
رسول الله عليه صلوات الله عليه وأمرني أن أمسكها عندي . قالوا : أفلأ ترجع إلى
رسول الله عليه صلوات الله عليه فسألته لم ذلك ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله عليه صلوات الله عليه
فقلت : يارسول الله لم أعطيتني هذه العصا ؟ قال : آية بيني وبينك
يوم القيمة إن أقل الناس المتخضرون يومئذ (أي المتكثرون على
الخاصر والخاصر مفردتها مخضرة : العصا) . قال : فقرنها عبد الله بن
أنيس بسيفه فلم تزل معه حتى مات ثم أمر بها فضمت في كفنه ثم

قتل الجاسوس

وكان رسول الله ﷺ يأمر بقتل الجاسوس على الجماعة الإسلامية ففي صحيح البخاري: «حدثنا أبو نعيم، حدثنا أبو العباس عن إبراهيم بن سلمة ابن الأكوع عن أبيه قال: أتى النبي ﷺ عين (أي: جاسوس) من المشركين وهو في سفر، فجلس عند أصحابه يتحدث ثم انفلت (أي: انصرف) فقال النبي ﷺ: اطلبوه واقتلوه — أي سلمة بن الأكوع — فنفلت سله (أي: أعطى النبي ﷺ بن الأكوع سلب ذلك الجاسوس) (٢٢٩).

إن الدعوات، والدول التي تقوم عليها، لاتدوم ولاتسود عن طريق التبني والمناشدة الصالحة للتزعمات السلمية والاستسلامية والانهزامية، بل تقوم على الكتاب الذي يهدي والعدل الذي يقسط بين الناس وأولاً وأخيراً الحديد الذي يحمي ويردع، يحمي حوزة الإيمان وأهله ويردع كل المستكينين والمنافقين و «إن الله يزعم بالسلطان مالا يزعم بالقرآن» (٢٣٠). كان النبي ﷺ حتى إذا زار المريض استحث فيه القوة وحرضه على القتال إذ كان يدعوه له

(٢٢٨) — سيرة النبي ﷺ لابن هشام ج ٤ ص ١٩٧.

(٢٢٩) — صحيح البخاري ج ٥ ص ١٧٤.

(٢٣٠) — قول ينسب لعثمان بن عفان رضي الله عنه.

بالقول: «اللهم اشف عبده ينكاً لك عدواً، أو يمشي لك إلى صلاة»^(٢٣١).

(٢٣١) — في أبي داود أو يمشي لك إلى جنازة. من غير ذكر للصلوة. انظر ج ٢ ص ٤٨٠، وأخرجه ابن حبان انظر موارد الظمان إلى زوايد ابن حبان للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الميشي تحقيق محمد عبد الرزاق حزة ص ١٨٣ حدث ٧١٤ ط: المطبعة السلفية.

ورواه الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٣٤٤ وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

الموقف من الاقطاع السياسي

ارتباط القبيلة أو العشيرة بالمنصب السياسي في المجتمع العربي

أخطر ما في التشكيل الاجتماعي عند العرب رسوخ مفاهيم القبيلة والعشيرة والقوم وانعكاس ذلك على توزيع المسؤوليات السياسية في المجتمع العربي. ومن يدرس الشعر الجاهلي كتراث سياسي يتضح له هذا الأمر بلا كثير عناء وقد أثر هذا الأمر كثيراً على التطور السياسي للمجتمع العربي، كما أنه ضبط إلى حد كبير لفترة طويلة علاقات المجتمع العربي السياسية بباقي المجتمعات

المحاذية، داخلياً وضمن العرب أنفسهم ساهم رسوخ مفهوم القبيلة والعشيرة والقوم في تقسيم المجتمع إلى طبقات سياسية محددة تكرست فيما بينها الفوارق الاقتصادية والاجتماعية ومن يدرس ظهور الحرف في المجتمع العربي وتوزيع الثروة والقيم الاجتماعية والتذمر السياسي الذي عكسه شعر الصعاليك أمثال الشنفرى يتوضّح له

أكثر من جانب في هذا الموضوع. هذه الطبقات السياسية التي انفرزت من خلال رسوخ مفاهيم القبيلة والعشيرة والقوم عند العرب، صارت فيما بعد مؤسسات سياسية تحكر المبادرة السياسية

في المجتمع العربي وبالتالي ساعدت كثيراً على جموده وحالت دون حركته وحيويته.

«الندوة» تعيير واضح لسيطرة الطبقات السياسية

ومن يدرس تشكيل «الندوة» كمؤسسة سياسية تجتمع في ظل الكعبة قبل الاسلام وفي أيام ظهوره يدرك إلى أي مدى أنها كانت تعبيراً واضحاً عن سيطرة تلك الطبقات السياسية التي تستند على فعاليتها التجارية في رحلة الشتاء والصيف على جمل الحياة السياسية في مكة والمدينة والطائف وسائل أنباء التجمعات السكانية في الحجاز.

طرح الاسلام للمفاهيم الجديدة كالأمة والمؤاخاة

وعندما جاء الاسلام كمنبع جديد لحياة كاملة وشاملة اصطدم وبشكل مباشر بمشكلة القبيلة والعشيرة والقوم حيث طرح مفهوم «الأمة» و «المؤاخاة» بين الأضداد القبلية و «التفوي والبلاء» و «العمل الصالح» و «الناس سواسية كأسنان المشط»، وهذه كلها مفاهيم كانت جديدة على العربي وتصطدم — وبشكل مباشر — مع عقيدته في القبيلة ومع أولويات العشيرة وقدسيّة القوم. هذه المفاهيم الجديدة التي طرحتها الاسلام على المجتمع العربي خاطبت بالفعل ضمير القاعدة الاجتماعية الأعرض والتي لم تكن القبيلة السياسية المهيمنة تعبّر عن مكوناتها.

استقطاب العناصر الاجتماعية للدعوة الإسلامية

لذلك سارعت كل العناصر الاجتماعية الراغبة في المساواة والتحرر الاجتماعي والكرامة في رحاب العبودية لله، أقول سارعت لحظية الدعوة الجديدة التي ضمت في كنفها نزعاً اجتماعياً من كل زوايا الجزيرة العربية. ووُجِدَ — من خلال الدعوة الجديدة — كثير من أبناء القاعدة الاجتماعية الأعرض المزدراة في المجتمع الجاهلي فرص الصعود الاجتماعي السياسي لاختلاف المعايير الاجتماعية والسياسية التي جاء بها الإسلام عن نظيراتها في المجتمع العربي الجاهلي.

محاولة العرب لرد المجتمع القديم

وحاولت قوى الاقطاع السياسي العربي ذات الفعالية التجارية — وخاصة خلال خلافة أبي بكر رضي الله عنه وعبر حروب الردة — أن تسترد المبادرة السياسية لتعيد المجتمع العربي إلى الوراء بعد أن تحرر من الاقطاع السياسي والتفاوت الاجتماعي.

وظللت مسألة القبيلة السياسية والاقطاع السياسي مشكلة قائمة تتفاعل في المجتمع العربي لمدة قرون وحتى عصرنا هذا رغم الشجب والرفض الذي يقفه منها الإسلام من خلال تعاليم دستوره (القرآن الكريم) وسنة رسول الله عليه صلواته.

تضييق الاقطاع السياسي لفترة معينة

عملياً يتبدى الاقطاع السياسي من خلال تضييق المسؤوليات

السياسية لقبائل معينة أو حتى قبيلة معينة. والريادة السياسية في المجتمع الخاضع للاقطاع السياسي لاتتحصل عن طريق «التفوي» أو «الباء» أو «العمل الصالح» أو الانتهاء «للأمة» بقدر ما تتحصل عن طريق «الصدف البيولوجية» الصرفة. ومن يراجع تاريخ المجتمع العربي القديم والوسط والحديث لن يجد كثير عناء في تحديد أسماء أطفال لم يبلغوا الحلم تسلموا وهم أطفال «مسئولياتهم السياسية» ! .

علاج الاسلام هذه القضية

وعندما جاء الاسلام حدد موقفه من هذه القضية بشكل لا أقول فقط واضح ، إنما مدرب أيضاً .

استعمال الأصلح للولايات

يحدد ابن تيمية موقف الكتاب والسنة من قضية الاقطاع السياسي بالقول أن الصلاحية السياسية ليست مربوطة — بالقرابات والأصول القبلية — بل مربوطة في الأساس بـ «استعمال الأصلح للولايات» دون أي اعتبار للقبيلة والعشيرة والقوم . ويقول ابن تيمية إن خيانة الله تعالى ورسوله عليه السلام تكون عن طريق الانحراف عن هذا المنهج القويم في السلوك السياسي . ويدرك ابن تيمية حديث رسول الله عليه السلام : « من استعمل رجلاً من عصابة وفي تلك العصابة من هو أرضى منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين » (٢٣٢) .

(٢٣٢) — رواه الحاكم في المستدرك ج ٤ ص ٩٢ و ٩٣ وقال هذا حديث صحيح الأساند ولم يخرجاه . ط بيروت .

ويذكر ابن تيمية قول عمر : « من ولی من أمر المسلمين شيئاً فولی رجلاً ملودة أو قرابة بینهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين » (٢٣٣) ويقول ابن تيمية ان على ولی الأمر « البحث عن المستحقين للولايات » (٢٣٤) :

« فان عدل عن الحق الأصلح إلى غيره، لأجل قرابة بینهما أو ولاء عتاقة أو صداقه أو موافقة في بلد أو مذهب أو طريقة أو جنس كالعربية والفارسية والتركية والرومية أو لرשותه يأخذها منه من مال أو منفعة أو غير ذلك من الأسباب أو لضفن (حقد) في قلبه على الحق أو عداوة بینهما فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ودخل فيما نهى عنه في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَلَا تَخُونُوا أَمَانَاتَكُمْ وَإِنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٣٥) . أولئك قومي فجئني بمثلهم .

(٢٣٣) — في معناه حديث « من ولی من أمر المسلمين شيئاً فامر عليهم أحداً محاباة فعلية لعنة الله لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم » رواه الحاكم في المستدرك وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجها ، قال الذهبي : منكر ، قال الدرقطني : متروك ج ٤ ص ٩٣ .

(٢٣٤) — السياسة الشرعية ص ١٠ .

(٢٣٥) — السياسة الشرعية لابن تيمية ص ٨ والآية من سورة الأنفال رقم ٢٠ .

اليمين السياسي والدعوة الإسلامية

تفلوت إيمان الصحابة وتفاوت مواقفهم في نصرة الدين

حتى المجتمع الإسلامي الأول الذي تأسس بعد فتح مكة لم يكن الناس فيه على مستوى إيماني واحد بهذا الدين ومقرراته العقائدية والتشريعية. كان هناك عدة طوائف وفئات من المهاجرين والأنصار وأهل بدر وأصحاب بيعة الرضوان ومن أافق قبل الفتح وقاتل ومن أافق بعد الفتح وقاتل وكان هناك أيضاً فئة القاعددين المتخلفين وكذلك فئة المناقفين. كل فئة من هذه الفئات كانت تؤكد إيمانها بهذا الدين، لكن واقع الحال أن لكل فئة من هذه الفئات موقفاً متميزاً إزاء الدين. فموقف أهل بدر الذين قال فيهم رسول الله عليه السلام: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة»^(٢٣٦) نقول: إن موقف أهل بدر لا شك كان ذا مستوى إيماني أرفع من موقف الطلاقاء الذي أسلموا بعد الفتح وأنفقوا بعد الفتح.

موقف أهل البيعة

وموقف أهل بيعة العقبة الذين قالوا لرسول الله عليه السلام: اشترط

(٢٣٦) — فتح الباري ج ٨ ص ٣٠٧ ط مصطفى الباني الحلبي سنة ١٩٥٩ م.

لربك ولنفسك ما شئت. فقال لهم: «أشترط لربك أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم» قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: الجنّة. قالوا: ربّي البيع لأنقيل ولا تستقبل^(٢٣٧). لاشك أن موقف هؤلاء - وكلهم مسلمون - أرفع من مستوى القاعدين الذين اكتفوا بإقامة الصلاة.

اختلاف الفئات في المجتمع المسلم

نحن إذن إزاء مجتمع مسلم لكن ينطبق عليه مقاييس التصنيف السياسي لسائر المجتمعات البشرية. فهناك الفئات الذي تحقق فيها التجرد والخلوص والاصرار على تحقيق التحول إلى الاسلام. وهناك في نفس المجتمع فئات تحقق فيها شكل وقشر الاسلام لكنها كانت ضدّ مضمون وجوهر العقيدة الاسلامية في العدل بين الناس والمساواة بينهم في الدماء والفروج والأموال.

تفاوت إيمان الدين أسلموا عام الفتح

الحقيقة أن الاتساع الأفقي السريع الذي حققه الاسلام بعد فتح مكة دفع أفواجاً كثيفة من الناس للدخول في هذا الدين. غير أن هذه الأفواج الكثيفة من الناس لم تكن تنتظمها درجة واحدة من الإيمان. ففيهم من دخل هذا الدين مستسلماً لقوة المسلمين، وفيهم

(٢٣٧) — سيرة النبي لابن هشام ج ٢ ص ٤١ و ٤٢ و ٥٠ و ٦٢ ط بيروت.

الكاره لهذا الدين المنافق وفيهم المؤلفة قلوبهم، وفيهم فئات أخرى لا يعلمها إلا الله.

ففة المنافقين

ومن ضمن هذه الفئات التي كانت تتحرك في المجتمع الإسلامي الأول ففة المنافقين، وتلك كانت أخطر ففة. انضمت هذه الففة لهذا الدين وهي كارهة له وعازمة على حربه في داخل حظيرته. معظم هؤلاء الذين نافقوا كانوا من أعيان مكة والمدينة والطائف والتجار وزعماء القبائل الذين قرروا إظهار الإسلام ولكنهم كانوا يعطون للإسلام ولأهلها كراهية شديدة. وسورة التوبه في القرآن عالجت موضوع هذه الففة الخطيرة لقد فضحتهم سورة التوبه ووصفت أحواهم النفسية والعملية.

﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَنَكِمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ ﴾ (٢٣٨).

﴿ اسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ (٢٣٩).

﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ النَّبِيَّ ﴾ (٢٤٠).

﴿ وَلَا تُنْصِلُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَا تَأْبِي وَلَا تَقْمِلُ عَلَى قَبْرِهِ... وَلَا تَعْجِبْكَ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَعْذِبَهُمْ بِهَا فِي

(٢٣٨) — سورة التوبه الآية ٥٦.

(٢٣٩) — سورة التوبه الآية ٨٠.

(٢٤٠) — سورة التوبه الآية ٦١.

هذا في المجتمع الاسلامي الأول كما تقرره السورة الفاضحة :
سورة التوبه .

فقة اليمين السياسي في الوقت الحاضر

أما اليوم في المجتمع العربي الاسلامي المعاصر فنلحظ أن التصنيف السياسي للمجتمع يشمل — فيما يشمل — فقة تسم بنفس مواصفات وتركيبيات فقة المنافقين ألا وهي فقة اليمين السياسي التي تسيطر على معظم الرقعة العربية والاسلامية . هذه الفقة لاتفوت فرصة واحدة إلا لتعلن علينا بالأيمان المغلظة أنها تقف مع الاسلام ودعوة الاسلام ، وفي نفس الوقت من يتبع سلوكها السياسي إزاء الدعوة والدعاة يلحظ العجب العجاب فهي تكر وتأمر على المسلمين الملتزمين وتؤلي أعداء الله من قوى الاستعمار الخارجي . في تصوري أن موقف هذه الفقة — فقة اليمين السياسي العالق بالوضع الراهن — أخطر بكثير من مواقف سائر الفئات السياسية إزاء الاسلام ودعوته .

اليسار الدولي

فاليسار الدولي وتفريعاته المحلية العربية والاسلامية ويشتى مدارسه المتعددة قد حدد في أدبياته موقفه من الاسلام والأديان

المساوية كافة، ونستطيع على ضوء ذلك أن نحدد موقفنا منه المنهجي والم Marloli، لكن اليمين السياسي في تصوري يتخذ موقفاً أحظر إزاء الإسلام ودعوة الإسلام. إنه يرفع نفس الراية ولكن لتحقيق غاية مختلفة تماماً عن الغاية التي يهدف لتحقيقها الدعاة المخلصون للدعوة. إن اليمين السياسي يتخذ — لذلك — مواقف مشبوهة إزاء العمل الإسلامي وهو يهدف من خلالها لتحقيق الغاية:

أهداف اليمين السياسي الانحراف بالعمل الإسلامي

١ — يهدف اليمين السياسي العميل للاستعمار الغربي الجديد أن ينحرف بالعمل الإسلامي عن مهمته المركزية وهي تأسيس الكيان السياسي للإسلام على شكل دولة ترتكز على القرآن والسنة. ولذلك يبذل اليمين السياسي جهوداً كثيفة في سبيل إغراق العمل الإسلامي في كل المجالات التي لن تسهم في بلورة رؤية إسلامية مستقلة.

تسخير العمل الإسلامي للتصدي لليسار الدولي

٢ — يريد اليمين السياسي أن يجعل من العمل الإسلامي ومؤسساته وصحفه و المجالاته ومنظمه الطلاوية وسيلة لتكريس أوضاعه السياسية المترنحة تحت شعار التصدي لليسار الدولي، لذلك يبذل اليمين السياسي المرتبط بالكتلة الغربية جهوداً كثيفة لتوظيف العمل الإسلامي في مهمة التصدي لليسار الدولي وتضخيم « مخاطره » دون أن يسمح للعمل الإسلامي أن يحقق مكاسب

فعالية وبعيدة الأثر لصالح مستقبل الاسلام كمنهج ائمي مستقل عن العالم الرأسمالي.

تجريد العمل الاسلامي

٣ - يريد اليمن السياسي تجريد العمل الاسلامي من كل إمكانيات الاستمرار ومن كل إمكانيات الردع وذلك لتحقيق أكبر قدر ممكن من الانكشاف يسمح بضرب العمل الاسلامي في الوقت الذي تحدده مصلحة اليمن السياسي ومن يوجهونه خارج المنطقة.

لقد نجح اليمن السياسي - سليل المناقفين - لفترة غير قصيرة في توظيف الدعوة إلى الاسلام لتكريس أوضاعه السياسية المنحرفة في غفلة من الدعاة. لكن تبشير الاقتضاب الجديد بدأت تشرق من جديد وصار المسلم المعاصر يقرأ سورة التوبية بمنظار عصره ويفهم من خلالها الطبيعة الملتوية لليمن السياسي العالق بالأوضاع الراهنة.

عبثاً أن جعلهم الله في الدرك الأسفل من النار لأنهم أخطر على الاسلام من كل رايات الكفر المرفوعة اليوم في العالم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدُّرُكِ أَسْفَلُ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾^(٢٤٢).

اليمين السياسي مرة أخرى

تعارض الغايات بين الخط السياسي للحركة الإسلامية وبين الخط السياسي لليمين السياسي

مجدداً ثير هذه القضية الدقيقة الحساسة: قضية المناقين في صدر الإسلام والمراذف العصري لهم: اليمين السياسي. ومجدداً نقول أنه مثلما تعارضت الغايات والولاءات بين القاعدة الاجتماعية الصلبة للمجتمع المسلم الأول في المدينة المنورة من جهة وفئة المناقين من جهة أخرى نقول مثلما كان ذلك حتماً مقتضياً في صدر الإسلام، ينبغي كذلك أن تتعارض اليوم الغايات والولاءات بين الخط السياسي للحركة الإسلامية من جهة وبين الخط السياسي الذي يسترشد به اليمين السياسي والذي هو المراذف العصري لفئة المناقين.

غاية الحركة الإسلامية

نشدد على ذلك لسبب جوهري وهو أن غاية الحركة الإسلامية اليوم هي تحقيق التغيير الجذري في الأبنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للشعوب الإسلامية بما يتواافق مع مقررات الشرع الإسلامي في العدل المطلق بين الناس في الدماء والقروج والأموال

وذلك من شأنه أن يهيء المناخ الملائم لتأسيس دولة الإسلام الغافية في هذا العصر.

غاية اليمين السياسي

بينما نجد أن غاية اليمين السياسي النهائية هي المحافظة على الوضع الراهن وتكريس ثوابته وثبيت متغيراته ودحض وقهر وقمع وجزر وعزل كافة القوى الجذرية — بما فيها الإسلامية وربما نقول بالأخص الإسلامية — التي من شأن استمرارها هز ثقة عموم الناس بالواقع السياسي الذي تعشه أقطار اليمين السياسي.

إذن: هناك خلاف جوهري في الغاية بين الحركة الإسلامية واليمين السياسي، فغاية وهدف الحركة الإسلامية تحقيق التغيير الجذری في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية داخل الشعوب الإسلامية من أجل استئناف حياة إسلامية كاملة على مستوى الدولة والجيش والسوق والتعليم وغيرها، وأما غاية وهدف اليمين السياسي فهي المحافظة على الوضع الراهن بكل أبنية الاجتماعية المتهالكة وتعيشه الاقتصادية والسياسية للعالم الغربي — سليل الصليبية الحاقدة.

اختلاف الخط السياسي منهجاً وموقفاً

إذا اتفقنا على ذلك — أي على اختلاف الغايات والأهداف لكل من الحركة الإسلامية واليمين السياسي وتعارضهما وتتضاربما — فيترتب عليه إذن ضرورة اختلف الخط السياسي: منهجاً و موقفاً. نعم، قد تجتمع — في مرحلة معينة — شبكة ظروف محددة تفرض على الحركة الإسلامية أن تنسجم في موقفها مع اليمين أو اليسار، لكن ينبغي أن يكون واضحاً أن ذلك الانسجام — والذي في ضوء المعطيات الحالية يستفيد منه اليمين السياسي أياً استفاده — مربوط ومرهون بسريان مفعول تلك الشبكة المعقّدة من الظروف المحددة المذكورة. كذلك ينبغي أن يكون واضحاً التناقض الاستراتيجي والتباين العضوي للخط السياسي الإسلامي إذا ما قورن بخط اليمين السياسي ومراميه وتهالكه في شبكات التبعية الدولية.

اليمين السياسي يهاب الحركة الإسلامية:

إذا وضعنا أنفسنا بمحاذاة اليمين السياسي وفي موقعه، فقط لنستشف رؤاه إزاء هذه القضية، وجدنا أنه يهاب الحركة الإسلامية

أكثر من تحفّاته من الاتجاهات اليسارية وذلّك ليس راجعاً لقوّة أو حنكة أو مهانة الحركة الإسلامية بقدر ما يرجع إلى عامل جوهري واحد: وهو أنّ اليمين السياسي يدرك تمام الادراك أنه لا يستطيع مهما فعل أن يقطع جذور الحركة الإسلامية في وسط الجمهور الإسلامي الذي يشكل القاعدة البشرية لأنظمة اليمين السياسي.

عزل اليمين السياسي للاتجاهات اليسارية:

لقد نجح اليمين السياسي خلال عقد من الزمان بعزل الاتجاهات اليسارية عن الفعالية الجماهيرية من خلال المناشدة الصالحة للحس الديني لدى الجماهير وما يحمل ذلك من نتائج سلبية بالنسبة لليسار في عمومه.

عدم إمكانية عزل اليمين السياسي للحركة الإسلامية لعدة أسباب:

غير أنّ اليمين السياسي لا يستطيع أن يعزل الحركة الإسلامية عن جماهيرها بنفس الأسلوب لأسباب واضحة، ولو فعل ذلك لما حصد إلا المر والعلقم. ولأنّ اليمين السياسي لا يستطيع أن يعزل الحركة الإسلامية عن جماهيرها، ولأنّه يدرك تشوّق الجماهير الإسلامية لاستئناف حياة إسلامية كاملة، بات يعتني كثيراً - مثل فئة المخالفين التي يتحدر تاركها منها - بضرر المساس النفسي والجهوي والفكري والفقهي للحركة الإسلامية من خلال تكريس أجواء الاختلاف والشك في أوساط العاملين للإسلام. فاليمين السياسي يث عملاءه في كل مكان هذه الغاية، حتى أنك لتجدهم غير

مستعددين لأى اتفاق على أى قضية مهما كانت فرعية وذلك للبقاء على روح الخلاف في أوساط العاملين للإسلام. ثم إنه بهم بأى قضية خلافية ليجذرها ويسعى لتضخيمها ويستفتي بها ويحرص على ذلك، مع أنه في نفس الوقت يقمع أى فتوى — مهما كانت مؤصلة — لاتفاق مع وضعياته السياسية. المشكلة الخطيرة أنه ضمن حظيرة اليمان تسترخي النفوس لأجواء أحياناً تفتقر إلى اليقظة والقطانة لذلك يستغل اليمين السياسي هذه الناحية السلبية فيبدأ بـ إرساله على قنوات عديدة وتتكرر نفس المشكلة التاريخية التي من أجلها نزلت الآية القرآنية: ﴿يَعْوِنُكُمُ الْفَتْنَةَ وَفِيمَ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾^(٢٤٣) يقول القرطبي مفسراً ﴿وَفِيمَ سَمَاعُونَ لَهُمْ﴾ أي عيون لهم ينقلون إليهم الأخبار منكم. أما قنادة فيقول: وفيكم من يقبل منهم قوتهم ويعطيمهم^(٢٤٤).

وكل ذلك حصل وحصل وسائل الله منهم العافية وتنمى على اخواننا في الله اليقظة.

ضرورة دراسة سورة التوبه من محتواها السياسي:

كجزء من الارشاد السياسي الذي يجب أن يتلقاه المسلم المعاصر ينبغي دراسة المحتوى السياسي لسورة التوبه التي عالجت موضوع فة من أخطر الفئات السياسية في المجتمع المكي والمدني

(٢٤٣) سورة التوبه الآية ٤٧.

(٢٤٤) تفسير القرطبي ج ٥ ص ٢٩٩٦.

والعصري الحالى . إن تجربة الاسلام — في صدر تاريخه وعقب ذلك — مع فئة المنافقين الذين دخلوا في هذا الدين وهم له ولأهله كارهون وماترتب على ذلك من نتائج سياسية خطيرة : حديث الافك ، مسجد الضرار ، حروب الردة ، وكل محاولات الانقلاب على مقررات هذا الدين في تشريعه السياسي والاقتصادي خاصة ، أقول كل ذلك جدير بالدراسة وعلى ضوء تلك التجربة دعونا نحدد موقف الحركة الاسلامية من اليمين السياسي العصري الذي لا يختلف — في الجوهر — عن عدو الله عبد الله بن أبي ابن سلول رأس التفاق وكهفه في مدينة رسول الله صلوات الله عليه .

الاطعام والامن في السياسة الشرعية

يقوم التشريع الاجتماعي في الاسلام على مبدأ التكافل . وليس المقصود بمبدأ التكافل أن الاسلام دعا الناس إليه ثم تركهم دون أن يحدد قنوات التكافل ويلزم المسلمين بها .

معنى التكافل :

والمقصود بالتكافل أن يكون آحاد الشعب في كفالة الجماعة ، وأن يكون بناء الجماعة وسلامتها في كفالة الآحاد والأفراد .

بعض الحقوق الهامة في دولة الاسلام الغائية :

التكافل الاجتماعي والملزم في التشريع الاسلامي هو في مغزاه ومؤداه أن يشعر كل فرد في المجتمع بأن عليه واجبات تجاه المجتمع عليه أداؤها ، وأن للفرد حقوقاً في هذا المجتمع يجب على القومين عليه أن يوصلوا الحقوق لأهلها دون أن يريقوا ماء الوجه . ومن الحقوق الهامة للأفراد في ظل الدولة الاسلام الغائية : حق الأمن ، وحق الطعام ، وحق السكن وحرمته ، وحق العمل .

ومن أطرف الكتابات الاسلامية حول هذا الموضوع ما كتبه ابن حزم الاندلسي في كتابه الشهير : (المخل) :

« وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم، يجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لابد منه، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك، ويسكن يكفهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة » (٢٤٥).

ويقول ابن حزم في نفس الكتاب الشهير (المحلى) : « إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفل فقراءهم، فإن جاعوا أو عروا أو جهدوا فبمنع من الأغنياء وحق على الله أن يحاسبهم يوم القيمة ويعذبهم » (٢٤٦).

رأي ابن حزم فيما حرم فضل الماء والطعام:

ويعطي ابن حزم كل من جاع وعطش حق قتال المسلمين، بل قتل من لديه فضل من طعام وماء يحبسه في داره وينفعه عن باقي الناس المحتاجين إليه :

« من عطش فخاف فرض عليه أن يأخذ الماء من حيث وجده وأن يقاتل عليه ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميته أو لحم الخنزير وهو يجد طعاماً فيه فضل عن صاحبه مسلم أو ذمي لأنه فرض على صاحب الطعام إطعام الجائع. فإذا كان ذلك كذلك فليس بمضطر إلى الميته ولا إلى لحم الخنزير وله أن يقاتل عن ذلك ، فإن قتل الجائع

(٢٤٥) — المحلى لابن حزم ج ٦ ص ١٥٦.

(٢٤٦) — المحلى لابن حزم ج ٦ ص ١٥٨.

فعلى قاتله القود (القصاص) ، وإن قتل المانع فإلى لعنة الله لأنّه منع حقاً وهو طائفة باعية والله يقول : ﴿فَإِنْ بَغَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتَلُوا التَّيْ بَغَىٰ تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٢٤٧) ومانع الحق باع على أخيه الذي له الحق وهذا قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مانع الزكاة «^(٢٤٨)».

إيواء من لا سكن له :

كما ورد في الفقه الإسلامي إذا كان هناك من لا يجد مأوى في حين أن بعضًا من الناس يملكون سكناً يزيد عن حاجتهم فعلى الحاكم إسكان هؤلاء جبراً على المالك^(٢٤٩).

تحقيق التكافل بالزكاة :

ومن ضمن التشريعات الإسلامية في تحقيق التكافل الاجتماعي الملزم هو تشريع الزكاة وهي الركن الثالث من أركان الإسلام . والزكاة حق يوجب الإسلام أن تحصله وتحمّلها السلطة السياسية وتوزعه على الفئات الثانوية التي حدّدها القرآن الكريم من الفقراء والمساكين وغيرهم . وإذا امتنع الأغنياء في المجتمع عن إخراجها كانوا آمنين ومن حق المسلمين أن يشهروا السلاح في وجوههم ويقاتلواهم وما حرب الردة بين خليفة رسول الله عليه السلام أبو بكر رضي الله عنه وقبائل العرب

(٢٤٧) — سورة الحجرات الآية ٩.

(٢٤٨) — الحلى لابن حزم ج ٦ ص ٢٣٠ ط مصر سنة ١٩٦٨ م.

(٢٤٩) — الحسبة في الإسلام لابن تيمية ص ٣٧ طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

إلا حول هذا الأمر، فبعد وفاة الرسول ﷺ أرادوا منع الزكاة فقاتلهم أبو بكر ونصره الله عليهم.

هل في المال حق سوى الزكاة
فرض الضرائب لسد حاجات الناس في حالة عدم كفاية
الزكوات :

نعم، يقرر الفقهاء أنه إذا لم تف الزكوات وما في بيت مال المسلمين بحاجات الناس ولم تقم الصدقات بسد هذا الواجب كان للدولة الإسلامية أن تفرض من الضرائب ما يسد هذا الواجب وما يقوم بحاجات الناس. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له». قال: فذكر من أصناف المال ماذكر، حتى رأينا أنه لاحق لأحد منا في فضل «^(٢٥٠)». وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «في مالك حق سوى الزكاة» «^(٢٥١)». وصح عن أبي عبيدة بن الجراح وثلاثمائة من الصحابة رضي الله عنهم أن زادهم فني فأمرهم أبو عبيدة فجمعوا أزواجهم في مزودين، وجعل يقوتهم إياها على السواء» «^(٢٥٢)». فهذا إجماع مقطوع به من الصحابة رضوان الله عليهم ولا مخالف له

(٢٥٠) — رواه مسلم ج ١ ص ١٣٥٤ حدث ١٧٢٨.

(٢٥١) — المخل لابن حرم ج ٦ ص ٢٢٨.

(٢٥٢) — المخل لابن حرم ج ٦ ص ٢٢٧ و ٢٢٩.

منهم، وصح عن الشعبي ومجاهد وطاوس وغيرهم وكلهم يقول:
«في المال حق سوى الزكاة» (٢٥٣).

نتيجة لـ ليل أحكام الاسلام:

إن ظواهر الفقر والحرمان والشظف التي تعيشها جماهير الاسلام في أوطانها هي نتيجة طبيعية لتعطيل احكام الاسلام التي استهدفت في الاساس تفتيت الثروات لتصل إلى أكبر قاعدة إنسانية ممكنة. وإن هذا التكديس والخزن والكتز الذي تمارسه الطبقات الثرية يتعارض بشكل سافر مع احكام وتشريعات الاسلام الاقتصادية ذات التزعة الجماعية والتي تضارب مع الاتجاه الفردي في حبس المال والطعام وغيرها من الحريات. وإن الاسلام قد عني بهذه القضية: قضية الاطعام والامن والاسكان بما يحقق مصلحة العموم لا الخصوص إلى درجة أن جعلها قضية تمس العقيدة في الله وقد تؤدي بمن ينحرف عنها إلى نار جهنم والعياذ بالله:
﴿ مَا سَلَكُوكُمْ فِي سَقْرٍ؟ قَالُوكُمْ لَمْ نَكُونْ مِنَ الْمُصْلِحِينَ وَلَمْ نَكُونْ نَطَعْمُ الْمُسْكِنِينَ ﴾ (٢٥٤).

(٢٥٣) — فقه السنة لسيد سابق ج ١ ص ٤٢١.

(٢٥٤) — سورة المدثر الآيات ٤٢ — ٤٤.

العمل الاسلامي وحاجته إلى رؤية واضحة في مجال العلاقات الشعبية

جملة مسلمات علينا أن نعيها ونعي ما ينفرز منها حق الوعي :

العلاقة بين الواقع وبين شخصية وتوجه العمل الاسلامي :

١ — العمل الاسلامي — باعتباره عملاً عاماً — لا يتحرك في فراغ، ثمة سياق سياسي واجتماعي واقتصادي هو بنية البحار الذي يسبح فيه الاسلاميون. وهذا السياق مواصفات وأطر ومناخ ونكلة وشبكة من العوامل المتناغمة تشكل مانتفق على تسميته بـ: الواقع. والعمل الاسلامي — كعمل عام — يتحرك من خلال هذا الواقع لامن خارجه بالطبع. وهذا نستطيع أن نقول بأن الواقع — كسياق تتفاعل فيه عدة قوى سياسية واجتماعية واقتصادية — هو عامل أساسي ضمن عدة عوامل تخدم شخصية وتوجه العمل الاسلامي المعاصر. إذن المسلمة الأولى تعني وترتكر على هذه العلاقة الأوزوموزية التفاعلية بين الواقع من جهة وبين شخصية وتوجه العمل الإسلامي من جهة أخرى.

استمرار العلاقات الشعبية في تاريخ العمل الاسلامي المعاصر :

٢ — المسلمية الثانية مستلة من الأولى ومرتبطة بها وهي لأن العمل الإسلامي لا يتحرك في فراغ ويعامل مع مجتمع قائم وناجز ، عليه إذن فله — أي العمل الإسلامي — شبكة من العلاقات الشعبية العامة التي تامت بفعل التبادل الضروري مع الناس عمومهم وخصوصهم . بعبارة أخرى نقول : إن شبكة العلاقات الشعبية العامة لم تنشأ بالاختيار بل بالحتم وهي لذلك مستمرة بالحتم وكانت موجودة في تاريخ العمل الإسلامي المعاصر بحكم الحتم ولاشك لحظة بختمية استمرارها في المستقبل . وإن أهم مسوغ لشبكة العلاقات الشعبية العامة هو — شعبية العمل الإسلامي — لأن حيث زخم التفاعل الشعبي معه بل من حيث أهدافه في عموم الناس .

وجود تيارات مختلفة راسخة في مجتمعاتنا لها قواعدها الشعبية :

٣ — الثالثة أنه بات من الضروري أن نبه المشتغلين في العمل الإسلامي بوجود تيارات اجتماعية وسياسية راسخة في مجتمعاتنا لا تنتهي للإسلام وأن هذه التيارات لها قواعدها الشعبية وتستمد شرعيتها السياسية والاجتماعية من قناعة قواعدها الشعبية بها واستمرارية تفاعلها مع قضايا عموم الناس . ومن المهم أن يعي المشتغلون في العمل الإسلامي أن هذه التيارات غير الإسلامية — أو بتعبير أدق غير الملتزمة بالاسلام كدليل نظري تعود إليه وكمنهج تاريخي لحركتها تسترشد به — تنظر لنفسها كما ينظر الاسلاميون للعمل الاسلامي على أنه الاسلوب الأمثل لانشال الأمة من هزيمتها

السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية. هذه التيارات لها روتها
السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولديها أيضاً قدرة لا يأس بها في
عمليات الاستدعاء السياسي وتحريك المحيط الاجتماعي والاستنصار
به، كما أن لها تاريخاً وجنوباً ورموزاً تتمتع بمصداقية وعاسك
وحضور. هذه حقيقة باردة وياسته علينا أن نعيها حق الوعي وأن
نتعامل معها لا أن ننفاذ عنها وأن نتمثلها ونحضرها دون وجع.
الأهم من كل ذلك أن هذه التيارات، شعبية وليس سلطوية، وأنها
تلقي قدرًا لا يأس به من العزل والزجر والكبح والمحنة، ولاشك أن
هذا بعد المأساوي يعرف المسلمين — على الأخص — دلائله
السياسية.

إذا وضعنا في الاعتبار المسلمات المرصوقة آنفًا،
يصبح — في تصوري — من المهم أن نستنبط منها بعض الرؤى
التي قد تسهم في بلورة نظرية للعمل الإسلامي في مجال علاقاته
الشعبية العامة ونقول في هذا الصدد ما يلي:

١ — حيث أن العمل الإسلامي — كعمل عام — لا يتحرك
في فراغ، بل ضمن سياق سياسي واجتماعي واقتصادي اتفقنا على
وسمه بـ: الواقع، وأن ثمة علاقة تفاعلية بين هذا الواقع والعمل
الإسلامي، يصبح من المصلحة العملية للإسلاميين أن تصب هذه
العلاقة التفاعلية بين الواقع والعمل الإسلامي في مصلحة الأخير لا
الأول، بمعنى صريح أقول إن المتمعن في هذا الأمر وفي تلك العلاقة
يلاحظ أن الواقع — وهو سياق سياسي يبني رجعي استطاع أن

يحقق مكاسب واضحة من خلال علاقته بالعمل الإسلامي دون أن يتمكن الأخير من تغيير هذه العلاقة لمصلحته هو على مستوى العلاقات المؤسسة في المجتمع الأوسع.

مواصفات الواقع :

نعم إن الواقع أتاح للعمل الإسلامي انتشاراً أفقياً واسعاً، لكن دون أن يسمح للعمل الإسلامي بتجاوز وخطي الأعراف القبلية واليمينية السياسية وقوى التخلف الاجتماعي العالقة بالأوضاع الراهنة. واستطاع الواقع — كسياق حدثنا مواصفاته في الأسطر السابقة — أن يعزل العمل الإسلامي عن التفاعل مع التيارات الشعبية الأخرى لدرجة خطيرة باتت عدده استقلالية ومستقبلية العمل الإسلامي. فالمطلوب إذن على هذا الصعيد أن تكون علاقة العمل الإسلامي بالواقع المحيط تصب في مصلحة تكريس الأهداف القرية والبعيدة للعمل الإسلامي لاتكريس أهداف اليمن السياسي وتبعيته السياسية والاقتصادية للغرب الرأسمالي — سليل الصليبية الحاقدة التي تبدي هذه الأيام بأبشع صورها في حصار بيروت.

أهمية تحالف العمل الإسلامي مع القاعدة الشعبية :

٢ — حيث أن العمل الإسلامي شبكة من العلاقات الشعبية العامة تناست بفعل التبادل الضروري مع الناس عمومهم وخصوصهم، يصبح من المصلحة العملية للإسلاميين أن تكون هذه الشبكة من الاتساع والانفتاح والمرونة بحيث يمكن من

الاستئصال بها والتحالف مع أطرافها في أوقات الضيق السياسي القادمة لا محالة. مهم جداً أن تكون للعمل الإسلامي علاقة شعبية متسعة حتى مع الأطراف غير الإسلامية تكون ضمن إطار التعاون على ما هو متفق عليه ويحقق مصلحة عامة.

المدف من عزل العمل الإسلامي:

إن عملية عزل العمل الإسلامي ضمن دوائر إجتماعية محددة لا تتمتع بفاعلية سياسية — رغم كثتها العددية — المدف منه استفراغ الزخم الإسلامي دون عائد سياسي وبالتالي الاستفراد بالعمل الإسلامي وتصفيته حين تنشأ وتتوفر الظروف الملائمة لذلك.

التيارات الشعبية الراسخة ومقدرتها على الحضور السياسي المباشر:

٣ — حيث أن هناك تيارات شعبية راسخة تتمتع بقدر من الفاعلية السياسية وتلقى أحياناً قدرأً من الزجر والكبح والعزل ولديها مقدرة لاباس بها على الاستمرار والحضور السياسي المباشر يصبح — في تصوري — أن المصلحة العملية للإسلاميين تقتضي عدم التغاضي عن هذه الحقيقة وعدم الالتفاف حولها. أزيد فأقول أن المصلحة العملية للإسلاميين تقتضي فتح قناة للحوار والتبادل في الرأي مع هذه التيارات وفق منظور جبوي واسع ينقل الحاضر الجامد إلى مرحلة من الحيوية السياسية.

فوائد الحوار المنضبط :

في تصوري أن هذا الحوار المنضبط في إطار المنظور الجبهوي سيكون له فوائد كثيرة :
أوها : تجاوز مرحلة التشرذم السياسي الحاصل في الساحة والذي لا يستفيد منه سوى اليدين السياسي الرجعي الطفيلي .
ثانيها : التلاقي الفكري والحركي بين أطراف الحوار وهو أمر مفيد للجميع على المدى البعيد .

ثالثها : علاقات مؤسسية بين كافة الاتجاهات ، علاقات خالية من الحساسيات الشخصية التي من شأن الحوار أن يذيبها والتي طالما كانت سبباً خلقياً لكثير من الأزمات السياسية الشعبية في العالم العربي .

إن العمل الإسلامي باعتباره عملاً عاماً لا يخلو من التوجه السياسي بحاجة ماسة إلى رؤية واضحة في مجال علاقاته الشعبية ، وأن شبكة علاقاته الشعبية الحالية بحاجة ماسة لمراجعة كاملة تضع في الاعتبار مستقبل العمل الإسلامي واستقلاله . والله أعلم .

أهمية الفعالية السياسية للعمل الإسلامي

توظيف الاندفاع العام نحو الإسلام سياسياً واجتماعياً واقتصادياً:

هذا الاندفاع العام نحو الإسلام إذا لم يتم توظيفه سياسياً لصالح قضية الإسلام العالمي المستقبلي فلن يحرث منه المسلمون إلا العرق والدم. هذا التزاحم في المساجد وهذا الاقبال على الكتاب الإسلامي وهذا القلق المبارك على الدعوة وهذا الدعم الجماهيري — المادي والمعنوي — لحركة الإسلام، كل هذا إذا لم تضبطه أهداف عامة واضحة وصريحة ومعلنة ومؤصلة، وإذا لم يتمحور حول قضايا سياسية واجتماعية واقتصادية تعيشها الجماهير، قضايا تكتوي بها الجماهير تكون مدخلًا مناسباً إليها، حوله وبالقرب منه يتم الطرح الإسلامي، أقول إذا لم يحدث هذا فإننا نضيع فرصة تاريخية قد لا تتكرر هيئاًها الله لدعوته ولهزمه.

الانتشار الأفقي للإسلام لا يعني أن الإسلام يتقدم:

إن الانتشار الأفقي للإسلام بين الناس لا يعني على الإطلاق أن الإسلام يتقدم، كل ما يعنيه ذلك أن هناك قابليات جيدة لدى الناس.

وهو محرون في البرميل إذ لا قيمة ذاتية فيه بل إن قيمته تكمن في أن يصير وقوداً وطاقة لحركة هادفة مبتكرة ومشمرة، عندها وعندها فقط يصبح للنفط قيمة. وهذه القابليات الجيدة لدى الناس إزاء الإسلام والانعطاف نحو حزبه هي أيضاً - مثل النفط - تتضرر من لديه عقريّة لتوظيفها في حركة هادفة مبتكرة ومشمرة. أما الاستسلام والاسترخاء الخاصل لدى كثير من العاملين والذي يrror نفسه بأن الإسلام بخير والناس بدأوا تمثيل نحو الإسلام، فهذا لن يطول كثيراً بل قد ينقلب على أصحابه بين ليلة وضحاها، والأيام - كما علمنا القرآن - دول.

جعل الاندفاع نحو الإسلام ذا فعالية سياسية:

في تصوري أن الوسيلة الناجعة لشمير هذا الاندفاع نحو الإسلام لدى الجماهير أن يجعله ذا فعالية سياسية. فالعمل الإسلامي لا ينبغي أن يتحول إلى عمل ثقافي أو خيري رغم أن الثقافة والعمل الخيري جزء لا يتجزأ منه، والعمل الإسلامي لا يجب أن ينحصر في إطار تذكير الناس بالآخرة، رغم أن الإيمان بها ويهوها وبالحساب والجزاء والجنة والنار والصراط وغيره جزء أساسى في عقيدتنا. لكي يكون العمل الإسلامي عملاً جماهيرياً، تختضنه الجماهير وتذود عنه وعن أصحابه، لا بد له أولاً، أن يختضن الجماهير ويدعو عنها ويعيش قضاياها، المدخل للجماهير هو من خلال عمل سياسي جماهيري يصير له الإسلام كالوعاء، لا بد أن

يجتهد العاملون في الحقل الإسلامي لاقناع الجماهير بأن الإسلام قادر على أن يقدم الحلول لمشكلاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية. لا بد أن تعي الجماهير أن الإسلام فعل ذلك تاريخياً وأنه قادر على أن يكرر التجربة فور استكمال المقادير وتقنيات التحول إليه. وأنحراً لا بد أن تعي الجماهير دورها وأهميته، بل خطورة شأنه، في كل ذلك، وأن يكف الناخبون عن تجاهلهم وتغاضيهم هذه الحقيقة.

التفاعل مع الموقف:

الناس عمومهم وخصوصهم لا يتفاعلون مع النظريات بقدر ما يتفاعلون مع الموقف. روعة رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أنهم كانوا أصحاب موقف لا أصحاب نظريات، بل لغة عصرية كانوا أصحاب فعالية سياسية مباشرة وصريحة ومفهومة. لم يتكلموا فقط ضد الظلم والطغيان، بل وقفوا إلى جانب المظلومين والمضطهددين. لم يكتبوا الكتب عن العدالة الاجتماعية بل وقفوا موقفاً حازماً صلباً إزاء من يهددها ولا يكترث بها، هذه الفعالية التاريخية التي تتمتع بها رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين متأتية من قدرتهم على تحديد موقفهم — بحزم — من قضايا الناس المطروحة لذلك آمن الناس بهم وأحبوهם واحضنوهם وتابعوهם ورضوا بهم قادة وزعماء وعلماء. ولا أقول جديداً إذا ذكرت — والذكرى تنفع المؤمنين — بسيرة الرسل مع الشعوب التي أرسلوا إليها.

القضايا التي يشن منها العالم الإسلامي :

العالم الإسلامي يشن اليوم من ثلاثة قضايا :

١ — الطغيان السياسي.

٢ — سوء توزيع الثروة.

٣ — التحلل الاجتماعي.

هذه القضايا الثلاث متشابكة ومرتبطة بعضها ببعض.

فالطغيان السياسي لا يمكن أن يستمر إلا من خلال تكريس سوء توزيع الثروة والتفاوت المعيشي الهائل بين الناس. وسوء توزيع الثروة وكل ما يحمله من دلالات سياسية ويهبه من مناخ اجتماعي مريض هو بدوره يكون حافراً رئيسياً لإشاعة التحلل الاجتماعي. ولا يمكن لأي مجتمع أن يحل واحدة من هذه القضايا الثلاث دون أن يمس القضيتين الباقيتين. لذلك لا بد من مواجهة هذه القضايا الثلاث وال مباشرة في معالجتها عبر مبادرة واحدة وفي وقت واحد.

العمل الإسلامي طور قدراته لمعالجة قضية التحلل الاجتماعي دون معالجة السياق السياسي والاقتصادي :

ومن الملاحظ أن العمل الإسلامي — في صورته الحالية — قد طور قدراته ووظف الكثير من وقته وطاقته لمعالجة قضية التحلل الاجتماعي دون أن يعالج سياقها السياسي والاقتصادي الذي يتبدى على شكل نظام ينبع نحو الطغيان السياسي ويقوم وضعه الاقتصادي على معادلة غير متوازنة في توزيع الثروة. وبكل وضوح نقول أن كل

الجهود الحالية المبذولة في سبيل انتشار المجتمعات « الإسلامية » من تخللها الاجتماعي لن تثمر إذا لم يباشر العمل الإسلامي في المهمة الحساسة والدقique وهي مواجهة مشكلة الطغيان السياسي ومشكلة سوء توزيع الثروة الحاصل بشكل مبتدل في العالم الإسلامي . يجب أن يكون موقف العمل الإسلامي موقفاً كلياً شاملًا مستمدًا من كلية وشمول الإسلام . هذا الموقف الكلي الشامل الذي نأمل أن يباشر به العمل الإسلامي إزاء قضايا العمل الإسلامي وجماهيره ، هو المفتاح لتطوير فعالية العمل الإسلامي مستقبلاً . بالطبع لكي يتحقق هذا الموقف الكلي الشامل لا بد من مراجعة شاملة لأمور كثيرة منها : طبيعة العلاقات السياسية للعمل الإسلامي محلياً وعربياً ودولياً (يدخل ضمن ذلك بالطبع العلاقات الشعبية) ، كذلك لا بد من بلورة الفقه ومن تهيئة الكادر الحركي القادر على استيعاب المهام الجديدة .

الاتفاق حول قضايا مصيرية — كالثلاثة التي ذكرنا — هو مفتاح العمل الإسلامي نحو الفعالية السياسية المرجوة التي من شأنها أن تفتح آفاقاً واسعة لعمل مستقبلي كبير . ونحن ندرك أن الطريق شائك ، غير أنها ندرك أيضاً أن تلك طبيعة طريق الدعوة إلى الله في كل العصور . والله أعلم وهو ولينا نعم المولى ونعم النصير .



القرآن كتاب حركة واعية لمستلزمات

المراحل السياسية

أهداف القرآن ككتاب حركة :

الذى يدرس القرآن من حيث هو كتاب حركة ، يدرك إلى أي مدى ركز في سورة على بناء الإنسان الصالح لكل العصور . والذى يجول مع القرآن — عبر المراحل التاريخية التي مرت به الجماعة الإسلامية الأولى — يدرك إلى أي مدى ركز في سورة على بناء حركة إسلامية ناشطة ويقظة وواعية لقضية التطور السياسي ومستلزماته . ويتوضع من يدرس القرآن من حيث هو كتاب حركة أنه يهدف لبناء إنسان فعال مؤثر مثابر ذؤوب يقظ يستوعب التحول التاريخي من مرحلة إلى أخرى والتكيف السياسي من وضع لآخر ويعيش في قلب الأحداث لا على هامشها وعلى وعي تام بطبيعة حركة التاريخ والمجتمعات ويترود ويتحصن بتصور صحيح لهذا الكون ومجاراته ، ويبني نفسي متواسك يصعب لغير نداء الله أن يخترقه . كما يتتوضع لدراسة القرآن من حيث هو كتاب حركة أنه يهدف لبناء حركة تتفاعل مع التاريخ ، تارة تصنعه ، وأخرى تسترشد به ، وفي كل ذلك

هي حركة عصرية تعيش العصر وتفاعل مع المراحل من حيث روحها وقضاياها ومنعرجاتها. وهي حركة واقعية لا تتعامل مع الطبواوية لا من قريب ولا من بعيد فهي تعرف أن الصراع والصدام وال الحرب والقتال وتضارب المصالح بين الناس ، حقائق مركوزة في كينونة المجتمعات البشرية. مثلها مثل ضرورة التعايش والتعاهد والتهادن والتبادل والمقايضة .

إذن ي يريد القرآن أن يبني إنساناً وأن يبني حركة لدى بما قدرة على استيعاب وفهم كل هذا والاستعداد له ورفع الكفاءة الحركية لتوظيفه لصالح قضية الإسلام عبر كل المراحل السياسية. من أجل ذلك يكرر الله سبحانه وتعالى على سمع المؤمن وقلبه وعقله ولبه حقائق أساسية لفتح مغاليق الصراع الإنساني فوق هذا الكوكب بحيث تحصل لدى المؤمن جملة مدركات تعينه على أن يصير إنساناً جديراً بحمل لواء الدعوة وجديراً بمكان في صفوفها.

- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَاكُمْ مِّنْ حَدَّرِكُمْ ﴾^(٢٥٥) .
- ﴿ وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفِلُونَ عَنْ أَسْلَحَتِكُمْ وَأَمْتَعَكُمْ فَيُمْلِئُونَ عَلَيْكُمْ مِّيلَةً وَاحِدَةً ﴾^(٢٥٦) .
- ﴿ وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِعْضًا لَّفَسَدُوا الْأَرْضَ ﴾^(٢٥٧) .

(٢٥٥) سورة النساء الآية ٧١ .

(٢٥٦) سورة النساء الآية ١٠٢ .

(٢٥٧) سورة البقرة الآية ٢٥١ .

— ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ (٢٥٨).

— ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ (٢٥٩).

— ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ﴾ (٢٦٠).

فالسلاح والخذر واعداد للعدو مع الاستعداد للهداية وتقلب الأيام، يوم لك وآخر عليك، كل ذلك حقائق ينبغي أن تتشكل شخصية المؤمن وتربيته لاستيعابها وتوظيفها لصالح قضية الإسلام عبر كل المراحل السياسية.

مقارنة بين سوري محمد والفتح :

مقارنة بسيطة بين سورة محمد وسورة الفتح توضح ما نرمي إليه. فسورة محمد مدنية وآياتها ٣٨ وموضوعها: الجهاد في سبيل الله ونزلت في السنة الثالثة من الهجرة وهي مرحلة من مراحل الدعوة، والذي يقرأ السورة ويتسم جوها ويعيش صورها لا يمكن أن يتوقع نزول سورة الفتح بعدها بثلاث سنين وهي سورة نزلت في السنة السادسة من الهجرة لتعبر بالجماعة الإسلامية خلال مرحلة أخرى ذات طبيعة مغايرة أي طبيعة صلح الحديبية وما استلزمها من عمل سياسي وخطيط لانتشار الإسلام في مكة وغيرها من القرى ومحاولة تأسيس علاقات ممتدة مع الأوساط القبلية والاستئصال بها

(٢٥٨) سورة آل عمران الآية ١٤٠.

(٢٥٩) سورة الأنفال الآية ٦٠.

(٢٦٠) سورة الأنفال الآية ٦١.

عبر شبكة من التحالفات . سورة محمد هي عبارة عن إعلان حرب من الله والجماعة الإسلامية على الذين كفروا ، لذلك جاءت عباراتها بتارة فصالة :

﴿فَإِذَا لَقِيْمُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا فَضْرِبُ الرِّقَابَ حَتَّىٰ إِذَا أَنْتُمْ هُمْ فَشَدُوا الْوَثَاقَ فَإِمَا مَنْكُمْ بَعْدَ وَإِمَا فَدَاءَ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْ زَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأَنْتَصِرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَيْلُو بَعْضَكُمْ بَعْضٌ وَالَّذِيْنَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يَضْلِلَ أَعْمَالُهُمْ ۝ سَيِّدُهُمْ وَيَصْلِحُ بَالَّمْ ۝ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّةَ عَرْفَهَا لَهُمْ ۝﴾ (٢٦١) .

﴿فَلَا يَهْنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنُ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَمْ أَعْمَالَكُمْ ۝﴾ (٢٦٢) .

﴿هَا أَنْتُمْ هُزَلُاءٌ تَدْعُونَ لِتُتَقْفَوْا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَنْكُمْ مَنْ يَخْلُ وَمَنْ يَخْلُ فَإِمَّا يَخْلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَإِمَّا الْفَقَرَاءِ وَإِنْ تَوْلُوا يَسْتَبْدُلُ قَوْمًا خَيْرًا ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْتَالَكُمْ ۝﴾ (٢٦٣) .

عرض جلو سورة محمد :

جو السورة كلها تحرىض على القتال وتحقير للكافرين ودعوة بل أمر رهانى بالإثخان والغلطة عليهم وشدة التقتيل فيهم وحضر المسلمين على الشبات في القتال وعدم الدعوة إلى السلم أو الهدنة

(٢٦١) سورة محمد الآيات ٤-٦ .

(٢٦٢) سورة محمد الآية ٣٥ .

(٢٦٣) سورة محمد الآية ٣٨ .

﴿ فَلَا تَهْوَى وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنُ ﴾^(٢٦٤) ، الهدف من القتال والانتحان فيه تحطيم قوة العدو وكسر شوكته . ﴿ أَفَلَمْ يَسْرُوا فِي الْأَرْضِ فَيُنَظِّرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِ أَمْثَالُهَا ﴾^(٢٦٥) . يقول سيد قطب رحمه الله : (وهي لفحة عنيفة مروعة فيها صرحة وفرقعة وفيها مشهد للذين من قبلهم يدمر عليهم كل ما حوصل لهم وكل ما لهم فإذا هو أنقاض متراكمة وإذا هم تحت هذه الأنقاض المتراكمة ، وذلك المشهد الذي يرسمه التعبير مقصود بصورته هذه وحركته والتعبير يحمل في إيقاعه وجرسه صورة هذا المشهد وفرقعته في انقضائه وتحطمه)^(٢٦٦) . ثم يؤكد الله تعالى للمؤمنين ﴿ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنُ وَلَنْ يَعْرِكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾^(٢٦٧) ويخدر الله الجماعة الإسلامية الأولى من أي تردد أو وجع أو زغل أو دخل ويقول لهم بصرىع العبارة ﴿ وَإِنْ تَتَوَلُوا يَسْتَبِدُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالُكُمْ ﴾^(٢٦٨) .

هذه السورة — سورة محمد نزلت في السنة الثالثة من الهجرة وهي مرحلة قتال وجهاد وتمييز وتبنيت لدعائم الإيمان من خلال السلاح والدم والغبار والشهداء . وكانت مرحلة .

(٢٦٤) سورة محمد الآية . ٣٥

(٢٦٥) سورة محمد الآية . ١٠

(٢٦٦) في ظلال القرآن ج ٦ ص ٦٠ الطبعة الأولى .

(٢٦٧) سورة محمد الآية . ٣٥

(٢٦٨) سورة محمد الآية . ٣٨

سورة الفتح تعبير عن مرحلة سياسية تمر بها الجماعة الإسلامية :

وبعد أن اشتد عود الجماعة الإسلامية الأولى وفعلت آيات الكتاب بها ما فعلت وبعد ثلاث سنوات من العمل العسكري ضد قريش وحلفائها وبالذات في السنة السادسة من الهجرة نزلت سورة الفتح وهي تعبير عن مرحلة أخرى سياسية تمر بها الجماعة الإسلامية الأولى ، مرحلة ذات طبيعة خاصة تستلزم تصعيد العمل السياسي وهذه العمل العسكري ضد قريش وحلفائها .

سمات سورة الفتح :

حتى ألفاظ وصور هذه السورة أهداً بكثير من سورة محمد ، فهي تعبير عن مرحلة تتطلب شيء من المدروء والعمل المادي والخطيط السياسي . فقد وافق رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك العام على صلح الحديبية .

عقد صلح الحديبية :

(هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيهن الناس ، ويكتف بعضهم عن بعض على أنه من أئمَّةِ مُحَمَّداً من قريش بغير إذن وليه رده إليه ومن جاء قريشاً من مع محمد لم يردوه عليه وأن بيننا عية مكفوفة . وأنه لا إسلام ولا إغلال وأن من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد

قريش وعهدهم دخل فيه وأنك ترجع عنا عامت هذا فلا تدخل
 علينا مكة وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك
 فأقمت بها ثلثاً معك سلاح الراكب السيف في القرب لا تدخلها
 بغيرها) (٢٦٩).

فوالد الصلح :

واضح من خلال نص الصلح وملابساته أننا في إزاء مرحلة
 جديدة دقيقة يغلب عليها العمل السياسي رغم أن يتولد الصلح
 استفزاً القاعدة الصلبة من المؤمنين ومع هذا قبلوا وفاغوا إلى الرضى
 واليقين والصلة المباشرة بروح رسول الله عليه السلام . وفعلاً كان صلح
 الحديبية في واقع الحال فتحا في الدعوة وفتحا في الأرض وفتحا في
 الموقف وصدق الله العظيم حين قال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتَحَّا
 مِبْيَسًا﴾ (٢٧٠) . نعم كان فتحا في الدعوة ، يقول الزهري : (فلما
 كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضاً والتقووا
 فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ولم يكلم أحد في الإسلام يعقل شيئاً
 إلا ودخل فيه لقد دخل في تينك الستين) (بين صلح الحديبية وفتح
 مكة) مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر) (٢٧١) . قال ابن
 هشام : والدليل على قول الزهري أن رسول الله عليه السلام خرج إلى
 الحديبية في ألف وأربع مئة في قول جابر بن عبد الله ، ثم خرج عام

(٢٦٩) سيرة النبي عليه السلام لابن هشام ج ٣ ص ٢٨٢ .

(٢٧٠) سورة الفتح الآية ١ .

(٢٧١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٧٢ .

فتح مكة بعد ذلك بستين في عشرة آلاف وكان من أسلم خالد ابن الوليد وعمرو بن العاص ، وكان صلح الحديبية فتحا في الأرض ، فقد أمن المسلمون شر قريش فاتحة رسول الله ﷺ إلى تطهير الجزيرة العربية من بقايا اليهود وفتح المسلمين خير ، وغنموا منها غنائم ضخمة . وكان صلح الحديبية فتحا في الموقف بين المسلمين في المدينة وقريش في مكة وسائر المشركين حولها^(٢٧٢) .

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَأْتِيُونَكُمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعُلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلْنَا السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَنَا فَتْحًا قَرِيبًا وَمَقَامًا كَثِيرًا يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ وَعَدَنَا اللَّهُ مَقَامًا كَثِيرًا تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلْنَا لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَ أَيْدِي النَّاسِ عَنْكُمْ ۝ وَلَتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَنَا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَأَخْرِيَ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحْاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝ وَلَوْ قَاتَلْنَاكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا الْأَدْبَارُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيَا وَلَا نَصِيرًا ۝ سَنَةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۝ وَهُوَ الَّذِي كَفَ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بَيْطَنَ مَكَةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرْنَا عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝﴾^(٢٧٣)

انتقل بنا القرآن — من خلال سورة الفتح و محمد — عبر مرحلتين مرت بهما الجماعة الإسلامية مرحلة فيها أتون ونار وحريق وغبار الجهاد وأما الأخرى فكانت عبر صقiqu العمل السياسي

(٢٧٢) المرجع السابق.

(٢٧٣) سورة الفتح الآيات ١٨-٢٤.

ومستلزماته . الروعة في كل هذا أن الجماعة الإسلامية الأولى حققت
نجاحات طيبة في المرحلتين : مرحلة الجهاد ومرحلة العمل السياسي
(صلح الخديبية) .

يجب على الجماعة الإسلامية أن تتكيف للمرحلة القادمة :
هنا لا بد أن نقول بأن الملفت للنظر هو مقدرة الجماعة
الإسلامية على التكيف السياسي مع المراحل وتشمير المراحل المستجدة
لصالح قضية الإسلام ولا شك أن خلف هذا وذاك منهج تربوي
متكملاً — كتكامل تجربتي الجهاد والعمل السياسي التي مرت بهما
الجماعة الإسلامية الأولى بنجاح — بعد المجاهدين الصالحين للقتال
مثلما هو بعد القادرين على اجتياز صيقع العمل السياسي . عليه
أقول لا بد أن ندرس سورتي محمد والفتح من حيث هما سورتا تحرك
مرحلي بكل مستلزمات المرحلة وهنا تكمن عظمة القرآن من حيث
هو كتاب حركة .

شروع الاستغلال الاقتصادي في العالم الإسلامي

الآفات الاجتماعية التي تتعرض لها الأمة :

من أخطر الآفات الاجتماعية التي تتعرض لها الأمة هي آفة : سوء توزيع الثروة . فإذا استعرضنا واقع العالم الإسلامي اليوم لوجدنا أن هذه الآفة أخذت تنهش في المجتمعات الإسلامية بشأ وأفرزت بدورها قائمة من الانهيارات البنائية وبالخصوص : الطغيان السياسي والتخلل الاجتماعي . فشلة ترابط وثيق بين أضلاع هذا المثلث الخطير ، ولا يمكن لل المسلمين أن يقضوا على واحد من هذه الأضلاع دون المباشرة في القضاء تماما على الضالعين الباقيين . ويتبدى سوء توزيع الثروة في العالم الإسلامي اليوم من خلال استثمار طبقة رقيقة من المجتمعات الإسلامية بالثروة وكافة ما تعنيه على الصعيد الاجتماعي والسياسي ، بينما تئن جماهير وسادات الإسلام من الجوع والمرض والجهل والتخلف الحضاري والعلمي والمعيشي .

هذا الواقع الذي تعيشه جماهير الإسلام لم ينشأ من عدم ، بل تكون على مهل ويففلة من هذه الأمة .

من العوامل التي أدت إلى انهيار الأمة هو شيع الاستغلال
الاقتصادي :

ولستنا هنا في صدد التشخيص الموسوعي لهذه القضية : سوء
توزيع الثروة في العالم الإسلامي حيث أن ذلك يتطلب بحوثاً مفصلة ،
غير أننا نستطيع أن نقرر هنا بأن من ضمن العوامل التي أدت لهذا
الانهيار البنياني في الأمة الإسلامية ناتج من شيع الاستغلال
الاقتصادي فيها .

فعلى طول وعرض العالم الإسلامي هناك طبقة من أبناء جلدتنا ،
يتكلمون بأسentنا ويدينون بدينتنا ، ويعيشون بيننا ، هذه الطبقة
تحالفت مع المؤسسات التجارية والاقتصادية الغربية العملاقة لنهب
ثروات العالم الإسلامي : نفط ، أخشاب ، مطاط ، مياه ، سواحل ،
حديد ، نحاس ، أسماك ، جلود ، مواشي ، زروع وثمار ، وتصنيعها في
بلاد الغرب وإعادة تصديرها لنا بالأسعار التي يحددونها وتناسبهم .
هذه العملية الاستغلالية الكبيرة التي يمارسها الغرب بالتحالف
مع طبقة معينة ومعروفة من أبناء المسلمين — وهي طبقة تحقق
هوامش من الأرباح خلال ذلك وعلى حساب أمة الإسلام ؛ أقول
هذه العملية الاستغلالية الكبيرة ما موقف الإسلام منها ؟ وكيف
يجب أن يكون موقف المسلمين منها ؟ .

موقف الإسلام من الاستغلال الاقتصادي :

موقف الإسلام من الاستغلال الاقتصادي هو بلا شك موقف

الرفض الشام، لأن الإسلام يقرر بأن للمال وظيفة اجتماعية عمرانية ينبغي أن تؤدي إلى المصلحة الجماعية للمسلمين. ومن هنا ولأجل هذا حرم الربا وحجر على السفيه ومنع الضرار بكل ضروره وأشكاله حتى لو كان هذا الضرار يحقق مصلحة لبعض المسلمين.

الاستغلال الاقتصادي الذي يمارسه الغرب:

أما الاستغلال الاقتصادي الذي يمارسه الغرب في العالم الإسلامي من نهب للثروات وتصنيعها وإعادة تصديرها لنا على أنها بضاعة غربية يبيعها علينا بالأسعار التي يحددها؛ فإن هذا الضرب من الاستغلال والسماح به وتغاضي المسلمين عنه ليس فقط أمراً يؤدي إلى الضرار بمصالح المسلمين وهو أمر محظوظ؛ بل إنه أخطر من ذلك لأنه يرفع علامات الاستفهام حول مسألة الولاية وهي مسألة حسمها القرآن الكريم وسنة محمد بن عبد الله عليهما السلام. وهذا التحالف والنصر الحاصل بين تلك الطبقة من أبناء جلدتنا والغرب الصليبي الحاقد أمر تحرمه الشريعة الإسلامية وسيق أن تداولت حوله الجماعة الإسلامية الأولى. فالقضية مبدئية من ناحية ووظيفية من ناحية أخرى.

يقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْذُلُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ . وَمَنْ يَعْوِظُهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٢٧٤).

(٢٧٤) — سورة المائدة الآية ٥١.

والولاية هنا تعني التناصر والتحالف معهم ولا تتعلق بمعنى اتباعهم في دينهم . ولقد نزلت الآية لجسم قضية كانت ساخنة في أوساط الجماعة الاسلامية . فقد كان البعض من الجماعة الاسلامية يحكم ما كان واقعاً من تشابك المصالح والأواصر مع اليهود والنصارى يواصل صلات التحالف والتناصر معهم حتى نزلت الآية لتأمر بانهاء وقطع الصلة التي كانت قائمة لأنها كانت تؤدي إلى الضرار بالجماعة الاسلامية . إن سماحة الاسلام مع أهل الكتاب شيء ، واتخاذهم أولياء شيء آخر وهو الحاصل اليوم بين طبقة من أبناء جلدتنا والغرب الصليبي الحاقد . وهذا هو الذي أدى وما زال يؤدي إلى أشكال كثيرة من التبعية السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية التي غرق فيها العالم الاسلامي وصار لقمة سائفة في فم الصليبية الحديثة المتمثلة بالغرب الحاقد . هذا التحالف والتناصر القائم بين الأطراف التي حددناها أعلاه هو الذي أفرز بدوره الاستغلال الاقتصادي الذي تمن منه جماهير المسلمين والذي ألقى بها في بحر من الجهل والمرض والجوع . وان بعض صوره هذه المليارات من أموال المسلمين والمودعة في مصارف الغرب و « المستمرة » ! ؟ في مؤسساته الاستراتيجية ومنه هيئات اتطورت الاسلحة العسكرية الغربية ومصارف لاتردد في منح القروض لاسرائيل . فلماين علماء الاسلام من هذه القضية ؟ .

شيوخ احتكار الأراضي في العالم الإسلامي

داء احتكار الأراضي :

يتشر في العالم الإسلامي — كفرية من تفريعات سوء توزيع الثروة — داء احتكار الأراضي فيلجاً بعض أصحاب النفوذ السياسي والاجتماعي إلى وضع أيديهم على مساحات كبيرة للغاية من الأراضي وتسويتها وتركها هكذا بلا إحياء ولا زراعة ولا استصناع بغرض المضاربة بها كلما احتاجوا لمزيد من المال . والأرض ثروة غالبة سخرها الله سبحانه وتعالى لعباده لا لكي يحتكرها هذا أو ذاك بل لكي تكون لها وظيفة اجتماعية يستفيد من ورائها المسلمون . وشيوخ احتكار الأراضي بين المسلمين ساهم في بروز طبقة من الرأسمالية العقارية التي تذكرنا بالقبائل التي كانت تحكر الأراضي الجاهلية بمحجة أنها حمى لخيوها وإبلها والتي قال فيها رسول الله ﷺ : « لاحمى إلا الله ورسوله » ^(٢٧٥) .

إلغاء الاحتكار :

وأنهى المصطفى ﷺ بذلك احتكارهم للأرض وجعلها مشاعراً

(٢٧٥) — الحديث تقدم تخرجه ، انظر الخاتمة رقم (٤٦) .

لناس جميعهم. ومثل ذلك فعل رسول الله ﷺ في الماء لسقاية الأرض ولرءوء المواشي ومن أجل ذلك حارب احتكار الآبار والمياه. وعلى المسلم المعاصر أن يعلم أن الإسلام من خلال معالجه لهذه القضية — قضية احتكار الأرضي — لا يقر ممارسات الرأسمالية العقانية الحالية التي ساهمت في رفع أسعار الأرضي إلى درجات لا يمكن القبول بها كتطور اقتصادي طبيعي.

ظاهرة احتكار الأرضي في هذا العصر :

بل علينا أن نعلم أن غلاء سعر الأرضي الحالي الذي ينبع منه المسلمين ما هو إلا نتيجة لظاهرة احتكار الأرضي من طرف قلة قليلة من أصحاب النفوذ وهو أمر لا يقبل به عقل ولا تقره شريعة. فما موقف الإسلام من هذه الظاهرة؟ .

حكم الشريعة في مسئللة الأرضي :

يجبر مالك الأرض في الإسلام أن يستغلها بل ويعطى المحتاج من بيت المال تمكينه من هذا الاستغلال. فإذا لم يستغلها خلال ثلاثة سنين تؤخذ منه وتعطى لغيره. ولا يجوز في الإسلام أن يتلوك أحدهم الأرض دون أن يكون قادراً على استغلالها عن طريق احيائها أو سكناها أو استصناعها، أما ما يحدث اليوم من وضع اليد على أراض شاسعة وتسويتها وتركها هكذا بدون استغلال واستعمال يؤدي إلى فائدة للمسلمين فلا يجوز. فقد حدث يونس عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر قال :

« جاء بلال بن الحارث المزني إلى رسول الله ﷺ فاستقطعه أرضاً فأقطعها له طويلة عريضة . فلما ولي عمر قال له : يا بلال إنك استقطعت رسول الله ﷺ أرضاً طويلة عريضة فقطعها لك وان رسول الله ﷺ لم يكن يمنع شيئاً يسأله وأنت لاتعطيق ما في يديك . قال : أجل . فقال له عمر : فانظر ما قويت عليها منه فامسكه ومامم تطىق وما لم تقو عليه فادفعه إلينا نقسمه بين المسلمين . قال : لا أفعل والله . فقال عمر : والله لتفعلن . فأخذ منه ما عجز عن عمارته فقسمه بين المسلمين » (٢٧٦) .

لقد استبطط الفقهاء من هذه الرواية وأمثالها عدة أحكام

منها :

استبطاطات الفقهاء في الاحتكار :

- ١ — لايجوز لأي سبب من الأسباب تعطيل استغلال الأرض فهي مثل المال يجب أن يأخذ دوره الاجتماعية لاستفادة عموم المجتمع من تلك الدورة .
- ٢ — أن الأرض إذا لم يطق صاحبها زرعها أو غير ذلك من صنوف الاستعمال وأهلها ثلاثة سنين يجوز للدولة مصادرتها ودفعها لغيره من يتمكن من احيائها كما فعل عمر بن الخطاب مع بلال المزني .
- ٣ — لايجوز لصاحب الأرض أن يؤجرها للزراعة ، فاما أن

(٢٧٦) كتاب الحراج ، بحبي بن آدم ص ٩٣ .

يزرعها لنفسه أو أن يمنحها بدون مقابل لغيره فقد جاء في صحيح مسلم: «نَبِيُّ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَن يُؤْخَذُ لِلأَرْضِ أَجْرٌ وَحْظٌ» (٢٧٧) وجاء في الصحيحين: «نَبِيُّ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كِرَاءِ الْأَرْضِ قَلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْنَ نَكْرِيهَا بِشَيْءٍ مِّنَ الْحُبِّ قَالَ لَا . قَلْنَا نَكْرِيهَا بِالْتَّبْنِ قَالَ لَا . قَلْنَا نَكْرِيهَا عَلَى الرِّبْعِ قَالَ لَا . ازْرَعْهَا أَوْ امْنَحْهَا أَخَاكَ» (٢٧٨) .

٤ — تملك الأرض بالتججير ، والاقطاع ، والاحياء ، والميراث ، والشراء وفي كل أحوال التملك لا يجوز تعطيل استغلالها .

هكذا يتبين لنا أن أحكام الشريعة الإسلامية في ملكية الأراضي لانقر احتكار الأرضي الحصول في العالم الإسلامي اليوم وأنها تقف لصالح توزيعها على عموم المسلمين القادرين على زراعتها وإحيائها وكما قال رسول الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «وليس لعرق ظالم بعد ذلك حق» (٢٧٩) .

(٢٧٧) — رواه مسلم ج ٣ ص ١١٧٦ حديث ٩٠ .

(٢٧٨) — فتح الباري ج ٥ ص ٤٢٠ ، ومسلم ج ٢ ص ١١٧٦ حديث ٨٧ وما بعده .

(٢٧٩) — فتح الباري ج ٥ ص ٤١٥ .

المال: كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم

المال لله:

المال — في منظور الاسلام ومن حيث الملكية — هو لله باعتبار الله هو المالك ولأن القرآن قد نص على ذلك: ﴿وَاتوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَكُمْ﴾ (٢٨٠).

الانسان مستخلف فيه:

وعلاقة الانسان بالمال — في منظور الاسلام — ليست علاقة ملكية بقدر ما هي علاقة استخلاف فالانسان مستخلف على المال الذي بين يديه فقط لا أكثر، أما المالك له فهو الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْفَقُوا مَا جعلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ﴾ (٢٨١). هذا من حيث المبدأ.

حدود استغلال المال:

بعد ذلك يبين الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ حدود هذا الاستخلاف: المباح والمكروه والحلال والحرام والاستحسان فيما يتعلق بالتصرفات المالية. فلا يجوز للمسلم أن يكون من المبذرين

(٢٨٠) — سورة النور الآية ٣٣.

(٢٨١) — سورة الحديد الآية ٧.

ولايحق له أن يكون من المفترىن بل لابد من الموازنة : ﴿...والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾^(٢٨٢) هذا في الحلال ، أما صرف المال في أوجه حرمها فطبعاً لايجوز وذلك من نافل القول . ولايحق لصاحب المال أن يفرض بفائدة لأن ذلك ربا والربا كما هو معلوم حرام والقرض الحسن هو المعامل به في المجتمع الذي يحتمل للإسلام ، أي القرض الحالي من الفائدة لصاحب المال ولايحق لصاحب المال أن يصرفه كله أو معظمها على الطاعات والتبرعات وأعمال البر قبل أن يوفي حق من يعول من زوجة وأطفال وأولاد وأقرباء فقد اعتبر بعض الفقهاء ذلك إسرافاً يقتضي الحجر عليه وقال آخرون : لا إسراف في الطاعة^(٢٨٣) .

حقوق المال :

القصد من ذكر ذلك أن نبين بأن في المال حقوقاً كثيرة لاينبغي التصرف به إلا بعد أن توفي تلك الحقوق ، ولايجوز شرعاً السماح للسفهاء بأن يتصرف بهم كيف شاء ولذلك استدل الفقهاء بالآية : ﴿... ولا تتوتا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما﴾^(٢٨٤) قال القرطبي : دلت الآية على جواز الحجر على السفهاء . والسفهاء هو الذي يتصرف بهم خلاف ما يقتضيه الشرع .

(٢٨٢) — سورة الفرقان الآية ٦٧ .

(٢٨٣) — تفسير القرطبي ج ٥ ص ٢٩ .

(٢٨٤) — سورة النساء الآية ٥ .

ويمدح القرآن أصحاب الأموال بأنها فتنة — ليس إلا — وان الاعتداد بها والرکون إليها وكتزها يؤدي إلى هلاك عبدهم .

- ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَنَةٌ وَاللَّهُ عَنْهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٨٥) .
- ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لَمَّا زَهَرَ . الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَدَهُ ﴾ (٢٨٦) .
- ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُنُونَ الْذَّهَبَ وَالْفَضْلَةَ وَلَا يَنْفَقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرُهُمْ بِعِذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٢٨٧) .

أوجه اتفاق المال :

وبعد أن وضع الإسلام التصور العام للعمال من حيث الملكية والأطر العامة للتصريف به ، حدد كذلك أوجه اتفاقه الواجبة واللازمة والمستحبة والمستحبة ويلاحظ أن تشرعات الإسلام المالية كلها تخدم مصلحة جماعية وتحماز للفقراء والمعوزين والمحاجين وتتجه نحو تفتيت الثروات المالية على أكبر قاعدة ممكنة من الناس بحيث تحول دون تركيزها في أيدي قليلة .

﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلَلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِذِي
الْقُرَى وَالْبَيْتَمِيِّ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ
مِنْكُمْ ﴾ (٢٨٨) .

(٢٨٥) — سورة التغابن الآية ١٥ .

(٢٨٦) — سورة همزة الآيات ١ — ٢ .

(٢٨٧) — سورة التوبه الآية ٣٤ .

(٢٨٨) — سورة الحشر الآية ٧ .

مفهوم كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم :

هذه العبارة ~~هي~~ كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ~~هي~~ تضع أمامنا قاعدة اقتصادية كبرى من قواعد التنظيم الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع الإسلامي. فالمملكة الفردية في الإسلام حق معترف بها ولكن ينبغي أن تتحرك ضمن إطار هذه القاعدة الأشمل؛ قاعدة ألا يكون المال دولة بين الأغنياء فقط متنوعاً من التداول بين الفقراء. فكل وضع ينتهي إلى أن يكون المال دولة بين الأغنياء وحدهم فهو وضع يصطدم ويتناقض مع مقررات الشريعة الإسلامية وأهداف التنظيم الاجتماعي في الإسلام ^(٢٨٩).

من أجل هذا فرض الإسلام الزكاة وحرم كلاً من الاحتكار والربا وهم الوسيستان الرئستان لجعل المال دولة بين الأغنياء وتركيزه في أيديهم .

الحق الواجب في المال من غير الزكاة :

وقد ذهب بعض الفقهاء ومنهم ابن حزم أن في المال حقوقاً سوى الزكاة ، فيقول :

« وفرض على الأغنياء من كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك أن لم تقم بهم الزكوات ولا في سائر أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لابد منه ، ومن

(٢٨٩) — في ظلال القرآن لسيد قطب ج ٨ ص ٣٧ الطبعة الأولى .

لباس للشتاء والصيف بمثل ذلك، ويسكن يكتنفه من المطر والصيف والشمس وعيون المارة »^(٢٩٠).

ويشهد ابن حزم بقول نقل عن الامام علي بن أبي طالب أنه قال :

« إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم، فإن جاعوا أو عروا وجهدوا فيمنع الأغنياء وحق على الله أن يحاسبهم يوم القيمة ويعذبهم عليه »^(٢٩١).

هكذا نجد كيف حارب الإسلام تركيز الأموال بيد الأغنياء وهو أمر حاصل اليوم في كل أرجاء العالم الإسلامي وهو من الأسباب الرئيسية للشظف والجوع والحرمان الذي يعاني منه جماهير المسلمين.

٢٩٠) — أصل ابن حزم ج ٦ ص ٤٥٢.

٢٩١) — أصل ابن حزم ج ٦ ص ٢٢٨.

توزيع الثروات ومحاربة تكديسها

الأهداف من توزيع الثروات :

الذي يتفحص التشريع الاقتصادي في الاسلام يلاحظ بدون شك الأهداف الجماعية التي يتمنى تحقيقها . فتشريعات الزكاة والارث والصدقات وإعارة المأعون ومساعدة ابن السبيل وكفاية الفقراء وكفارات الأيمان والافطار والظهار وغيرها ، كل هذه التشريعات يلاحظ أنها تؤدي إلى توزيع الثروة على أكبر قاعدة من الناس ، كما أنها — أي التشريعات — تحارب تكديس وتركيز الثروة في أيدي القلة ، يتوضّح هذا الأمر حين التمعن بتفاصيل هذه التشريعات .

تشريع الزكاة :

فالزكاة تعمل وبشكل عملي وعلى أمد طويل على إعادة توزيع الثروة في اتجاه المساواة والعدالة . فهي تؤخذ من الغني وتعطى للفقير . وأصحاب الأموال معرضون دائمًا في ميادين التجارة والاستثمار إلى الربح والخسارة ، غير أن الخسارة غير معتبة في حساب الزكاة طالما أن صاحب المال يملك ما يزيد عن النصاب ولو كان ماله يمر في حالة التناقص . هكذا إذن نجد أن تشريع الزكاة يهدف إلى إعادة توزيع الثروة لكن على مدى طويل .

تشريع الارث :

أما تشريع الارث — كما جاء في القرآن — فهو نظام تفصيلي دقيق يتحدث عن أرقام رياضية لاتقبل الخرص والاحتمال : النصف والثلث والربع والسدس ، ويتناول كميات من الثروة في صورها العديدة المنقولة وغير المنقولة فيوزعها على فئات عديدة وينشرها على أعداد كبيرة من الناس .

الفرق بين الارث عند الرأسماليين وبين الارث في القرآن :

والذى يقارن نظام الارث في العالم الرأسمالي بنظام الارث القرآني ، يلاحظ ان الفارق الرئيسي بين النظائرتين هو أن الأول يكرس ويساند تكديس الثروة في يد القلة ، وأن النظام الثاني — الاسلامي — يسعى إلى تنظيم وجود الثروة وتوزيعها على أكبر عدد ممكن من الناس حتى لو لم يكونوا من أقرباء المتوفى ؛ فلقد قرر القرآن لليتامى والمساكين الذين يحضرون قسمة التركة شيئاً من المال ، قال الله تعالى : ﴿إِذَا حضرَ الْقَسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(٢٩٢) قال بعض العلماء هذه العطية واجبة على جهة الفرض وقال آخرون ان هذا العمل مندوب إلية ورجحه القرطبي^(٢٩٣) . فإذا اعطوهם من الأموال المتركة فعلتهم أن يقولوا لهم قولاً معروفاً ، قال سعيد بن جبیر يقال

(٢٩٢) — سورة النساء الآية ٨ .

(٢٩٣) — تفسير القرطبي ج ٥ ص ٤٨ - ٤٩ .

لهم : « خلدو بورك لكم »^(٢٩٤). نظام الارث في العالم الرأسمالي يقوم على ركيزة المحافظة على الثروة المتراكمة ضمن دائرة ضيقة ، بينما أن نظام الارث الاسلامي يقوم على ركيزة التوزيع للثروة المتراكمة ونثارها على أوسع دائرة ممكنة من الناس .

العقوبات المالية في الاسلام لصالح الفقراء والمساكين :

حتى العقوبات المالية المفروضة في الاسلام جاءت في اتجاه اعادة توزيع الثروة لصالح الفقراء والمساكين والمعوزين ونظام العقوبات المالية في الاسلام عرف بنظام الكفارات .

تعريف الكفارات :

والكافارة هي العقوبة التي قدرها الشارع الحكيم عند ارتكاب أمر فيه مخالفة لأوامر الله تعالى وتشمل كفارة اليدين وكفارة الظهار وكفارة الافطرار في رمضان .

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغُو فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكُمْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَدْتُمُ الْإِيمَانَ فَكَفَارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِكُمْ أَوْ كَسُوتُهُمْ أَوْ تَحرِيرُ رَقْبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِصْيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يَبْيَنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشَكَّرُونَ ﴾^(٢٩٥) .

(٢٩٤) - تفسير القرطبي ج ٥ ص ٥٠ ط القاهرة سنة ١٩٦٧ م .

(٢٩٥) - سورة المائدۃ الآیة ٨٩ .

« وروى أبو هريرة : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : هلكت يا رسول الله ، قال : وما أهلكك ؟ قال : وقعت على امرأة في رمضان ، قال : هل تجد ماتعنت رقبة ؟ قال : لا ، فقال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ، قال : لا ، فقال : هل تجد ماتطعم ستين مسكينا ؟ ... إلى آخر الحديث » (٢٩٦).

﴿ الذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودوا لما قالوا فتحرر رقبة من قبل أن يتasca ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتasca فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتومنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم ﴾ (٢٩٧).

الأوقاف العامة :

ومن يدرس تاريخ الأوقاف الإسلامية من حيث هي نوع من أنواع صدقات التطوع يدرك إلى أي مدى أصبحت المجتمعات الإسلامية تدرك التشرع الاقتصادي في الإسلام الذي يستهدف في الأساس تحقيق مصلحة عامة ، فلقد كان هناك في المجتمعات الإسلامية أوقاف يصرف منها على المساجد والمدارس والمكتبات العامة والمستشفيات وإصلاح الجسور والطرقات العامة واللقطاء واليتامى والمقدعين والعميان والمعجزة والمساجين والبذار للفلاحين وأدوات

(٢٩٦) — صحيح مسلم ج ٢ ص ٧٨٢ حديث ١١٠٩ .

(٢٩٧) — سورة الحادلة الآيات ٣ — ٤ .

الزراعة ودواب الزراعة وغيرها من المصادر العامة التي تؤدي إلى نشر الثروة وضخها من أجل الصالح العام للمسلمين بدل تكدسها وتکاثرها دون تداول. لاشك بأن نظام الوقف الاسلامي يحتاج إلى تاريخ من حيث هو نظام عملى كبير الفائدة للجماعة ومن حيث هو طريقة فذه في تدوير المال في المجتمع والخوول دون تركه وكتره.

هذه تنظيمات كانت قائمة في المجتمعات الاسلامية وبعضها ما زال قائماً وقد أثبتت فعاليتها البعيدة المدى وتعكس موقف الاسلام من الثروة ومن ضرورة توظيفها لصالح العموم.

الموقف الاسلامي في دكتاتورية رأس المال

العالم الاسلامي يطبق النهج الرأسمالي :

معظم أقطار العالم الاسلامي المترامي اليوم تتجه — من حيث النظام الاقتصادي — النهج الرأسمالي الذي يؤكد ما يسمى بـ « حرية التجارة » وحرية « حركة رأس المال » إلى آخره من الدعاوي. وينبغي علينا نحن المسلمين أن نكون على بينة من هذا الأمر على مستويين :

الأول : علينا أن نفهم منطق النظام الرأسمالي من حيث هو نظام اقتصادي وعلينا أن نفهم منطلقاته المبدئية واسقاط تلك المنطلقات على واقع المجتمعات الرأسمالية، أما المستوى الثاني فهو ضرورة تحديد موقفنا العقائدي في النظام الرأسمالي منطلقين من الكتاب الكريم وسنة نبينا صل اللهم.

يؤكد واقع المجتمعات الرأسمالية أن الفرد المواطن — بالرغم من الحديث المستمر عن قدسيّة حرية ورأيه وكيانه — قد صار رهينة بين رأس المال الذي يتحكم بالسياسة والاعلام والسلع الضرورية . في جنوب افريقيا مثلاً صار أصحاب المناجم والمزارع الكبيرة من

المولنديين والإنجليز هم الحكماء يمارسون حرية اهتماماتهم الفردية في الفكر والسياسة والمال. أما شعب تلك البلاد من الزنوج والملونين الأفارقعة والآسيويين فهم لا يمارسون أدنى صور الحرية الفردية. بما فيها حرية الاتصال والسكن والعمل. أما في الولايات المتحدة وكندا وإيطاليا فيلاحظ أن كبار الصناعيين والمتسللين صاروا يشكلون جماعات ضغط بل ويعملون أحراضاً سياسية للتأثير على القرار السياسي حتى صاروا الآن حكاماً يتحكمون في مسار مجتمعاتهم السياسية ويؤثرون بشكل واضح على مجرى السياسة الدولية. ومن يدرس أوضاع المجتمعات الأوروبية الغربية والأمريكية الشمالية بالذات — وهي المجتمعات رأسمالية — ويستخلص الأسس الفعلية التي يقوم عليها النظام الرأسمالي يجد الآتي :

الأسس التي يقوم عليها النظام الرأسمالي:

- ١ — النظام المالي هو الذي يتحكم في القرار السياسي ونوجهاته.
- ٢ — المال قوة مسيطرة على جوانب الحياة الاجتماعية بأجمعها (التعليم — الفن — الأدب — النشر —).
- ٣ — كل وسيلة تؤدي إلى زيادة الأرباح فهي مشروعة في الرأسمالية :

الربا مشروع، التدليس والرشوة مشروع، المقامرة بالأوراق المالية مشروع، القمار بكل صوره مشروع، والاحتكار في الاتصال الصناعي مشروع كذلك.

٤ — تلعب البنوك وشركات التأمين وبورصة الأوراق المالية أدواراً كبيرة للغاية في تحديد نتائج الانتخابات السياسية وتوجهاتها .

٥ — الاستغلال للطاقات البشرية والمهارات الفنية ودفع أجور غير متكافئة مع قيمة الانتاج وهامش الربح الواسع .

هذه هي الأسس الفعلية التي يقوم عليها النظام الرأسمالي من خلال اسقاطاته على المجتمعات الرأسمالية في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية .

منظلمات النظام الرأسمالي الفكرية :

ويبدو من خلال ما عرضنا ان منظلمات النظام الرأسمالي الفكرية والمبدئية هي كالتالي :

- ١ — ان المال لدى الأفراد ملكية شخصية مطلقة .
- ٢ — ليس هناك شريك لصاحب المال في ماله سواء كان الشريك افراداً أو الدولة .
- ٣ — ان ربح المال يعود لصاحب المال وحده لا شريك له فيه .
- ٤ — ان حريات اختيار وسائل الاستثمار لا تخضع لرقابة طالما أنها غير موجهة للضرر بفرد معين أو افراد معينين .

هذه المنظلمات العامة الفكرية والمبدئية للنظام الرأسمالي جعلت من القلة الذين يتحكمون بالمال قوة سياسية واجتماعية تتحكم في مسار المجتمعات الرأسمالية وتؤثر بشكل واضح على حريات السياسة الدولية — من حيث ان الأحية عبارة عن شبكة من الصراع

الاقتصادي على المستوى الكوني .

أكبر عائق لحربيات الأفراد مبدأ حرية رأس المال :

وأصبح النظام الرأسمالي — والذي ينطلق من مبدأ حرية حركة رأس المال — أكبر معمق فعلي لحربيات الأفراد النظيفة في مجال العمران الاجتماعي والسياسي ، أما حربيات الهبوط والتدحر الفردي والجماعي فهو يرحب بها بل ويشجعها لأنها تفتح المجتمعات أكثر وأكثر للسلع وتضمن دورة الانتاج الرأسمالي .

عليه نسأل : إذن ما موقفنا العقائدي من الرأسمالية سواء انسنها الفعلية أو منطلقاتها الفكرية والمبدئية ؟ .

عود على بدء الموقف الاسلامي من دكتاتورية رأس المال

حدّدنا الأسس الفعلية والمنطلقات الفكرية والمبدئية التي يقوم عليها النظام الرأسمالي. وتناولنا كذلك اسقاطات وآثار النظام الرأسمالي على الأصعدة السياسية والاجتماعية باختصار شديد. والآن نحاول الإجابة على السؤال الذي طرحتناه وهو: ما موقفنا العقائدي من الرأسمالية سواء أسسها الفعلية أو منطلقاتها الفكرية والمبدئية؟ نقول وبالله التوفيق.

أوجه التعارض بين الإسلام والرأسمالية:

يعارض الإسلام والرأسمالية من وجوه عدة:

أولاً: إذا كانت الرأسمالية تنظر إلى المال لدى الأفراد على أنه ملكية شخصية مطلقة يحق للشخص أن يتصرف به كيف شاء، فإن الإسلام يعتبر الملكية المطلقة والمالك الحقيقي هو الله، وأن الفرد الذي لديه المال ليس إلا مستخلفاً عليه أو مؤتمناً عليه وسوف يسأل ومحاسب على كيفية تصرفه بذلك المال.

في الرأسمالية يتصرف الفرد بما له كيف يشاء أما في الإسلام لا يحق له ذلك :

وإذا كان الفرد في النظام الرأسمالي له مطلق الحرية في أن يتصرف بما له الذي بين يديه بالشكل الذي يرى ولو كان في ذلك إسراف وتضييع وفساد، فإن النظام الإسلام يحدد الأطر التي ينبغي على الفرد التقيد به في صرفه للمال الذي بين يديه، وإذا خرج عن تلك الأطر المرسومة حجر عليه باعتبار حامل المال سفيهاً. ومن يقرأ في باب «الحجر على السفيه» في الفقه الإسلامي يجد أن الإسلام يعطي الحق للمجتمع الإسلامي مثلاً بالدولة الإسلامية أن يتزوج المال من يد السفيه على أن يحفظ له الحد الأدنى من العيش اللازم للإنسان.

والسفيه هو الذي يتصرف في ماله بخلاف ما يقتضيه الشرع ويصرف في إنفاق المال بشكل خارج عن الأصول الإسلامية كأن ينذر أمواله في القمار وشرب الخمر وغير ذلك.

وقد اعتبر بعض الفقهاء الذي ينفق كل أمواله على الطاعات كبناء المساجد وغير ذلك دون أن يوفي حق أهله ومن يعول مسراً بجوز الحجر عليه ليعطي كل ذي حق حقه.

فالفرد إذن في النظام الإسلامي لا يحق له أن يتصرف بما له كيف شاء كما يحدث في النظام الرأسمالي.

ثانية: يؤكد النظام الرأسمالي أن ليس لصاحب المال شريك

فيه سواء كان ذلك الأفراد أو الدولة. بينما يؤكد الإسلام أن المستخلف على المال شركاء لهم حقوق في ماله يجب أن يؤديها ومن يتعذر رفعها ورفض تأديتها مثل الزكاة يعتبر مرتدًا يجب قتاله كما فعل أبو بكر خليفة رسول الله مع الذين رفضوا تأدية حق الزكاة. كما أن أحكام الإرث تؤكد حق المشاركة هذا لأن صاحب المال ليس له الحق أن يوصي بأكثر من ثلث التركة للجهة التي يريد، أما الثلثان الباقيان من تركه فقسم حسب آيات الإرث في سورة النساء وهي تمحى على توزيع الثروة ونمائها على أكبر قدر ممكن من الناس. أما أحكام الصدقات وإعارة المأمون ومساعدة ابن السبيل وكفاية الفقراء والكافرات كلها فتؤكد هذه المشاركة الجماعية في المال الخاص.

في الرأسمالية يكدس المال لصاحبها أما في الإسلام فيجب أن يدور هذا المال إلى فئات أخرى:

وهذا مفرق كبير بين الرأسمالية والإسلام: فالفرد في ظل النظام الإسلامي ليس له الحق في الاستثمار بهاته وحده — كما يحدث في النظام الرأسمالي — بل لا بد أن يوفى كثيراً من الحقوق الشرعية التي فرضتها الدولة الإسلامية لظروف اقتصادية تغير بها والتي قد يخضع للتعديل والزيادة والتخفيض وربما الالغاء حسبما تملية ظروف الجماعة الإسلامية.

ثالثها: يؤكد النظام الرأسمالي حرية اختيار وسائل الاستثمار والانتاج بشكل شبه مطلق.

الاستثمار في الرأسمالية مطلق بينما في الإسلام يحدد ضمن الاستثمار المشروع:

ومن هنا نجد أن النظام الرأسمالي يعتبر المؤسسات الربوية الاحتكارية مشروعية محمية بالقانون وكذلك دور القمار وعمل الليل وتجارة الخمور وانتاجها والمقامرة بالأوراق المالية والاحتكار الصناعي، كل هذه الممارسات والوسائل يعتبرها النظام الرأسمالي وسائل مشروعة للكسب وللاستثمار والانتاج. أما الإسلام فيحدد الأطار العام الذي ينبغي أن تتحرك ضمنه العملية الاستثمارية والانتاجية نستطيع أن نوجزه بالنقاط التالية:

أمثلة للاستثمار والانتاج في الإسلام:

— جعل الشرع تنمية المال مقيدة في حدود لا يجوز تعديها، فمنع الفرد من تنمية ملكه بطرق معينة منها: القمار بأنواعه، والربا باعتباره صورة من صور الظلم والاستغلال لجهد الناس، والغبن الفاحش وهو بيع الشيء بأكثر مما يساوي أو بأقل مما يساوي والغبن الفاحش حرام شرعاً لأنه ثبت في الحديث الصحيح طلب ترك الغبن طلياً جازماً، والتدليس في البيع ومعنى تدليس البائع السلعة هو أن يكتم العيب فيها عن المشتري مع علمه بها ومعنى تدليس المشتري قد يكون في الثمن المدفوع مثلاً أن يزيف عملة أو يكتم ما فيها من زيف، والاحتكار لأن الشريعة الإسلامية بناء على ما ثبت من نصوص تمنعه مطلقاً وهو حرام شرعاً لورود النبي الجازم عنه في صريح

الحدث . وهذه كلها وسائل يسمح بها النظام الرأسمالي بل أن
معظم — إن لم يكن كل — النشاط الاقتصادي الرأسمالي في مجال
الاستثمار والانتاج يقوم على هذه الوسائل المحرمة في الشريعة
الإسلامية . فالقمار له دور خاصة (الكازينوهات) مرخصة قانونياً
يموها بعض الرأسماليين ويدركه ضحية لها المواطن وتحصل هذه الدور
على حماية خاصة من الدولة . أما الربا فكل المؤسسات المالية في
العالم الرأسمالي تتعامل به وتنافس فيه . أما الغبن الفاحش والتسلس
 فهو نشاط يومي في النظام الرأسمالي وهو يعتبر ضمن آليات السوق
ومنطقه وجزءاً من ميكانيكية العرض والطلب التي يشرّ بها آدم
سميث . وأما الاحتكار فهو من أبرز صفات السوق الرأسمالي . وكل
هذه الوسائل محرمة شرعاً ولا يجوز التعامل بها .

ضرورة تحقيق حركة الاستثمار والانتاج الفوائد العامة للمجتمع :
— كذلك يؤكد الإسلام على ضرورة أن تتحقق حركة الاستثمار
والانتاج فائدة عامة للمجتمع الأوسع . هذا التأكيد على الجانب
الاجتماعي للانتاج وإبراز الصيغة الاحتكارية للعلاقات الانتاجية ونشر
فوائد الانتاج وتوزيعها في إطار موازين عادلة يأتيان في مقدمة
الأهداف الانتاجية . فالنظام الاقتصادي الإسلامي متلزم التزاماً
عميقاً ببدأ الانتاج من أجل عموم الناس ولمصلحةهم بينما نجد أن
أهداف حركة الانتاج تتركز في مضاعفة وتثوير الأرباح للمتاجرين فقط
أي القلة الذين يتحكمون بحركة رأس المال .

المشكلة الاقتصادية في الرأسمالية والإسلام:

— المشكلة الاقتصادية في النظام الرأسمالي تتركز في الندرة النسبية للموارد مقابل توفير السلع للاشباع الجماعي. فنظرًا لندرة المواد تندر السلعة وبالتالي يصير الصراع عليها. بينما يعتبر الإسلام أن المشكلة الاقتصادية الفعلية تجت عن كسل البشر وإهمالهم لاستخراج الحشرات التي خلقها الله والانتفاع بها وهي كثيرة ووفيرة وكافية للكل بني الإنسان وهذا الكسل أدى إلى الظلم والعدوان الذي يرتكبه القوي على الضعيف المتواكل. فالله يؤكد في كتابه وفراة الموارد: «وَآتَكُم مِّن كُلِّ مَا سُأْلَتُمْ وَإِن تَعْدُوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تَحْصُوْهَا»^(٢٩٩)، ولكنه الظلم من جهة والكسيل من جهة أخرى والمصطفى عليه السلام يقول: «استعن بالله ولا تعجز»^(٣٠٠).

هكذا وعبر سطور يتبين لنا التعارض الجوهرى بين النظام الرأسمالي والشرع الاقتصادى الإسلامى وهو تعارض في المنطلقات الأساسية والمبدئية وهو أمر لا يمكن التحايل عليه عبر إجراءات الترقيع الحاصل في أكثر من قطر إسلامى والله المستعان.

(٢٩٩) سورة إبراهيم الآية ٣٤.

(٣٠٠) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٠٥٢ حديث ٢٦٦٤.

الموقف الإسلامي من النظرية الماركسية

ماذا تقول النظرية الماركسية :

لكي نحدد الموقف الإسلامي من النظرية الماركسية لا بد أن يعرف القارئ — بدقة — ماذا تقول النظرية المذكورة إذ أن كثيرا من الناس يبنون مواقفهم على انطباعات يعززها العلم الموضوعي بالأشياء والمصطلحات والمفاهيم. وإذا كان هذا الأمر لا غبار عليه عند غير المسلم؛ فلا يليق ذلك بالمسلم بل ينبغي أن يكون من «الذين يعلمون» وينون مواقفهم على علم موضوعي لا على هوى أو عناد أو نزعة.

تعريف النظرية الماركسية :

ونقصد بالنظرية الماركسية الدليل النظري التي تسترشد به الأحزاب الشيوعية في صراعها مع القوى السياسية غير الشيوعية، وهو دليل ذو طبيعة ثورية فهو يتناول التاريخ بالتحليل والتفسير وكذلك المجتمعات والحركة الاقتصادية ضمن ذلك. وبإمكاننا أن نتناول هذا الموضوع بشكل موسع وهذا سيضطرنا بالطبع لرصد منابع الفكر الماركسي أو المؤثرات التي صبت فيه سواء عند

أوجست كونت أو فريباخ أو دارون أو هيجل . وكذلك سيضطرنا التحليل الموسعي للموضوع إلى التطرق لرواد الاشتراكية الأوائل : سان سيمون وشارل فورييه وروبرت أوين . وقد يقذف بنا هذا المدخل للموضوع إلى شيء من الأكاديمية التي لا نعتقد بأن القارئ يحتاجها الآن . لذلك سوف نحدد بعض المفاهيم الرئيسية التي تطرحها النظرية الماركسية وعلى ضوئها نشرع في تحديد موقفنا الإسلامي منها . فما هي المفاهيم الرئيسية ؟ .

المفاهيم الرئيسية للنظرية الماركسية :

التفسير المادي للتاريخ :

(المادة عند ماركس ، هي المحرك الرئيسي للتاريخ ، والعامل المهيمن في التطور ، عن طريقها تتحدد العوامل الأخرى ، لأن هذه العوامل ليست مستقلة في تكوينها وتشكلها ، بل تتأثر في وجودها وفي صورها بالظروف المادية المتصلة بطرق الانتاج وبعلاقات التبادل التي تنشأ بين طبقات المجتمع نتيجة لهذه الطرق . ويقول ماركس بأن الأوضاع القانونية والاجتماعية والسياسية والفنية والأدبية والفلسفية ، وجميع النواحي الفكرية عموماً ، لا يمكن أن تفهم بذاتها ، لأنها تتحدد وتشكل وفقاً لتأثير العوامل المادية أو الاقتصادية عليها . فالأوضاع الاقتصادية هي الأساس الرئيسي الذي يوتّر في كافة الأوضاع والنظم الاجتماعية والفكرية الأخرى ، بحيث تطبع هذه الأوضاع والنظم بالصورة التي يقتضيها البناء الاقتصادي القائم) .

الخامسة التاريخية :

الأشكال الاجتماعية الخامسة :

لقد سجل التاريخ خمسة أشكال اجتماعية هي : المشاعية البدائية ، ونظام الرق ، والاقطاع ، والرأسمالية ، ثم الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية الممهدة للشيوعية .

نشوءها :

كان البشر في طور المشاعية البدائية يعيشون في حالة وحشية يأكلون مما يجدونه في الطبيعة من نباتات صالحة للاستهلاك ولم يكن لديهم تملك خاص لأدوات الانتاج . ومع ظهور الملكية الخاصة لأدوات ومواد الانتاج تلاشت المشاعية البدائية وظهر أول تقسيم للمجتمع إلى طبقات على أساس المصالح الاقتصادية ، وهذا يكون قد نشأ نظام جديد على أنقاض المشاعية البدائية ألا وهو نظام الرق . نشأ نظام الرق من طريقين : طريق الحروب فكان المغلوب في الحرب يتحول إلى رقيق ؛ ونتيجة لنمو الانتاج السلعي والتبادل الت כדי ظهر الاقراض الربوي ومعه ظهر استعباد المدين عن طريق الديون فكان المدين الذي يشعل كاهله الدين الربوي الفاحش يضطر لبيع والده أو ابنه أو نفسه ربيعاً لأجل سداد دينه . وانتهى نظام الرق إلى الدمار حيث أصبح مناقضاً لطابع قوى الانتاج ، وظهر النظام الاقطاعي . ويتميز النظام الاقطاعي بأن علاقات الانتاج فيه قائمة على ملكية الأقطاعي للأرض كوسيلة رئيسية للإنتاج واحتلال الفلاح لحساب

السيد الاقطاعي، وكانت الدولة والكنيسة هما الجهازان الجباران المسيطران على المجتمع واللذان يحميان مصالح الاقطاع. وحين أصبح النظام الاقطاعي عقبة في وجه كل تطور لاحق في الانتاج الجديد وأخذت العلاقات الانتاجية الرأسمالية تظهر وتتطور نتيجة لعدة عوامل منها: الاكتشافات الجغرافية وزيادة التجارة؛ وحين أصبح الرأسمالي يستغل العمال نتيجة لهذا كله انهار نظام الاقطاع وانفجرت الثورات البرجوازية الرامية إلى هدم النظام الاقطاعي وفسح المجال أمام تطور الرأسمالية. غير أن الرأسمالية عندما تتطور قوى المجتمع المتوجه تصبح أكثر فأكثر عائقاً في طريق تطور هذه القوى التي ولدتها هي ذاتها، ومن هنا يتبيّن أن إلغاء الرأسمالية بالطرق الثورية واستبدالها بالشيوعية أي بمجتمع لا طبقي تكون وسائل الانتاج فيه ملكاً مشتركاً يصبح ضرورة تاريخية.

ولكن هذا الانتقال من الرأسمالية إلى الشيوعية يمر عبر مرحلة الاشتراكية وهذه المرحلة تهدف — كما تحدد ذلك المصادر الرئيسية للفكر الماركسي — للقضاء على استغلال الانسان لأخيه الانسان والقضاء في نفس الوقت على طبقات المجتمع المتاخرة ولا بد من فترة زمنية معينة حتى تتمكن الثورة من تحقيق ذلك.

صراع الطبقات :

المجتمعات منقسمة إلى طبقات متناقضة المصالح، ولما كان استغلال طبقة من قبل طبقة أخرى هو أساس الحضارة وتحركها — كما تطرح النظرية الماركسية — فإن ثمو الحضارة كلها يسير في

تناقض مستمر. كل خطوة في الأمام في الاتجاه هي في الوقت ذاته خطوة إلى الوراء في أحوال الطبقة المضطهدة، أي الأكثريّة العظمى. كل ما هو خير للبعض لا بد أن يكون شرًا للآخرين، كل تحرر جديد لإحدى الطبقات يعني اضطهادًا جديداً لطبقة أخرى. الدولة في الأساس وسيلة قهر طبقي بيد طبقة ضد عدّة طبقات وفي مرحلة الاشتراكية تستولي طبقة العمال (البروليتاريا) على السلطة وتطوعها لصالح التحول الاشتراكي.

الدّين :

يقول ماركس: (إن الدين لا يصنع الإنسان ولكن الإنسان يصنع الدين. إن البوس الديني هو التعبير عن البوس الواقعي والاحتجاج على هذا البوس الواقعي في وقت ما. الدين زفة الكائن المشتعل بالألم، روح عالم لم يق به روح، وفكرة عالم لم يق فيه فكر. إنه أفيون الشعوب) (٣٠١).

ويقول المجلز: (ومهما يكن من شيء فليس الدين إلا الانعكاس الوهمي في أذهان البشر لتلك القوى الخارجية التي تسيطر على حياتهم اليومية) (٣٠٢).

هذه باختصار شديد بعض المفاهيم الرئيسية التي تطرحها النظريّة الماركسيّة وسوف نحدد الموقف الإسلامي منها عبر مناقشتها وإثبات بطلانها بإذن الله تعالى.

(٣٠١) كارل ماركس هنري لوفاير ص ١٦ ترجمة محمد عيتاني دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٧٢ م.

(٣٠٢) انظر: آندي دوهرنغ، المجلز ص ٣٨١.

الموقف الإسلامي من النظرية الماركسية التفسير المادي للتاريخ

عرضنا فيما تقدم أهم المفاهيم الرئيسية للنظرية الماركسية بغية مناقشتها وتحديد موقف علمي إسلامي منها يساهم في الإرشاد السياسي للحركة الإسلامية وكانت هذه المفاهيم الأساسية أربعة: أولاً التفسير المادي للتاريخ والثاني هو الخامسة التاريخية أو الأشكال الاجتماعية الخامسة التي سجلت في التاريخ وهي: المشاعية البدائية والرق والاقطاع والرأسمالية والشيوعية الثانية، وثالثاً ما طرحة ماركس حول الصراع الطبقي ثم رابعاً وأخيراً ما ذكره حول الدين وهنا سوف نحاول — في ضوء ما نعلم والله أعلم — معالجة المفهوم الماركسي الأول وهو التفسير المادي للتاريخ.

مفهوم التفسير المادي للتاريخ:

لحوى مفهوم التفسير المادي للتاريخ هو أن القوى الأساسية في تطوير المجتمع البشري هي أسلوب الاتساع. فأسلوب الاتساع في — رأي ماركس — هو الذي يحدد طابع النظام الاجتماعي وشكل النظام السياسي أو البنية الفوقيـة SUPRA- STRUCTURE للمجتمع كما يطلق عليها ويسمّيها.

أسلوب الانتاج:

فالناس يحتاجون بعض الضروريات مثل: المأكل والملبس والمسكن والوقود وأدوات الانتاج وهذه الضروريات لا بد من انتاجها، ولأجل انتاجها لا بد من أدوات ووسائل انتاج وهذه الأدوات لا بد من معرفة كيفية استخدامها. هذا ما يسميه ماركس أسلوب الانتاج؛ وهو كما نرى يعبر عن سلوك الناس نحو أشياء «الطبيعة» و«قوتها» التي تستخدم لانتاج الحاجات المادية.

علاقة الانتاج:

وبعدها ندخل في موضوع دقيق وهو موضوع علاقات الانتاج إذ يسأل ماركس: من هو الطرف الذي ينبغي أن يمتلك أدوات الانتاج؟ فالذى يمتلك وسائل الانتاج هو الذى يتحكم بأسلوب الانتاج وبالتالي يسيطر على القوى الأساسية في تطوير المجتمع البشري. إذن وبصيغة أخرى يقول ماركس: إن الوضع الاقتصادي هو الأساس وهو الذي يحدد الأشكال الفوقيّة في المجتمع مثل طبيعة النظام السياسي وتركيباته وطبيعة النظريات الحقوقية والفلسفية والدينية السائدة بين الناس.

بتعبير أوضح — وفيما يتعلق بالدين — فإن الدين حسب مفهوم التفسير المادي للتاريخ لا يخرج عن كونه صدى للوضع الاقتصادي ليس إلا.

رأي الإسلام في التفسير المادي للتاريخ:

ولكي نحدد الموقف الإسلامي من التفسير المادي للتاريخ ينبغي أن نقول بداية أن الإسلام لم ينكر أهمية العامل الاقتصادي في حياة المجتمعات البشرية ومن أجل ذلك فالذى يتضمن القرآن الكريم يرى أنه قد أسهب في معالجة مواضيع اقتصادية صرفة مثل الربا والتجارة والبيع والإرث. كما عالج الوظيفة الاجتماعية للمال معالجة استهدفت تحقيق المصالح الجماعية في الأساس. وقد استقر القرآن الكريم النظام الاقتصادي الرأسمالي الذي كان سائداً في الجزيرة العربية ودعا إلى تقويضه ودمره وبناء نظام اقتصادي تكافلي خالٍ من الربا والاحتياط والغبن والتسلّس والتطفيف، كل ذلك في سبيل توزيع أفضل للثروة وتوظيف أحسن للمال وتنمية للعلاقات الاجتماعية. ومن يتبع في قراءاته حول التشريع الاقتصادي الإسلامي يجد ذلك وأكثر ... ولكن؟.

نعتقد أن تفسير المفهوم المادي للتاريخ وتغلب العامل الاقتصادي كعامل أساسي على صوته نفس التاريخ، بل نفس حتى معتقدات الناس وأديانهم فهذا أمر لا يخلو من غلو إضافة إلى ذلك نعتقد بأن نظرية التفسير المادي للتاريخ تعوزها الأدلة المقنعة.

إذا كانت أساليب الانتاج – كما تقول النظرية – هي التي تحدد طبيعة النظام السياسي القائم والمعتقدات الدينية السائدة وإذا

كان الدين مجرد انعكاس للظرف الاقتصادي الذي يعيش فيه الناس فلماذا نجد مائة دين ودين كلها متجاورة وتستظل في ظل ظروف اقتصادية واحدة. فمثلاً نجد أن الإسلام والمسيحية والهندوسية وعشرات الأديان الأخرى تسيطر على عقول ناس يعيشون في نفس الظروف الاقتصادية ونفس النوع من أساليب الانتاج مئات السنين وهذه القوى الاقتصادية أخفقت في صهر هذه الطوائف في كتلة دينية واحدة وفي دين واحد أو حتى في نظام سياسي واحد. ولماذا نجد مثلاً المانيا البلد الواحد منقسمة إلى معاكسرين شرقي وغربي؟ المانيا الشرقية صارت اشتراكية بمجرد استيلاء روسيا عليها والمانيا الغربية ظلت رأسمالية مع أنها في الأساس بلد واحد ويخضعون لنفس الأوضاع والظروف الاقتصادية. ثم إن دول أوروبا الشرقية (البرتغال، بولندا، تشيكوسلوفاكيا، يوغسلافيا، بلغاريا وغيرها) حين تطورت من الرأسمالية إلى الاشتراكية هل تطورت بتطور أدوات الانتاج أم باستيلاء روسيا الشيوعية عليها؟ ثم في روسيا هل تطورت أدوات الانتاج أولاً ثم تطورت العلاقات الاجتماعية تبعاً لذلك والنظام القائم فيها أم أن الحزب الشيوعي استولى على السلطة فغير الانتاج وأسلوب الانتاج وعلاقات الانتاج . ٩٩

الحقيقة أن مفهوم التفسير المادي للتاريخ لا يخلو من الغلو في تغليبه للعامل الاقتصادي ونحن من موقف الاقتصاد الإسلامي لا

نقبل به لأنه بالإضافة إلى غلوه فهو لا يجيب على كثير من الأسئلة
التي طرحت حوله وأنه في النهاية وبالإضافة لذلك ينكر الدين جملة
وتفصيلاً ومصداقية أساليب توصيل الدين ومن أهمها الوحي
والكتب السماوية^(١).

(١) ملحوظة: القارئ الراغب في التوسيع في الموضوع نصحه بكتاب قيم صدر من
جامعة أم القرى بعنوان « موقف الإسلام من نظرية ماركس للقسم المادي للتاريخ »
بقلم أحمد المواشة جزاء الله كل خير .

الموقف الإسلامي من النظرية الماركسية الخمسية التاريخية

خلاصة الخمسية التاريخية :

خلاصة الخمسية التاريخية عند ماركس أن المجتمعات البشرية قد سجلت خمسة أطوار أو مراحل : المشاعية البدائية والرق والاقطاع والرأسمالية والشيوعية . هذه المراحل هي حتمية الوقع .. أي أن التطور من المشاعية إلى البدائية مروراً بمرحلة الرق والاقطاع والرأسمالية وصولاً إلى الشيوعية . هذا التطور أو الانتقال من طور إلى طور هو أمر حتمي ومرتبط بعوامل اقتصادية خارجة عن إرادة الإنسان إذن فحسب الخمسية التاريخية — كمفهوم ايديولوجي — كل المجتمعات البشرية مرشحة للتتحول نحو الشيوعية في يوم من الأيام .

يتساءل الأخ أحمد العواشة — ونحن نضم صوتنا إليه — في كتابه القيم الذي أشرنا إليه : ما هو الدليل العلمي على هذه الخمسات ؟ (حتمية التطور عبر الأشكال الاجتماعية الخمسة المذكورة)^(٣٠٣) ، وقد لا حظنا أن تاريخ الإسلام لم يمر بمرحلة الرق

(٣٠٣) موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ لأحمد العواشة .

والاقطاع.

تدخل اليهود في الصناعة الرأسمالية:

ثم إن الرأسمالية لم تكن حتى متصل إلى ما وصلت إليه من سوء لولا تدخل اليهود في الصناعة الرأسمالية واحتكارها بواسطة القروض الربوية ... ثم على فرض تفسير أطوار البشرية — كما فسرها أصحاب التفسير المادي للتاريخ — كلها صحيحة — وهي ليست بصحيحة — فكيف تكون هذه الأطوار مستقلة عن إرادة الإنسان؟ أليس الإنسان هو الذي امتلك الأرض وأدوات الانتاج بعد إذ لم يكن يملک من قبل؟ هل الأرض هي التي فرضت عليه ملك نفسها؟ أم هو الذي امتلكها برغبته في الامتلاك؟ ومن الذي اخترع الآلة؟ أليس هو الإنسان؟ ولماذا اخترعها بارادته؟ أم فرضت هي نفسها عليه فرضاً وأمسكته من خناقه وهزته وقالت له اخترعني؟ أوليس رغبته هو في تحسين انتاجه — الرغبة الفطرية الكامنة فيه — هي التي جعلته يتعلم ويسعى وينصب حتى اخترع الآلة. فعل فرض أن هذه الآلة هي التي تكتب تاريخ البشرية أليس فيها إرادة الإنسان؟ فكيف تكون الأطوار (الخمسة) إذن خارجة عن إرادة الإنسان ومستقلة عنها؟.

المشاعية البدائية:

ولنبدأ بالأطوار الخمسة طوراً بعد آخر ونسائل حول المشاعية البدائية: ما هو الدليل العلمي على أن البشرية مررت بالفعل بمرحلة

المشاعية البدائية؟ ثم كيف يمكن الحصول على هذا الدليل العلمي ما دمنا نتكلّم عن الانسانية قبل عصور التاريخ؟ ثم ما هو الدليل العلمي على أن نزعة التملّك الخاص ليست فطرية وأن الملكية الخاصة لم تكن موجودة في طور المشاعية البدائية؟ خاصة وأن الجلز وهو من المصادر الامامية للنظرية الماركسية يقول في كتابه الشهير حول الأسرة: (فما أكثر تناقض الروايات التي في حوزتنا حتى عن القبائل البشرية الموحشة وما أحوجها إلى الفحص الدقيق والغريبة) ^(٣٠٤).

تفنيد المشاعية البدائية:

لذلك نستطيع أن نقول بأن النظريّة الماركسية لم تطرح دليلاً علمياً واحداً يثبت طور المشاعية البدائية وذلك لعدم توفر المعلومات التاريخية الدقيقة التي تجزم بذلك كما أكد ذلك الجلز نفسه في النص المشار إليه أعلاه.

طور الرق:

ويعقب طور المشاعية البدائية طور آخر وهو طور الرق الذي ظهر مع بروز الملكية الخاصة نتيجة لتطور القوى المنتجة. مصادر الرق كانت الحروب بين القبائل حيث كانت القبيلة المتصرّفة تستبعد أفراد القبيلة المهزومة، ثم وبعد تطور الزراعة توسيع دائرة الرق

(٣٠٤) حول الأسرة لأنجلز ص ٥٠.

وأصبحت تشمل المدينين نتيجة لظهور الإقراض الربوي وعجز المدين عن السداد. وقد يكون هذا ينطبق على تاريخ أوروبا والمجتمعات الأوروبية ولكنه حتى لا ينطبق على تاريخ الإسلام . فمن يدرس تاريخ الإسلام يلحظ أنه ألغى هذه «الختمية» التي تسطرها النظرية الماركسية . لقد كان الرق قبل الإسلام مشروعًا بين الأمم، ومشروعًا في القوانين الوضعية (القانون الروماني) ومشروعًا حتى في بعض العقائد الدينية .

أنواع الرق :

وكان الرق عدة أنواع: رق الأسر في الحرب، ورق السيسي في غزوات القبائل، ورق البيع والشراء، وكانت اليهودية تبيحه، وظهرت النصرانية وهو مباح فلم تحرمه. أما الإسلام فقد حظر جميع أنواع الرق ومحفظها ولم يبق للرق إلا منبع واحد وهو رق الحرب الشرعية وذلك معاملة بالمثل لأنه ليس من مصلحة المسلمين أن يسترق أبناؤهم دون أن يردوا على أعدائهم بالمثل، لذلك نستطيع أن نقول بأن الإسلام — عبر تاريخه — لم يمر بطور الرق — كما هو موصوف في النظرية الماركسية — بل سبق العالم في مرحلة ظهوره في اتخاذ موقف متقدم للغاية من هذه القضية بغض النظر عن «الختميات الاقتصادية» التي كانت سائدة آنذاك في العالم أجمع ولماذا لم ينعكس بذلك الوضع الاقتصادي العالمي على موقف الإسلام من الرق؟ .

الموقف الإسلامي من النظرية الماركسية الاقطاع

الاقطاع:

الاقطاع من حيث هو مرحلة يقع ضمن خمسة مراحل تاريخية. ويبدو أن ماركس قد ركز دراسته على المجتمع الأوروبي وخرج بتائج حاول تعميمها على باقي المجتمعات البشرية وهنا الثغرة الرئيسية في معالجته لمشكلة الاقطاع.

لقد قام ماركس بتشخيص دقيق للقطاع الذي كان سائداً في أوروبا. ويؤكد ماركس — ومعه إنجلز — أن الاقطاعيين كانوا يفرضون على الفلاحين ضرائب وأحوال غير معقولة ولا مقبولة وأن هذا الظلم اللاحق بالفلاحين هو نتيجة طبيعية للملكية الفردية التي تناست في تلك المرحلة.

أقسام المجتمع الاقطاعي في أوروبا:

لقد كان المجتمع الاقطاعي الأوروبي ينقسم إلى ثلاث طبقات: مالك الأرض، رجال الدين، الفلاحون. أما ملاك الأرضي والاقطاعيات فقد كانوا يريدون تحقيق أكبر قدر ممكن من المصلحة

الذاتية من خلال تملكهم لساحات شاسعة من الأراضي. وكانوا يتصرفون بقسوة وشدة مع الفلاحين. أما رجال الدين — وينقصد بهم ماركس رجال الكنيسة من الأساقفة — فقد كانوا يخضعون الكنيسة والطقوس وتوظيف ذلك من أجل مصالحهم ومصالح القطاعيين. ويؤكد ماركس بأن هذه الطبقة كانت دائماً حليفة لطيفة ملاك الأرض.

الضغط الحاصل لل فلاحين :

وأما الفلاحون فقد كانوا ضحية كبيرة يتحملون ظلم الملاك ورجال الكنيسة ويتبعونهم تبعية دائمة ويتحملون منهم ظلماً عيناً. ويعدد المجلز في « حرب الفلاحين » الأحوال السيئة التي كان يتحملها الفلاحون ومنها :

- « يدفع الفلاح ثلث ضرائب نقدية في السنة.
- « يعمل سخرة معظم أيام السنة.
- « يفتدي سيده (مالك الأرض) إذا أسر.
- « ينضم إلى فيلق المالك إذا نشب الحرب.
- « يقدم الهدايا لابن المالك إذا رقي لمرتبة الفارس.
- « لا يبيع سلعة إلا بعد بيع سلعة المالك بأسبوعين.
- « يشتري بعض بضائع سيده وجوهاً.
- « يدفع ضرية للملك إذا تزوج الفلاح أو أحد أبنائه من خارج القطاعية.

٠ حق الليلة الأولى وهي أن يقضي السيد مع عروس رقيقه الليلة الأولى (٣٠٥).

تفنيد الأقطاع :

هذه هي الصورة القاتمة التي كان يرزخ تحتها الفلاحون في أوروبا . وهي صورة يؤكدها لا ماركس أو إنجليز فقط بل كثير من المؤرخين الأوروبيين . وليس خلافنا مع ماركس منصباً على حبيبات الصورة القاتمة للأقطاع الأوروبي ، بل خلافنا معه هو حول ما إذا تكررت هذه الصورة في كل المجتمعات البشرية — كما يؤكد — من حيث هي حتمية تاريخية ، وبهمنا في الأساس طبعاً المجتمع الذي أنشأه الإسلام في الجزيرة العربية .

لقد وضع الإسلام الكثير من القواعد والأحكام التي تضبط العلاقة فيما بين ملاك الأرضي والعاملين عليها من الفلاحين ، والذي يتفحص الفقه المعنى بذلك وخاصة فقه المزارعة أو العقود يجد أن الإسلام قد حقق توازناً مطلوباً في هذه المسألة . فالسخرة التي كانت موجودة في أوروبا لا مكان لها في الإسلام فلا سخرة ولا خدمة بلا ثمن في الإسلام والفلاح حر في اختيار الأرض التي يعمل عليها ومالك الأرض الذي يتعامل معه . فالقضية قضية صفقة عمل فإن كانت صفقة رابحة قبل بها وإن كانت خاسرة رفضها وليس للملك أن يلزم بشيء غير ذلك . أما أن يجبر الفلاح على افتداء صاحب الأرض إذا

أسر كما حدث في أوروبا فذلك لا يقره الإسلام وذلك لانتفاء التبعية بينهما في ضوء الشرع الإسلامي. ثم إن فداء الأسرى تقوم به الدولة في الإسلام فإن عجز بيت مال المسلمين عن ذلك يجمع من الأغنياء إذا لم يستطع الأسير أن يقتدي نفسه بماله الخاص. أما الضرائب الثقيلة التي كان يتحملها الفلاحون في أوروبا فلم يفرض الإسلام هذه الضرائب في المجتمع الذي أقامه بل إن الفلاحين أو الأكارين — كما كانوا يسمون في تاريخ الإسلام — كانوا يتلقون مساعدات اجتماعية من خلال تشرعيات الزكوات والصدقات، بل إن الرقيق في الإسلام كان يعطى من مال الزكاة لمساعدتهم على الانفصال والعتق عن طريق المكاتب. أما أن يدفع الفلاح لصاحب الأرض جزءاً من الحصول أو الماشية زيادة على نصيحة فهذا أمر لا يقره الإسلام ولم يشرع به. أما بيع السلع فللجميع في الإسلام الحق في البيع في أي وقت شريطة أن لا يحصل الاحتكار أو أي نمط من أنماط الحبس للسلع. أما حق الليلة الأولى لصاحب الأرض مع عروس الفلاح فهذا يعتبره الإسلام زنى ينبغي أن يقام الحد على مرتكبه والحدود في الإسلام لا تجوز فيها الشفاعة ولا تفرق بين شريف وفقير.

الطرح الماركسي لا ينطبق على المجتمع الإسلامي:

خلاصة ما نريد أن نذهب إليه — على ضوء ما ذكر آنفًا — أننا كمسلمين ضد الظلم الذي يلحق بالفلاحين، كما كان يحدث

في مرحلة الاقطاع الأوروبي ، غير أننا لا نرى هذا في تاريخ الإسلام أي أن المرحلة الاقطاعية بالصورة التي تم تشخيصها ماركسيًا لم تمر بها المجتمعات الإسلامية . ونستنتج أن حتمية هذه المرحلة — من حيث هي طرح ماركسي — لا تتطبق على تاريخ الإسلام أو المجتمع الإسلامي والله أعلم .

شرعية السلطة السياسية

متى تتحقق

شروط السلطة السياسية :

كي تكون السلطة السياسية التي تحكم الجماعة المسلمة شرعية لها حق الطاعة على الأفراد ينبغي أن يتوافر لها أمران :

- 1 — إقامتها لشريعة الله.
- 2 — رضى عموم المسلمين عنها.

أولاً : تنفيذ أحكام الشريعة :

الأمر الأول : يقتضي من السلطة السياسية تنفيذ أحكام الشريعة وإعطاؤها صفة الازمام . فالدولة في الإسلام هي في الأساس وسيلة وأداة لتنفيذ أحكام الشريعة في حياة الجماعة التي تدخل في نطاق سيادة الدولة . والتشريع الإسلامي يشتمل على كثير من الأحكام التي تمس حياة عموم الناس بشكل مباشر كأحكام الأسرة وما يدور في مدارها من زواج وطلاق ونفقات وحقوق ومواريث . كذلك يشتمل التشريع على الإسلامي على كثير من الأحكام المتعلقة بالمعاملات بين الناس مثل التجارة والبيوع وسائر المعاملات

المالية، كذلك كافة العبادات المالية والبدنية مثل الزكاة والصيام وغيرها، كل هذه الأحكام لا بد أن تحول إلى حركة اجتماعية يتحرك ضمنها المجتمع المسلم وفق إطارها الشرعية، والسلطة السياسية الإسلامية هي المكلفة بإقامة كل هذه الأحكام وتنفيذها وحراسة هذه الحركة الاجتماعية الشرعية وتنميتها.

وإذا كانت حكومات اليوم في عالمنا المعاصر هذا تسهر على تنفيذ وحماية قوانينها الوضعية، فإن حكومة الإسلام تحمل مهمة السهر على تنفيذ وحماية الأحكام الشرعية الواردة في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

وتفقد السلطة السياسية شرعيتها إذا رأت عن هذا الطريق وبالتالي لا تكون طاعتها واجبة على المسلمين في حال اخراجها عن تنفيذ الأحكام الشرعية بل إن الإمام ابن تيمية يوجب جهاد وقتل من يفعل ذلك إذ يقول رحمه الله: (وأيضا طائفة متنعة اتبعت إلى الإسلام وامتنعت عن بعض شرائعه الظاهرة المتواترة، فإنه يجب جهادها باتفاق المسلمين حتى يكون الدين كله لله) ^(٣٠٦).

رضى عموم المسلمين عن السلطة السياسية:

الأمر الثاني: الذي ينبغي أن يتوافر للسلطة السياسية رضى عموم المسلمين عنها. وهذه قضية جديرة بالتأكيد فالقيادة السياسية في الإسلام تستمد شرعيتها من بيعة الناس لها وهي بيعة صريحة

(٣٠٦) الفتاوى لأبن تيمية ج ٢٨ ص ٣٠٨.

وواضحة لا إكراه فيها ولا إجبار . والقائد السياسي في الإسلام هو واحد من الناس وليس مكانه فوق الناس ، والحرام حرام عليه وعلى الناس والحلال حلال عليه وعلى الناس حتى أن الله عز وجل يقول على لسان رسوله : ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيْهِ﴾^(٣٠٧) وأبو بكر يقول : (قد وليت عليكم ولست بخيركم)^(٣٠٨) كما أن عمر يقول لأبي موسى الأشعري : (إنما أنت واحد من الناس غير أنك أثقلهم حملا)^(٣٠٩) .

والرضى العام من جمهور المسلمين إزاء القيادة السياسية التي تقدوهم أصل هام من أصول السياسة الإسلامية وما أحكام الشورى والبيعة إلا سبل للتحقق من ذلك . والرضى أساس كبير من أساس التعامل السياسي والتجاري وال العبادي في مجتمع الإسلام .
 ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونْ تِحَارَةً عَنْ تَرَاضِكُمْ﴾^(٣١٠) .

حتى إمامية الصلاة لاتصح إن كرهها المأمورون :
 « ثلاثة لاترتفع صلاتهم فوقهم شبراً .. منهم .. من أم الناس
 وهم له كارهون »^(٣١١) .

(٣٠٧) — سورة الكهف الآية ١١٠ .

(٣٠٨) — تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٦٩ ط الرابعة سنة ١٩٦٩ م .

(٣٠٩) — سيرة عمر لابن الجوزي .

(٣١٠) — سورة النساء الآية ٢٩ .

(٣١١) — روى بعدة ألفاظ ففي سنت أبي داود (ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة من تقدم فوماً وهم له كارهون ... الحديث) ج ١ ص ٣٩٧ حديث ٥٩٣ ، وابن ماجه ج ١

حرص الرسول على الرضى قبل إقامة الدولة في المدينة:

هذا ولقد حرص المصطفى عليه عليهما الله عليةما ينفعه على الرضى قبل أن يلي أمره الدولة في المدينة فكانت بيعة العقبة الأولى ثم الثانية. ثم إن المصطفى عليهما الله عليةما ينفعه انتقل إلى الرفيق الأعلى تاركاً أمراً القيادة واختيارها عن رضى المسلمين ولو نص الرسول على أحد لما كان خلاف يوم السقيفة شغفهم عن دفن النبي . وهما هو عمر يقول : « من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فإنه لابيعة له ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا » (٣١٢) .

وأشار إليه ابن تيمية في منهاج السنة . والقيادة السياسية (الأمامية العامة) عند الفقهاء « عقدة » بين طرفين أي الإمام والأمة وأساس العقود في الإسلام — بل في كل القوانين والشائع — الرضى .

ص ٣١١ حديث ٩٧٠ ط عيسى الحلبي تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
وأما لفظ « ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شيئاً: رجل أم قوماً وهم له كارهون »
ضعف الجامع ج ٢ ص ٦٨ حديث ٢٥٩٥٢ قال الألباني: ضعيف ، وانظر غاية
الدرام في تخرج أحاديث الحلال والحرام ص ٥٤ ، حديث ٢٤٨ تحقيق الألباني نشر
المكتب الإسلامي وأما لفظ (ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذاتهم: العبد الآبق وامرأة باتت
وزوجها عليها ساخته وإمام قوم له كارهون) صحيح الجامع ج ٢ ص ٧٠ ح ٣٠٥٢ .
قال الألباني: حسن . ورواوه الترمذى ج ٢ ص ١٩٣ حديث ٣٦٠ قال أبو عيسى:
هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . ويقول الشیعی احمد شاکر: بل هو
صحيح ... وفي التهذیب « حسن الترمذی بعض أحادیثه وصحیح بعضها .

(٣١٢) — فتح الباري ج ١٥ ص ١٦٤ وهو جزء من حديث طويل جداً .

هكذا إذن يبين لنا أن شرعية السلطة السياسية في الإسلام لا تتحقق إلا إذا توفر لها أمران، أو هما إقامة شريعة الله وثانيهما رضي عموم المسلمين عنها والله أعلم.

· ولادة التغلب والاستيلاء ·

قررنا في السابق بأن رضى عموم المسلمين وقبوهم بالسلطة السياسية ركن من أركان شرعيتها يقف جنباً إلى جنب مع الركن الأول وهو إقامة وتنفيذ الشريعة الإسلامية وأحكامها على صعيد الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي .

حكم القفز على السلطة والاستيلاء عليها :

ومصدر سلطة الامام في الاسلام هو مبايعة الجمehور له ورضاهem به والأمة هي الحافظة للشرع اي أنها مصدر السلطات . إذا كان الأمر كذلك فما موقفنا من ولادة التغلب والاستيلاء اي القفز على السلطة السياسية والاستيلاء عليها بغير رضى عموم المسلمين ولا ينبع ذلك بيعة . مهم أن نعرف أن ولادة التغلب ليست أصلاً وأنها لا تتجاوز ذلك لأنها خروج على قاعدة التراضي . يقول د .

علي محمد جريشة في هذا الموضوع : « لذا حجد الفقهاء التخلص منها (أي ولادة التغلب) كلما كان ممكناً وإذا جازت فاما تتجاوز كما يجوز أكل الميتة ولام الحنطير إذا ألحت الضرورة في ذلك . والضرورات تبيح المحظورات لكن الضرورة تقدر بقدرتها وتقف عند حدتها فكلما

امكـن إـنـهـاؤـهـاـ كـانـ بـقـاؤـهـاـ إـثـمـاـ» (٣١٣).

لقد أشار الأمام محمد رشيد رضا إلى وجوب السعي لازالة ولاية التغلب عند الامكان وعدم جواز توطين النفس على دوامها ولا أن تكون القيادة السياسية للMuslimين كالكرة بين المتعارفين يتقادفونها ويتلقونها (٣١٤).

لابد للولاية من رضا المسلمين فيها :

والأصل هو أن ولاية المسلمين وقيادتهم لا تصح بالتعصب والاستيلاء بل تصح بالرضى والقبول بطريق البيعة الصريحة. ثم ان المنافق للخلافة الراشدة من هذه الزاوية يلاحظ اهتمام الخلفاء الراشدين في تأكيد أهمية البيعة العامة في المسجد ويروي الطبرى أن علياً كرم الله وجهه قال : « إن بيعتى لاتكون خفياً ولا تكون إلا عن رضا المسلمين » (٣١٥) يتضح من كل ذلك ومن وقائع أخرى كثيرة في عهد الخلافة الراشدة أن صحابة رسول الله ﷺ كانوا يرون أن الخلافة وولاية المسلمين لابد من الفصل فيها برضاء المسلمين ومشورتهم أما اغتصاب الحكم بالقوة فلم يكن لديهم « خلافة » بل « ملكاً » ولذلك نجد « أبا موسى الأشعري » يحدد لنا الفرق بين الخلافة والملك تحديداً واضحاً إذ يقول : « إن الامارة ما اؤتمر فيها وإن الملك ما غالب عليه بالسيف » (٣١٦).

(٣١٣) — المشروعية الإسلامية العليا للدكتور علي محمد جريشة ص ٢٥٤.

(٣١٤) — الإمام الكبـرىـ ص ١٣٧.

(٣١٥) — الطبرى ج ٣ ص ٤٥٠.

(٣١٦) — طبقات ابن سعد ج ٤ ص ١١٣.

فقه تنظيم الاستهلاك في الإسلام

قال عمر : أكلما أشتيم أشتريتم ؟

موقف الإسلام من « الاستهلاك » كعملية لازمة في المجتمع الإسلامي ينسجم تماماً مع موقفه الاقتصادي العام الذي يتوجّي تحقيق المصلحة العليا للجماعة الإسلامية. فللامام مفهومه الخاص « للسلعة » وبوضع الأطر العامة لاستهلاكها والمبادئ الأخلاقية التي تحضن تلك الأطر . ولذا كان الحديث في القرآن الكريم عن التبذير والبذريين والاسراف والمسرفين والتغافر والمقترفين . ولذا أكد القرآن على حرمة التبذير والاسراف وأكّد بأنّ البذريين اخوان الشياطين وبأن الله لا يحبّ المسرفين . هذه إشارات قرآنية نستطيع أن نعتبرها من معالم الموقف الإسلامي من « الاستهلاك » من حيث كونه عملية لازمة .

مفهوم السلعة في الإسلام :

يحدد لنا الإسلام مفهومه « للسلعة » المتداولة بين الناس في السوق تحديداً دقيقاً فالسلعة نعمة من نعم الله على العباد والمواد الاستهلاكية هي : طيبات ورزق . وينبغي إذن من خلال التسمية أن

ينظر المسلم إلى السلعة بهذا الأطار الأخلاقي الذي يؤكد على النقاوة والطهارة والاناقة. وأما ما هو غير صالح للاستهلاك البشري ويتحقق ضرراً فهو من: المخاالت ولا يجوز تداوله في السوق إذن السلعة الاستهلاكية – في نظر الإسلام – هي المادة النافعة الخيرة التي لا يؤدي استهلاكها إلى ضرر وحتى هذه السلعة حدد الإسلام كيفيات استهلاكها والحدود التي ينبغي أن نقف عندها في استهلاك الطيبات. هذا التعريف للسلعة وهذا المفهوم لاشك يؤدي إلى عدة اعتبارات اقتصادية هامة منها تحديد أطر ومبادئ ومعادلات الانتاج أي انتاج السلع.

طبعاً مفهوم الإسلام للسلعة يتضارب مع مفهوم السوق الرأسمالي للسلعة والأخير يؤكد بأن أي شيء يمكن أن يباع ولو منفعه وربح فهو إذن سلعة. لذلك نجد أن عملية الانتاج في السوق الرأسمالي عملية غير منضبطة الهدف منها الربح بل والسريع منه وذلك من خلال التسويق حتى للمخاالت أي التي لا تتحقق مصلحة لا فردية ولا عامة.

موقف الإسلام من الاستهلاك:

على هذا الأساس نفهم موقف القرآن الكريم ورسول الله عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والخلفاء الراشدين في قضية الاستهلاك ومن هذا المدخل نستوعب فقه الاستهلاك في الإسلام.

روى الطبراني والبيهقي أن الرسول عليه الصلاة والسلام رأى

رجلًا عظيم البطن فأشار بأصبعه إلى البطن وقال: «لو كان مافي
هذا في غير هذا المكان لكان خيراً لك» ^(٣١٧).

وكان عمر رضي الله عنه يقول: «والله ما نعجز عن لذات
الدنيا أن نأمر بصغرى المعزى فنسمط لنا وأن نأمر بليات البر — أي
القمع — فيخبرن لنا وبالزريب فينيد لنا فنأكل هذا ونشرب هذا ولكننا
نريد أن نستيقن طياتنا لأننا سمعنا الله يقول في قوم فعلوا مثل ذلك:
﴿وَيَوْمَ يَعْرَضُ الظَّالِمُونَ كُفُرَهُمْ عَلَى النَّارِ أَذْهَبُمْ طَيَّاتُهُمْ فِي حَيَاةِكُمْ
الَّذِيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تَجْرُونَ عَذَابًا أَهْمَنُ مَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي
الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَفْسِقُونَ﴾ ^(٣١٨).

وكان عمر وهو خليفة يمر بسوق اللحم فإذا رأى رجلاً قد
اشترى بالأمس ويريد أن يشتري اليوم زهرة ورده وكان يقول: «اتقوا
هذه المجازر فان لها ضراوة كضراوة الخمر» ^(٣١٩) ومن فقهه في
الاستهلاك أنه رضي الله عنه لقى في السوق جابر بن عبد الله ومعه
لحم اشتراه فقال: «ما هذا يا جابر؟ قال: لحم اشتراه أهلي فاشترى به
فقال: أكلما اشتريتم اشتريتم؟ أكلما اشتريتم اشتريتم؟ أما يريد أحدهم
أن يطوي بطنه بخاره وابن عممه؟ وأين تذهب عنكم الآية: ﴿أَذْهَبُمْ

(٣١٧) — مستند أحمد ٣ / ٤٧١ و ٤ / ٣٣٩ والطبراني في الكبير ج ٢ ص ٣١٩.

قال في مجمع الروايد: ورجاله رجال الصحيح غير أبي إسرائيل الجشمي وهو ثقة انظر ج ٥ ص ٣١ وج ٨ ص ٢٢٧.

(٣١٨) — الآية من سورة الأحقاف آية ٢٠ وانظر مسيرة عمر لابن الجوزي.

(٣١٩) — سيرة عمر لابن الجوزي.

طياتكم في حيائكم الدنيا واستمتعتم بها؟ ﴿٣٢٠﴾ .

نخلص إلى القول بأن ثمة فقه لتنظيم الاستهلاك وترشيده والله در
عمر فسوله لخابر بن عبد الله : أكلما اشتئتم اشتريتم؟ وهو سؤال
استنكاري يضع قاعدة لتنظيم الاستهلاك لو طبقناها في حياتنا اليوم
لما علمنا جزءاً هاماً من مشكلة الغلاء والذي في الأساس مانشأ إلا
من خلال الشهوة البهيمية في الاستهلاك لدى الإنسان المعاصر .

(٣٢٠) — سورة الأحقاف الآية ٢٠ .

الرسول عليه السلام وأمن الجماعة المسلمة

حرص الرسول على عدم تغلغل الكفار والمنافقين في صفوف الجماعة المسلمة

المتأمل في سيرة المصطفى عليه السلام يلحظ اهتمامه الكبير بأمن الجماعة الإسلامية، وتحقيق أمن الجماعات ليس بالأمر الهين. كان عليه السلام حريصاً ألا يتغلغل الكفار والمنافقون والمأجورون داخل صفوف الجماعة الإسلامية الأولى لما في ذلك من أثر كبير على وحدة الصف وفاعلية الصمود وقوه التحرك.

بل أنه عليه السلام كان حريصاً على أن يتغلغل المسلمون في صفوف الكفار والمنافقين والمأجورين لتخذيلهم وتغريتهم وتشتيتهم وإثارة حتى الفتنة فيما بينهم لصالح التحرك الإسلامي. لذا نجد أن الرسول عليه السلام يرسل «العيون» للتحسّن عليهم ويدفع الأموال لغريق صفوفهم ولا يتردد في خدعهم

وقصة نعيم بن مسعود الأشعجي الغطفاني الذي أسلم يوم الحندق مشهورة^(٣٢١). لقد أتى رسول الله عليه السلام فقال: يا رسول الله

(٣٢١) — سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٩.

إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت.
 فقال رسول الله ﷺ: إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا [أي
 ادخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضا] ما استطعت فان
 الحرب خدعة. وبقية القصة معروفة، بل لقد جاء الرسول ﷺ إلى
 استخدام المال لايجاد الشقاق في صفوف العدو وتمزيق وحدته،
 فعرض على عبيدة بن حصن وهو رئيس غطفان يومئذ ثلث ثغر نخل
 المدينة على أن يخذل الأحزاب وينصرف عن المدينة بمن معه^(٣٢٢).

ومن جملة الظواهر في المسلك الأممي للرسول ﷺ اهتمامه
 بالمعلومات الدقيقة ذلك لأن المعلومات الدقيقة هي زاد وغذاء القيادة
 اليقظة. فلقد بعث النبي ﷺ عبد الله بن أبيس يتتجسس له ليطلع
 على حقيقة خبر خالد بن سفيان زعيم بنى لحيان من هذيل الذي
 أقام بدخله أو عرفه يجمع الناس بعد موقعه أحد ليغزو الرسول
 ﷺ^(٣٢٣).

وبعد دبيب الفرقه بين المشركين في وقعة الخندق أو الأحزاب
 أرسل الرسول ﷺ حذيفة بن اليمان لينظر ما فعل القوم ليلاً^(٣٢٤).
 وقبيل موقعه بدر أرسل النبي ﷺ بسوس بن عمرو الجهنمي
 وعدوي بن الرعباء إلى بدر يتتجسسان أخبار غير أبي سفيان^(٣٢٥).

(٣٢٢) — زاد المعاد ج ٢ ص ١١٨.

(٣٢٣) — فتح الباري ج ٧ ص ٢٢٦.

(٣٢٤) — سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٣١.

(٣٢٥) — زاد المعاد ج ٢ ص ٨٥.

و يوم حنين بعث عبد الله بن أبي حدرد الإسلامي وأمره أن يدخل في صفوف العدو ويقيم فيهم حتى يعلم عملهم ثم يأتيه بخبرهم (٣٢٦).

كل هذه الواقع ونحوها كثير تدلل على الحس الأمني لدى الرسول ﷺ كأنها تدلل على مشروعية الجاسوسية ولو بأجر ولو كان الجاسوس غير مسلم من زعايا العدو إذا كان يوثق به قبل العمل معنا (٣٢٧).

قال ابن القيم في زاد المعاد: كان النبي ﷺ يبعث العيون يأتون بخبر عدوه ويطلع الطلائع ويبتت الحرس (٣٢٨).

(٣٢٦) — سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٣٩.

(٣٢٧) — مغني الحاج ج ٤ ص ٢٤٠ والمهدى ج ٢ ص ٢٣٠.

(٣٢٨) — زاد المعاد ج ٢ ص ٦٤ ط المصرية، وانظر صحيح مسلم حديث

(١٩٠١) ومستند أبي داود حديث (٢٥٠١) و (٢٦١٨).

المراجع

أولاً: القرآن الكريم وأشهر كتب التفسير:

١ - القرآن الكريم الناشر: دار المصحف، القاهرة سنة

١٣٩١ هـ

كتب التفسير بالتأثر:

٢ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى، ط: بيروت.

٣ - تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ط: بيروت.

٤ - الدر المثور في التفسير بالتأثر بخلال الدين السيوطي ط: دار الفكر.

٥ - فتح القدير للإمام محمد بن علي الشوكاني ط: دار الفكر.

كتب التفسير بالرأي:

٦ - تفسير الكشاف للزمخشري.

٧ - تفسير النسفي.

كتب التفسير الفقهي:

٨ - الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله بن محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ط الثالثة، القاهرة سنة ١٩٦٧ م.

٩ — أحكام القرآن للجصاص ، تحقيق محمد الصادق قمحاوي ،
نشر دار المصحف . القاهرة .

كتب التفسير المحدث :

١٠ — تفسير المنار لمحمد رشيد رضا .

١١ — في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب ط : الأولى .

ثالثاً : العقيدة

١٢ — تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، نشر مكتبة الرياض الحديثة .

ثالثاً : الحديث النبوى

أولاً : كتب التخريجات :

١٣ — المعجم الفهرس لألفاظ الحديث ونسنك وآخرون ط :
مطبعة بريد في مدينة برلين سنة ١٩٤٣ م .

١٤ — مفتاح كنوز السنة لمحمد فؤاد عبد الباقي ط :
لاهور — باكستان .

١٥ — مفتاح الصحيحين للتوقadi ط : دار الكتب العلمية .

١٦ — كشف الخفا للمعجلوني ، نشر مكتبة التراث الإسلامي .

١٧ — المقاصد الحسنة للسخاوي ، نشر مكتبة المثنى — بغداد
سنة ١٩٥٦ م .

١٨ — مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للإمام محمد بن عبد الباقي الزرقاني — تحقيق الدكتور محمد بن لطفي الصباغ ط: الأولى، الرياض سنة ١٩٨١ م.

ثانياً: كتب الحديث:

١٩ — الموطأ للإمام مالك ط: عيسى البابي الحلبي.

٢٠ — فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ط: مصطفى البابي الحلبي سنة ١٩٥٩ م.

٢١ — إرشاد الساري في شرح البخاري للقسطلاني.

٢٢ — صحيح الإمام البخاري ظ: الشعب.

٢٣ — صحيح الإمام مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط: الأولى سنة ١٩٥٥ م المchorة.

٢٤ — سنن أبي داود للإمام الحافظ أبي داود السجستاني ط: الأولى سنة ١٩٧١ م.

٢٥ — سنن الترمذى للإمام الحافظ محمد بن عيسى الترمذى ط: عيسى البابي الحلبي.

٢٦ — سنن النسائي للإمام النسائي ط: مصطفى البابي الحلبي.

٢٧ — سنن ابن ماجه للإمام ابن ماجه القزويني تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط: عيسى الحلبي.

٢٨ — سنن البيهقي للإمام البيهقي ط: دار المعرفة.

٢٩ — المستند للإمام أحمد الشيباني نشر المكتب الإسلامي.

٣٠ — المعجم الكبير للطبراني ، تحقيق عبد المجيد السلفي ط : مطبعة الأمة بغداد .

٣١ — المعجم الصغير للطبراني ط : الثانية — المدينة المنورة سنة ١٩٦٨ م .

٣٢ — المعجم الصغير للطبراني ط : الهندية .

٣٣ — المستدرك للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ط : بيروت ، الناشر : دار الكتاب العربي .

٣٤ — مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للإمام الهيثمي ط : دار الكتاب العربي .

٣٥ — موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان للحافظ نور الدين على ابن أبي بكر الهيثمي ، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة ط : المطبعة السلفية .

٣٦ — كنز العمال .

٣٧ — نيل الأوطار للإمام الشوكاني .

٣٨ — الترغيب والترهيب للإمام المنذري ط : الثالثة ، دار إحياء التراث العربي سنة ١٩٦٨ م .

٣٩ — النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير .

٤٠ — الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ملا على القاري — تحقيق محمد الصباغ ، مؤسسة الرسالة سنة ١٩٧١ م .

٤١ — صحيح الجامع الصغير وزياداته للسيوطى ، تحقيق محمد

ناصر الدين الألباني نشر المكتب الإسلامي سنة ١٩٧٢ م.

٤٢ — ضعيف الجامع الصغير وزياداته — محمد ناصر الدين الألباني ط: المكتب الإسلامي.

٤٣ — إرواء الغليل في تغريغ أحاديث منار السبيل محمد ناصر الدين الألباني ط: الأولى سنة ١٩٧٩ م.

٤٤ — سلسلة الأحاديث الصحيحة محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي سنة ١٩٧٢ م.

٤٥ — سلسلة الأحاديث الضعيفة محمد ناصر الدين الألباني، ط: الأولى.

٤٦ — السنة لابن أبي عاصم تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ط: الأولى سنة ١٩٨٠ م.

٤٧ — غاية المرام في تغريغ أحاديث الحلال والحرام محمد ناصر الدين الألباني. نشر: المكتب الإسلامي.

رابعاً: الفقه وأصوله

٤٨ — الفتاوى الكبرى للإمام الجليل ابن تيمية ط: الأولى.

٤٩ — المغني لابن قدامة المقدسي.

٥٠ — المخل لابن حزم ط: مصر، الناشر مكتبة الجمهورية العربية سنة ١٩٧٩ م.

٥١ — فقه السنة لسيد سابق.

٥٢ — الأم للإمام الشافعى .

خامساً: التاريخ والسيرة

- ٥٣ — تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى .
- ٥٤ — البداية والنهاية لابن كثير .
- ٥٥ — مروج الذهب للمسعودى .
- ٥٦ — الكامل في التاريخ لابن الأثير .
- ٥٧ — الطبقات الكبرى لابن سعد كاتب الواقدي ط: دار بيروت للطباعة والنشر .
- ٥٨ — سيرة النبي ﷺ لابن هشام ط: دار الفكر — بيروت .
- ٥٩ — نهاية الأرب للنويرى .
- ٦٠ — زاد المعاد في سيرة خير العباد للإمام ابن القيم ط: المصرية .
- ٦١ — تاريخ الخلفاء للسيوطى ط: الرابعة سنة ١٩٦٩ م .
- ٦٢ — سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي .
- ٦٣ — سيرة عمر بن عبد العزير لابن الجوزي .
- ٦٤ — مناقب الإمام للكردري .
- ٦٥ — مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة للدكتور محمد حميد الله .
- ٦٦ — موقف الإسلام من نظرية ماركس « التفسير المادى للتاريخ » لأحمد عواشة .

سادساً: الأديان والفرق:

٦٧ — الفصل في الأهواء والملل والنحل لابن حزم.

٦٨ — منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدريّة لابن تيمية.

سابعاً: السياسة الشرعية:

٦٩ — السياسة الشرعية لابن تيمية ط: بيروت، دار الكتب، سنة ١٩٦٦ م.

٧٠ — السياسة الشرعية لعبد الوهاب خلاف.

٧١ — الأحكام السلطانية للماوردي ط: بيروت، دار الكتب العلمية سنة ١٩٧٨ م.

٧٢ — الأحكام السلطانية لأبي يعل الفراء ط: القاهرة سنة ١٩٦٦ م.

٧٣ — الطرق الحكمية لابن القيم ط: المؤسسة العربية، القاهرة ١٩٦١ م.

٧٤ — الطرق الحكمية لابن القيم تحقيق محمد حامد الفقي ط: مطبعة السنة الحمدية سنة ١٩٥٣ م.

٧٥ — الحسبة في الإسلام لابن تيمية ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٧٦ — الإمام الكبّرى محمد رشيد رضا.

٧٧ — المشروعية الإسلامية العليا للدكتور علي محمد جريشة.

ثامناً: السياسة المعاصرة:

٧٨ — العلوم السياسية ريموند كيتييل ترجمة د. فاضل زكي مكتبة النهضة بغداد ١٩٦٣ م.

٧٩ — الإسلام وأوضاعنا السياسية، القاهرة ١٩٥١ ، الشهيد عبد القادر عودة.

٨٠ — كارل ماركس — هنري لوفافر ترجمة محمد عيتاني ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٧٢ م.

٨١ — آتشي دوهرنغ ، إنجلز.

تاسعاً: الاقتصاد الإسلامي:

٨٢ — الأموال لأبي عبيد بن سلام ط : المصرية.

٨٣ — الخراج للقاضي أبو يوسف ، ط : الخامسة ، القاهرة سنة ١٣٩٦ هـ.

٨٤ — الاتجاه الجماعي في التشريع الاقتصادي الإسلامي د. محمد فاروق النبهان.

عاشرًا: الاجتماع:

٨٥ — المقدمة لابن خلدون ط : القاهرة.

٨٦ — حول الأسرة لأنجلز.

٨٧ — حرب الفلاحين لأنجلز.



الحتوى

الموضوع	الصفحة
أسئلة جوهرية حول الدولة الإسلامية	٩
هل يوجب الإسلام قيام سلطة سياسية خاصة به؟	١١
محمد عليه السلام مثل حاكمة الله في هذا الكون	١٥
الفقهاء .. والدولة الإسلامية	١٩
دولة الرسول عليه السلام من خلال مقاييس العلوم السياسية العصرية	٢٢
المشاركة السياسية الشعبية في الدولة الإسلامية	٢٧
الدولة الإسلامية دولة الضمان الاجتماعي	٣٢
سعي الدول للوصول إلى دولة الضمان الاجتماعي	٣٣
كيف عامل الإسلام الرأسمالية العقارية؟	٣٦
تحديد الأسعار من اختصاص الدولة الإسلامية	٤٠
الأدلة على جواز التسعير من كلام الفقهاء المعاصرين	٤٢
هل لرئيس الدولة مخصصات؟	٤٤
كيف كان موقف رسول الله عليه السلام من الحرفيين العمال؟	٤٨
هل كانت ذات عمر بن الخطاب كرئيس للدولة الإسلامية مصونة	٤٩
ظلم الحاكم للناس وتعطيل حرياتهم الشرعية من أكبر المعاصي عند الله	٥٨
متى يعتبر الحاكم خائناً لله وللرسول وللمسلمين؟	٦١
الولاء في الدولة الإسلامية لله وللرسول وللمؤمنين	٦٥
الله ينصر الدولة العادلة ولو كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة	

الموضوع

الصفحة

لو كانت مؤمنة	٦٩
ليس لمكره بيعة	٧٦
الرقابة الشعبية على الحاكم ضرورة شرعية	٨١
الحقوق السياسية للفرد في ظل الشريعة الإسلامية (حق المشاورة)	٨٦
المضمون السياسي للشوري في التصور السياسي الإسلامي (١)	٩١
المضمون السياسي للشوري في التصور السياسي الإسلامي (٢)	٩٥
المضمون السياسي للشوري في التصور السياسي الإسلامي (٣)	٩٩
المضمون السياسي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١)	١٠٤
المضمون السياسي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢)	١٠٦
النضال السياسي ظاهرة لازمت تاريخ الرسل والدعوة إلى الله (١)	١٠٩
النضال السياسي ظاهرة لازمت تاريخ الرسل والدعوة إلى الله (٢)	١١١
أشكال النضال السياسي في تاريخ الدعوة إلى الله (٣)	١١١٥
أشكال النضال السياسي في تاريخ الدعوة إلى الله (٤)	١١٢٠
النضال السياسي المتفاعل مع قضايا المرحلة الحيوية (٥)	١٢٤
التغير الجذري في أوضاع المجتمعات كهدف مركزي لدعوة الله	١٢٧
هل يجوز للمسؤولين في الدعوة الإسلامية أن يمارسوا الأعمال التجارية؟	١٣٢
قيام الدين بالكتاب	١٣٨
الموقف من الاقطاع	١٤٤
اليمن السياسي والدعوة الإسلامية	١٤٩
اليمن السياسي مرة أخرى	١٥٥
اختلاف الخط السياسي منهجاً و موقفاً	١٥٧

الموضوع

الصفحة

الإطعام والأمن في السياسة الشرعية	١٦١
العمل سلامي وحاجته إلى رؤية واضحة في مجال العلاقات الشعبية	١٦٦
أهمية الفعالية السياسية للعمل الإسلامي	١٧٢
القرآن كتاب حركة واعية لمستلزمات المراحل السياسية	١٧٧
شيوخ الاستغلال الاقتصادي في العالم الإسلامي	١٨٦
شيوخ احتكار الأراضي في العالم الإسلامي	١٩٠
المال : كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم	١٩٤
توزيع الثروات ومحاربة تكديسها	١٩٩
الموقف الإسلامي في دكتاتورية رأس المال	٢٠٤
عود على بدء .. الموقف الإسلامي من دكتاتورية رأس المال	٢٠٨
الموقف الإسلامي من النظرية الماركسية	٢١٤
الموقف الإسلامي من النظرية الماركسية (التفسير المادي للتاريخ)	٢١٩
الموقف الإسلامي من النظرية الماركسية (الخامسة التاريخية)	٢٢٤
الموقف الإسلامي من النظرية الماركسية (الاقطاع)	٢٢٨
شرعية السلطة السياسية ... متى تتحقق ؟	٢٣٣
ولاية التغلب والاستيلاء	٢٣٨
فقه تنظيم الاستهلاك في الإسلام	٢٤٠
الرسول ﷺ وأمن الجماعة المسلمة	٢٤٤
المراجع	٢٤٧
المحتوى	٢٥٥